تاريخ فلسطين
الحديث والمعاصر

المرحلة الثانويّة

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:
بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس: LE / DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع: عمان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م

تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر

المرحلة الثانويّة

تأليف

الأستاذ رفيق شاكر النتشة   د. إسماعيل أحمد ياغي

د. عبد الفتاح حسن أبو علية

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

تصديـــــر

ما من شك في ان القضية الفلسطينية بعامة ، وقضية القدس بخاصـة ، تعد القضيـة المركـزية الأولى سـواء بالنسبة للدول الاسلامية ، او لشعوبها . انها القضية التي من اجلها عقدت المؤتمرات العديدة ، سواء على مستـوى القمة او سائر المستويات الأخرى ، وصولاً الى تحرير فلسطين ، وعودة اهلها الى ديارهم ووطنهم .

وكل البلدان الاسلامية كافة كرست اهتماماتها للقضية الفلسطينية على كافة الأصعدة السيـاسية والاقتصـادية والاعلامية والدينية والثقافية . ومن اهم القرارات التي اتخذتها الأقطار الاسلامية كان ذلك القرار الذي اتخذه مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في الكويت ، استنادا الى الاقتراح الذي طرحه الوفد السعودي بالاتفاق مع وفد منظمة التحرير الفلسطينية ، أثناء المؤتمر الذي عقده في صنعاء وزراء خارجية الدول الاسلامية في ديسمبر ١٩٨٤ م . وقد دعا هذا القرار الى تدريس تاريخ فلسطين وجغرافيتها على مختلف المستويات التعليمية ، وذلك طبقا لما تضمنته المناهج الدراسية المقدمة من الوفدين .

وبناء عليه ، فإنه لمن دواعي سعادتي ان اقدم هذا الكتاب ليصار الى تدريسه لأبنائنا ، والذي قـامت بتأليفـه نخبة من المختصين في القضية الفلسطينية وهم سعادة الاستاذ رفيق شاكـر النتشه ، سفـير دولة فلسـطين السابق في المملكة العربية السعودية ، والدكتور اسماعيل ياغي والدكتور عبد الفتاح ابو علية . علماً بأنه سبق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألسكو) ان اقرت تدريس هذا الكتاب .

هذا ، وانني اذ أقدر للأخوة جهودهم في وضع الكتاب ، لأتضرع الى الله العلي القدير ان تجد هـذه البراعم اليافعة من أجيال الأمة الاسلامية في هذا الكتاب ما يفيدها في عقولها وافئدتها ، وما ينير بصائرها ويساعدها على تدبر عاقبة امرها ونصرة قضيتهم الأولى ، قضية فلسطين . كما واتضرع اليه تعالى ان يمنح شعب فلسطين المجاهد النصر المؤزر ويمن عليه بالقوة والمنعة لاستعادة وطنه السليب ، ويمكنه من اقامة دولته ، دولـة فلسطين المستقلة وعـاصمتها القدس الشريف . انه هو السميع العليم .

الدكتور حامد الغابد
الأمين العام
لمنظمة المؤتمر الاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

هذا هو الكتاب الثالث من تاريخ فلسطين نقدمه الى أبنائنا طلاب المرحلة الثانية في البلدان الاسلامية ، ويأتي هذا الكتاب استجابة لقرار مؤتمر القمة الاسلامي الخامس الذي عقد بالكويت في شهر يناير ١٩٨٧ م .

من المعروف أن فلسطين احتلت مكانة مرموقة في كافة أنحاء العالم الاسلامي لأنها أرض المقدسات ومهد الديانات السماوية . وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة المطهرة . ومن هنا حظيت باهتمام المسلمين عبر العصور ، ودافعوا عنها بأنفس ما يملكون ، وكافحوا ونافحوا الاخطار التي هددت فلسطين ، ولنا في البطل المسلم صلاح الدين الايوبي أسوةً حسنة والمثل الطيب الذي وحد الأمة الاسلامية ثم حارب الصليبيين وانتصر عليهم .

ان هذا الكتاب يهدف الى تعريف الطلاب في العالم الاسلامي بتاريخ فلسطين وقضيتها من اجل شحذ هممهم وحفز عزائمهم وغرس فضيلة الجهاد في نفوسهم لتحرير فلسطين من الصهاينة وتحرير المسجد الأقصى من دنس الكفار فهل من صلاح دين جديد ؟

ان هذه الأمة الاسلامية لا بد ان تنبت ارضها جيلاً مؤمناً مخلصاً يخرج منه قائد مسلم يعمل على تحرير فلسطين وقدسها الشريف .

ان هذا الكتاب يحتوي على ثلاثة أبواب حسب المنهج الذي أقرته المملكة العربية السعودية وتناول الباب الأول الانتداب البريطاني على فلسطين ويتكون من خمسة فصول ، بينما يحتوي الباب الثاني طبيعة الحركة الصهيونية على أربعة فصول ، أما الباب الثالث والأخير فهو يتحدث عن جهاد شعب فلسطين في قرن ويتكون من خمسة فصول .

والله ولي التوفيق . . . .

المؤلفـــون

الباب الأول

الانتداب البريطاني على فلسطين

تمهيد : جغرافية فلسطين

الفصل الأول : الاحتلال البريطاني لفلسطين وصك الانتداب
الفصل الثاني : سياسة بريطانيا التعسفية في فلسطين
الفصل الثالث : الادارة المدنية في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين
الفصل الرابع : السياسة البريطانية لتهويد فلسطين
الفصل الخامس : وسائل الضغط البريطاني على فلسطين

تمهيد
جغرافية فلسطين

الموقع الجغرافي :

تقع فلسطين في غرب قارة آسيا بين خطي عرض ٣٠′ ٢٩° و٥٠ ٣٣° شمالاً وبين خطي طول ١٥ ٣٤° و٤٠ ٣٥° شرقي غرينتش ، وهي القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام . ويحد فلسطين من الشمال لبنان ومن الغرب يحدها البحر المتوسط ، ويحد فلسطين من جهة الشرق ، سوريا والمملكة الاردنية الهاشمية ، ويحدها من الجنوب جمهورية مصر العربية . وتبلغ مساحة فلسطين حوالى (٢٧,٩٠٠) كيلومتر مربع ومن هذه المساحة (٧٠٤) كيلومترات مربعة ، مساحة بحيرة الحولة ، وبحيرة طبريا ونصف مساحة البحر الميت .

ولم يكن اليهود يمتلكون اكثر من ٦,٨٪ من جميع اراضي فلسطين حسب احصاء الوكالة اليهودية في عام ١٩٤٧ م . ولكن اليهود قد احتلوا من فلسطين ٧٠٪ من مساحتها (٢٠,٧٠٠) كيلومتر مربع ، كما ان قرار التقسيم الجائر الصادر عن الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ قد أعطى لليهود الحق في تملك ٥٥٪ من مساحة فلسطين ، فاستطاعوا الحصول على هذه النسبة في عام ١٩٤٨ م بدعم وسند دولي مضافاً اليها قرابة العشرين بالمائة أيضاً . وهذه النسبة التي كان يمتلكها اليهود لا تعطيهم الحق في امتلاك هذه المساحات الشاسعة لولا المؤامرة الدولية على فلسطين بدءاً من صدور وعد بلفور وانتهاء بقرار التقسيم عام ١٩٤٧ وحرب عام ١٩٤٨ .

سكان فلسطين :

قدر العثمانيون سكان فلسطين في عام ١٩١٤ بـ ٦٨٩,٢٧٥ نسمة منهم ٨٪ من اليهود وارتفع عدد السكان في عام ١٩٢٠ (٧٣٦,٠٠٠) نسمة منهم ٥٢١,٠٠٠ نسمة من المسلمين و٦٧,٠٠٠ من اليهود و٧٨,٠٠٠ من المسيحيين و٧,٠٠٠ من المذاهب الأخرى . وفي الاحصاء الذي اجراه البريطانيون في عام ١٩٢٢ ، بلغ عدد السكان في فلسطين ٧٥٧,٠٠٠ نسمة بينهم ٨٣,٧٩٤ يهودياً والباقي من العرب . وقفز هذا العدد ليصل في عام ١٩٤٨ الى ٢,٠٦٥,٠٠٠ نسمة منهم ١,٤١٥,٠٠٠ نسمة عربي مسلمون ، و٦٥٠,٠٠٠ يهودي ، و١٤٦,١٦٢ مسيحي .

وهكذا يتضح لنا ان نسبة اليهود قد ارتفعت من ٨٪ عام ١٩١٨ الى ٣٣٪ عام ١٩٤٨ . وهؤلاء اليهود دخلوا البلاد بطرق غير مشروعة وبالقوة رغم معارضة السكان العرب المستمرة لرغبات دخولهم .

اقسام فلسطين الطبيعية :

تقسم فلسطين من الوجهة الطبيعية الى ثلاثة اقسام وهي السهل الساحلي والجبل والغور والصحراء وهذه الاقسام هي :

١ - الساحل يمتد من رأس الناقورة حتى رفح ، وأما السهل الساحلي فيمتد من جبل الكرمل الى رفح . . . ويروي السهل الساحلي عدة انهار تصب كلها في البحر المتوسط من اهمها المقطع والزرقاء والعوجاء وروبين .

٢ - الجبال : تمتد وسط بلاد فلسطين مؤلفة عمودها الفقري وهي تلي السهل الساحلي مباشرة ، كما ان جبال فلسطين امتداداً لجبال لبنان باتجاه الجنوب وتتألف جبال فلسطين من ثلاثة أقسام : جبال الجليل من الشمال وجبال نابلس في الوسط وجبال القدس شرقاً ومناخ المنطقة الجبلية بارد شتاء ومعتدل صيفاً .

٣ - الغور : تقع منطقة الغور شرقي فلسطين ، وتفصل بين فلسطين من جهة ، وكل من سوريا وشرقي الأردن من جهة اخرى ويخترقها نهر الاردن مع بحيراته .

٤ - منطقة بئر السبع وصحراء النقب : وهما القسم الجنوبي من فلسطين وتشتملان على جميع الاراضي الواقعة بين قضائي غزة والخليل وبين شبه جزيرة سينا . ويسمى بقضاء بئر السبع وتقدر مساحته بنحو ١٢٥٧٧ كيلومتراً مربعاً . ومناخ القضاء صحراوي واهم حاصلاتهم الزراعية الشعير والقمح والذرة والبطيخ والخضار والعنب والحقيقة ان اليهود لم يمتلكوا شيئاً فيه ولم يسكنه احد منهم .

مناخ فلسطين :

مناخ فلسطين هو مناخ منطقة حوض البحر المتوسط بوجه عام ، أي انه معتدل شتاء وصيفاً ما عدا بعض المناطق . فالحرارة متنوعة ومختلفة بحسب المناطق . فالمناطق الجبلية مناخها بارد شتاء ومعتدل صيفاً ، ومناخ الغور والصحراء فهو دافىء شتاء وحار رطب صيفا .

الزراعة :

يزرع في فلسطين القمح والشعير والذرة والسمسم والبرتقال والزيتون والعنب والبطيخ والرمان والمشمش والتفاح . وتشتهر فلسطين بالحمضيات والزيتون .

الصناعة :

يغلب على صناعة فلسطين الطابع الحرفي ومن اهم الصناعات الفلسطينية صناعة الصابون والصدف وخشب الزيتون والسجاير والزجاج والقماش والتطريز .

التجارة :

داخلية وخارجية فالصادرات بلغت حوالى ١٥ مليون جنيه في عام ١٩٤٤ وبلغت الواردات ٣٦ مليون جنيه فيكون الميزان التجاري فيه عجز يقدر بـ ٢١ مليون جنيه اي بنسبة ٤٣٪ . ويسد هذا العجز من رؤوس الأموال الوافدة من المهاجرين وما ينفقه السياح في البلاد من أموال وغير ذلك .

الفصل الأول

الاحتلال البريطاني لفلسطين وصك الانتداب

احتلت فلسطين المقام الأول في المخططات الاستعمارية البريطانية في المنطقة العربية بخاصة ومنطقة الشرق الاوسط بعامة ، ويعود هذا الى عدة اعتبارات ، نذكر من أهمها :

١ ـ المكانة الدينية :

المنزلة الدينية التي تتمتع بها فلسطين عند جميع اتباع الديانات السماوية الثلاث : اليهودية والنصرانية والاسلام . وقد حظيت فلسطين بعناية خاصة في معاهدة سايكس ـ بيكو السرية عام ١٩١٦ م ، عندما نص أحد بنودها على : إنشاء ادارة دولية في فلسطين يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع الحلفاء ومع ممثلي الشريف حسين ، شريف مكة المكرمة . وهكذا فإن معاهدة سايكس ـ بيكو فصلت فلسطين عن باقي البلاد العربية ، وأعطتها إدارة دولية مميزة كانت بريطانيا تهدف من وراء ذلك الى تهيئة فلسطين لتكون وطناً قومياً لليهود من جهة ، ولتخضع فيما بعد لحكم الانتداب البريطاني الذي أخذ على عاتقه إعداد فلسطين لتكون مقراً استيطانياً لليهود وقاعدة للكيان الصهيوني من جهة ثانية .

٢ ـ إلتزام بريطانيا بتنفيذ ما جاء في وعد بلفور عام ١٩١٧ م ، والذي ينص على : « ان حكومة جلالة ملك بريطانيا تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين ، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الاخرى » .

٣ ـ الموقع الاستراتيجي :

تقع فلسطين على مقربة من مصر وقناة السويس ، وان وجود اليهود في فلسطين يشكل قوة مطيعة للاستعمار البريطاني في المنطقة العربية . كما ان بريطانيا رأت ان اليهود سيقومون بمهمة التجسس ضد الحركة التحررية العربية ، مما يخدم مصالحها الاستعمارية في المنطقة العربية . ورأت ايضاً ان الكيان الصهيوني سيحافظ على تأمين سلامة المواصلات الامبراطورية المؤدية الى الهند ، أكبر درة في التاج البريطاني ، لأن موقع فلسطين يشكل محوراً رئيساً في شبكة المواصلات الامبراطورية في الشرق .

٤ ـ لأن فلسطين كانت تابعة للحكومة التركية ، وان الدولة التركية كانت قد دخلت الحرب الى جانب دول الوسط (ألمانيا والنمسا) ضد دول الوفاق (بريطانيا ، وفرنسا وروسيا القيصرية) في الحرب العالمية الأولى . ومما لا شك فيه ان احتلال القوات البريطانية لفلسطين سيضعف الجبهة التركية بصورة خاصة وجبهة المانيا ـ تركيا بصورة عامة .

الحملة البريطانية على فلسطين :

بدأت علامات الضعف تظهر في جبهة القتال التركية في الحرب العالمية الأولى منذ عام ١٩١٥ م ، ويعود « ذلك لعدة متغيرات حدثت في الساحة التركية ، نذكر من أهمها :

١ ـ تمكن القوات البريطانية (حملة الهند) من احتلال جزء كبير من مناطق العراق الجنوبية ، ودحرها القوات التركية نحو الشمال . وزاد في ضعف الجبهة التركية فيها بعد سقوط العراق كلها بيد القوات البريطانية ، وتكون بذلك قد فقدت خط الدفاع الأول عن بلادها آسيا الصغرى ، لأن العراق يشكل جزءاً من خط الدفاع الجنوبي عن منطقة الاناضول . وتشكل بلاد الشام الجزء الآخر من هذا الخط .

٢ ـ قيام العرب بثورتهم ضد الأتراك (الثورة العربية الكبرى) بقيادة الشريف حسين بن علي ، شريف مكة المكرمة ، وازدياد جبهة المعارضة العربية ضد الاتراك ، مما ساعد في اضعاف الجبهة التركية في بلاد الشام والحجاز .

وبناء على مجموعة المتغيرات تلك ، قررت بريطانيا ان ترسل حملة (الحملة البريطانية المصرية) من قواتها الموجودة في مصر لاحتلال فلسطين ، واخراجها من دائرة النفوذ التركي ، لأن فلسطين تشكل اهتماماً خاصة بالنسبة للاستراتيجية البريطانية في منطقة الشرق الأوسط بعامة والمنطقة العربية بخاصة .

وقد تحركت القوات البريطانية من مصر باتجاه جنوب فلسطين واحتلته ، ثم تابعت الحملة سيرها باتجاه مدينة القدس واحتلتها أيضاً في ٩ ديسمبر ١٩١٧ م . ونشر قائد الحملة الجنرال اللنبي بياناً في القدس بالانجليزية والفرنسية والعربية والعبرانية والروسية والايطالية واليونانية وهذا نصه :

« بيان الى سكان بيت المقدس وأهالي القرى المجاورة : ان انهزام الاتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي ، أدى الى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي ، وفي الوقت الذي أذيع عليكم هذا النبأ ، أعلن الأحكام العرفية ، وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية . ولئلا ينالكم الجزع ، كما نالكم من الاتراك الذين انسحبوا ، أريد ان اخبركم أنني ارغب ان ارى كل واحد منكم قائماً بعمله وفق القانون ، دون ان يخشى أي تدخل من قبل أي كان .

وفضلاً عن ذلك بما ان مدينتكم محترمة في نظر اتباع الديانات الثلاث الكبرى وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين ، من أبناء الطوائف الثلاث المذكورة منذ قرون وأجيال ، أود ان احيطكم علماً بأن كل بناء مقدس ونصب ، ومكان مقدس أو معبد ، أو مقام ، أو مزار ، أو أي مكان مخصص للعبادة من أي شكل والى أية طائفة من الطوائف الثلاث ، سيصان ويحتفظ به عملاً بالعادات المرعية ، وبالنسبة الى تقاليد الطائفة التي تملكها » .

ونلاحظ من هذا البيان أن اللنبي لم يحاول ان يشير الى الهدف السياسي الرئيسي الذي من اجله قامت بريطانيا باحتلال الارض الفلسطينية ، وهو إن بريطانيا تهدف من وراء ذلك الاحتلال اعداد فلسطين لتكون الوطن القومي لليهود تطبيقاً لما نص عليه وعد بلفور الذي نشر رسمياً في الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم الثاني من شهر نوفمبر عام ١٩١٧ م ، أي قبل بضعة أسابيع من احتلال بريطانيا لمدينة القدس الشريف .

وظلت الحملة البريطانية تحتل المدن الفلسطينية الى أن تم لها احتلال جميع فلسطين في شهر سبتمبر عام ١٩١٨ م . ولم ننس دفاع القوات التركية عن فلسطين بخاصة عن مدينة القدس . فقد دافع الاتراك بقيادة اللواء علي فؤاد قائد الفيلق العشرين العثماني عن القدس دفاعاً شديداً ، ولم يغادر المدينة إلا بعد ان استحكمت ضدهم جميع العوامل التي استحالت معها عملية الدفاع عن الارض المقدسة التي يعتز بها الاتراك كثيراً لأنها ارض الاسراء والمعراج ، وأرض المقدسات وفيها المسجد الاقصى المبارك والصخرة المشرفة .

والحق يقال فإن العثمانيين أقاموا في فلسطين وبخاصة في بيت المقدس الكثير من الأبنية ، وشيدوا المدارس ودور العلم ، ومدوا الطرق المعبدة وسكة الحديد التي تربط بين القدس ويافا ، واعتنوا بشؤون المقدسات الاسلامية في القدس . وهكذا ظل الحكم العثماني التركي في فلسطين مدة اربعة قرون امتدت من عام ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م الى عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م .

وبعد ذلك خضعت فلسطين برمتها للاحتلال البريطاني ، وهو احتلال صليبي جديد لحملات صليبية جديدة ضد العالم الاسلامي . وقد عبر الجنرال اللنبي عن هذا المفهوم فقال عند دخوله القدس : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » . وهكذا فإن الجنرال اللنبي لم يحاول أن يبقى ما في قلبه من كره للاسلام والمسلمين سراً ، وانما عبّر عنه بصراحة في خطاب ألقاه أمام حشد كبير من أعيان مدينة القدس وقراها .

ـ الانتداب البريطاني على فلسطين :

مما لا شك فيه ان الصلة بين الاستعمار البريطاني وبين الصهيونية صلة قوية جداً ، إذ ان الصهيونية عبارة عن حركة عالمية تخدم الاستعمار بخاصة البريطاني والامريكي . ومما لا شك فيه ايضاً ان البريطانيين وجدوا في الحركة الصهيونية اداة طيعة لخدمة مصالحهم الاستعمارية في الشرق الاوسط بخاصة في المنطقة العربية ، ووجدوا انهم يستطيعون بوساطتها ان يثبتوا وجودهم الاستعماري في الشرق . وقد عبّر السير ونستون تشرشل (Winston Churchill) عن هذا الأمر في جلسة مجلس الوزراء البريطاني الذي عقد لمناقشة وعد بلفور والتوقيع عليه ، فأشار تشرشل الى أن قيام الوطن القومي لليهود في فلسطين سوف يحقق لبريطانيا عدة فوائد منها :

١ ـ ان قيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين سوف يخدم الحكومة البريطانية في مواجهة الحركة العربية والاسلامية في الوطن العربي ، ويعني هذا الاجراء المحافظة على المصالح الاستعمارية البريطانية في المنطقة .

٢ ـ ان الوطن القومي اليهودي في فلسطين سوف يعمل على ايجاد حاجز بين العرب في قارة آسيا وبين العرب في قارة افريقيا ، وهذا بدوره يركز فيهم مبدأ العزلة والانفصال . وجدير بالاهتمام ان بريطانيا تركز على المبدأ الاستعماري القائل « فرق تسد » .

٣ ـ سيظل اليهود في الوطن القومي هذا بحاجة الى بريطانيا والى دول الغرب بسبب العداء القائم بينهم وبين البلاد

العربية ، مما يجعل اليهود يرتمون دائماً في احضان بريطانيا وأحضان الدول الاوروبية الغربية .

٤ - ان بالامكان استخدام الوطن القومي اليهودي في فلسطين قاعدة عسكرية بريطانية تحبط كل عمل او حركة من شأنها الاضرار بمصالح بريطانيا في كل من مصر والسويس والعراق وغيرها من اجزاء الوطن العربي الخاضعة للاستعمار البريطاني .

٥ - ان الوطن القومي اليهودي في فلسطين سيعمل على تبديد الطاقات العربية كلها ، وسيعمل على امتصاص قدرات العرب الاقتصادية وتعطيل طاقاتهم البشرية ، لأن كل هذه الأمور ستبذل استعدادا للقتال والحرب ضد أعدائهم اليهود ، وهذا الأمر يجعل اليهود في فلسطين اكثر اتصالاً واكثر احتياجاً لبريطانيا والدول الغربية الأخرى .

وبناءً على المخططات الاستعمارية البريطانية فقد توافقت المصالح البريطانية مع اهداف الحركة الصهيونية الاستعمارية الرامية الى استيطان فلسطين ، وبناء الكيان الصهيوني فيه . وسعى القطبان الاستعماريان الى تنسيق جهودهما والعمل معاً في سبيل قيام الوطن القومي اليهودي الذي نص عليه وعد بلفور .

وقد حاولت بريطانيا أثناء محادثات سايكس - بيكو - بناء على مصالحها - ان تركز على ضرورة فصل فلسطين عن غيرها من بلاد الشام ، ثم ركزت ايضاً على ضرورة تحديد حدود لها لتكون منطقة مميزة تشير الى وضع خاص . فقال سايكس البريطاني عن فلسطين أثناء محادثاته مع بيكو الفرنسي : « ان نقطة اهتمامنا لفلسطين تأتي من كونها نقطة اهتمام اولي عند أتباع الديانات العالمية الثلاث » . ولهذا ظل سايكس يرتكز في محادثاته مع بيكو على ان فلسطين بلد مقدس وعليه فلا بد من فصلها وتعيين حدودها ، ثم لا بد من اقامة ادارة دولية لها . وكانت هذه المحاولة البريطانية عبارة عن اجراء اولي يشير بكل تأكيد الى عملية فصل فلسطين عن فرنسا كخطوة اولى ثم تحويلها بعد ذلك الى اشراف دولي كخطوة ثانية ، ثم وضعها تحت الانتداب البريطاني كخطوة ثالثة ، ثم اعطائها الى الصهاينة اليهود - فيما بعد - كخطوة رابعة .

وقد دعم الصهاينة هذا التخطيط البريطاني حين اعلن رؤساؤهم قبول وضع فلسطين كما حددت في معاهدة سايكس - بيكو . كما انهم اعلنوا رفضهم لمبدأ جعل فلسطين منطقة ادارة تابعة للادارة الدولية او للاشراف الدولي . ويوضح هذا الموقف مدى التوافق في المخططات الاستعمارية ذات المصالح المشتركة او على الاقل المتشابكة في المصالح .

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، انعقد مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩ م لدراسة الوضع الناجم بعد الحرب . وبضغط من الحكومة البريطانية والفرنسية قرر المجلس الأعلى للمؤتمر عدم اعادة الولايات العربية التي احتلتها دول الوفاق من الدولة التركية الى تركيا لأنها دولة مهزومة في الحرب وعليها ان تدفع التعويضات التي تريدها دول الوفاق وفقاً للبنود الواردة في معاهدة سايكس - بيكو المنعقدة في ١٦ مايو ١٩١٦ م ، والتي تنص على اقتسام الولايات العربية التابعة للدولة التركية بين كل من بريطانيا وفرنسا .

وبموجب هذه المعاهدة فقد قسمت بريطانيا وفرنسا البلاد العربية - باستثناء شبه الجزيرة العربية - الى مناطق خمس هي :

(أ) المنطقة الزرقاء وتضم المناطق الساحلية لكل من لبنان وسورية ، وأعطيت هذه المنطقة لفرنسا ،

(ب) المنطقة الحمراء ، وتضم المناطق العراقية الممتدة من بغداد الى البصرة ، وأعطيت هذه المنطقة لبريطانيا ،

(جـ) المنطقة السوداء وتضم فلسطين ، وتكون لها ادارة دولية خاصة ،

(د) المنطقة الداخلية السورية ، ورمز لها بالحرف (أ) تكون ضمن الحلف العربي او الدولة العربية المزمع تشكيلها ـ فيما بعد ـ بزعامة رئيس عربي في هذه المنطقة وهي المنطقة الداخلية العراقية ،

(هـ) المنطقة الداخلية العراقية ، ورمز لها بالحرف (ب) ، تكون ضمن الحلف العربي او الدولة العربية المزمع تشكيلها ـ فيما بعد ـ بزعامة رئيس عربي .

وشملت بنود معاهدة سايكس ـ بيكو ايضاً عدة نقاط تفصيلية مثل :

١ ـ تأخذ بريطانيا ميناءي حيفا وعكا الفلسطينيين . وتأخذ فرنسا ميناء الاسكندرون . ويكون ميناء حيفا ميناءً حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها . ويكون ميناء الاسكندرون حراً لتجارة بريطانيا ومستعمراتها .

٢ ـ يحق لبريطانيا ان تمتلك سكة حديد تربط بين مدينة حيفا وبين المنطقة الداخلية العراقية المشار اليها بالرمز (ب) .

٣ ـ تشكل بريطانيا في المنطقة الحمراء ما تريده من أشكال الحكم فيها . وتشكل فرنسا في المنطقة الزرقاء ما تريده من أشكال الحكم فيها .

وبناءً عليه فقد سلخت بريطانيا فلسطين عن بلاد الشام ليصبح لها ـ فيما بعد ـ سهولة التحرك في تنفيذ ما نص عليه تصريح وعد بلفور ، علماً بأن وعد بلفور لم يكن وليد عام ١٩١٧ م ، وانما درس ونوقش وخطط له قبل ذلك بوقت طويل ، وكانت هناك اتصالات صهيونية على مستوى دولي من اجل تحقيق المطلب الصهيوني الرامي الى ايجاد وطن قومي لليهود في فلسطين من جهة ولتكون منطقة انتداب بريطاني من جهة ثانية . وجدير بالاهتمام هنا ان الصهاينة اليهود رفضوا فكرة تدويل فلسطين من أساسها لأنهم وجدوا ان التدويل يعني الاشراف الدولي على ادارة فلسطين ، وهذا الأمر لا يتفق مع مطالبهم في انشاء الوطن القومي اليهودي فيها .

ولهذا فقد سعى الصهاينة ان تكون فلسطين تحت الانتداب البريطاني كمرحلة أساسية من مراحل تكوين الوطن القومي اليهودي في أرض فلسطين على حساب سكانها العرب الذين عاشوا فيها وملكوها منذ فجر التاريخ من عهد الكنعانيين العرب ومروراً بالعهود الاسلامية المتعاقبة على حكمها .

وامعاناً في التأييد البريطاني للصهاينة اليهود ، سارعت الحكومة البريطانية في سبتمبر عام ١٩٢٠ م الى اقامة ادارة مدنية لتحكم بوساطتها فلسطين ، ولتعدها لتكون الوطن القومي لليهود . وعينت السير هربرت صموئيل (Herbert Samuel) البريطاني اليهودي المعروف بصهيونيته وعاطفته الشديدة تجاه اليهود ، أول مندوب سام بريطاني عليها لينفذ المخططات الاستعمارية البريطانية الصهيونية . ومعروف ان السير هربرت صموئيل كانت له اليد الطولى في اصدار وعد بلفور .

ـ صك الانتداب على فلسطين :

قدمت الحكومة البريطانية صك انتدابها على فلسطين الى عصبة الأمم في ٢٤ يونيو عام ١٩٢٢ م ، كما اقترحته الحركة الصهيونية دون تعديل فيه ، علماً بأن مجلس الحلفاء وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية وايطاليا المنعقد في سان ريمو كان قد وضع فلسطين ـ بضغط من بريطانيا ـ تحت الانتداب البريطاني . وقد أقرت عصبة الأمم مشروع صك الانتداب بالصيغة نفسها التي قدمتها بريطانيا الى العصبة وذلك في ٢٢ يوليو ١٩٢٢ م .

وحوى صك الانتداب البريطاني على فلسطين مقدمة وثمان وعشرين مادة . وقد تضمنت المقدمة نص وعد بلفور وموافقة دول الوفاق على انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . ونصت المقدمة أيضاً على الاعتراف بصلة اليهود التاريخية بأرض فلسطين ، وعلى ضرورة اعادة بناء وطنهم القومي فيها . وعليه فإن صك الانتداب يعطي شرعية دولية لوعد بلفور الذي يناقض ما ورد فيه مع التعهدات التي قطعتها بريطانيا للعرب بالحرية والاستقلال في بلادهم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، بموجب مراسلات الشريف حسين بن علي ـ مكماهون ، التي سبقت قيام الثورة العربية الكبرى ضد الحكم التركي في البلاد العربية . كما ان وعد بلفور اكتفى بالاشارة الى الطوائف غير اليهودية في فلسطين ، معتبراً ان الشعب العربي الفلسطيني الذي يشكل اكثر من ٩٥٪ من سكان فلسطين كلها ، هم طائفة عربية لا اكثر ولا اقل ، وهذا يتنافى أيضاً مع مبدأ العدالة وحقوق الانسان .

وأهم ما ورد في مواد صك الانتداب ما يلي :

جاء في **المادة الثانية** : ان على الدولة المنتدبة على فلسطين ان تهيّيء الأحوال السياسية والادارية والاقتصادية فيها ، مما يضمن معه قيام الوطن القومي اليهودي ،

وجاء في **المادة الرابعة** : تأسيس وكالة يهودية تقدم المشورة للسلطات الادارية البريطانية في فلسطين في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الشؤون الأخرى التي تخدم اغراض انشاء الوطن القومي اليهودي . ونصت هذه المادة ايضاً على ضرورة قيام تعاون بين السلطات البريطانية وبين الوكالة اليهودية في الأمور التي من شأنها ان تعمل على تنفيذ ما ورد في وعد بلفور .

وجاء في **المادة السادسة** : وجوب العمل على تسهيل الهجرة اليهودية الى ارض فلسطين ، وان تسهل الدولة المنتدبة عملية الاستيطان اليهودي في فلسطين في الأراضي الاميرية والاراضي الموات غير المطلوبة .

وجاء في **المادة السابعة** : وجوب سن القوانين الخاصة بالجنسية التي تضمن لليهود حق أخذ الجنسية الفلسطينية حال اقامتها في فلسطين .

وجاء في **المادة الحادية عشرة ما نصه** : ان يقوم تعاون بين الوكالة اليهودية وبين السلطات البريطانية في مجال تشغيل المرافق والخدمات العامة في فلسطين ، وتطوير الموارد الطبيعية فيها .

وجاء في **المادة السادسة عشرة** : وجوب تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ووجوب مساعدة اليهود في عملية الاستيطان في الاراضي الاميرية والاراضي الموات غير المطلوبة .

وبصدور صك الانتداب البريطاني على فلسطين تكون الصهيونية العالمية قد حققت مكسباً كبيراً ، وهو ضمان تنفيذ ما ورد في وعد بلفور كمرحلة اولى من مراحل انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . ويكون اليهود أيضاً قد كسبوا تأييد الدول الاستعمارية في الأرض الفلسطينية . ويعد الانتداب البريطاني على فلسطين المرحلة الاولى من مراحل تأسيس الكيان الصهيوني اليهودي في فلسطين .

الفصل الثاني

سياسة بريطانيا التعسفية في فلسطين

لما احتلت بريطانيا فلسطين بدأت في اتخاذ مجموعة من الاجراءات التي تعينها على تطبيق ما ورد في وعد بلفور من انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وكان من بين هذه الاجراءات :

أولاً : الادارة العسكرية البريطانية :

عينت الحكومة البريطانية بعد احتلال فلسطين الجنرال كلايتون Clyton مديراً عاماً للادارة العسكرية التي فرضتها بريطانيا على فلسطين في سبتمبر ١٩١٨ م . والجنرال كلايتون كان موظفاً بريطانياً في منصب ضابط سياسي عام في المكتب العربي في القاهرة التابع للملحقية البريطانية فيها . ويعد كلايتون من الخبراء السياسيين البريطانيين المهتمين بمنطقة الشرق الاوسط ، وهو من أتباع المدرسة البريطانية العاملة في منطقة الشرق الأوسط ذات الاتصال المباشر بوزارة الخارجية البريطانية ، لا بحكومة بريطانيا في الهند التي لها مدرسة استعمارية خاصة بها . وان كان هناك اختلاف بين المدرستين في أساليب التطبيق الاستعماري ، إلا انهما يلتقيان تماماً في خدمة هدف واحد ، وهو خدمة الامبراطورية البريطانية الاستعمارية .

وقد شكل الجنرال كلايتون هيئة عسكرية تعمل تحت ادارته وعين الكولونيل رونالد ستورز (Ronald Storrs) حاكماً عاماً على مدينة القدس . وعين عدداً من الحكام البريطانيين حكاماً على باقي المدن الفلسطينية .

وقد عين الجنرال كلايتون عدداً من العرب وعدداً من اليهود في الوظائف الادارية الكتابية في مجال الترجمة والنسخ والوظائف المكتبية الأخرى ذات الصفة غير التنفيذية .

وجدير بالذكر هنا ان الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين كان قد اطلق عليها اسم ادارة بلاد العدو المحتلة ، أي البلاد التابعة للدولة التركية التي دخلت الحرب ضد بريطانيا ودول الوفاق الأخرى ، ووقفت الى جانب ألمانيا والنمسا ، وهما دول الوسط في الحرب العالمية الأولى .

وتعد الادارة العسكزية البريطانية في فلسطين جزءاً من الأحكام العسكرية التي عملت بها بريطانيا في فترة الحرب العالمية الأولى وظلت هذه الأحكام العرفية العسكرية سائدة حتى نهاية الحرب واستقرار الوضع العسكري .

وعليه فإن الحكم العسكري البريطاني في فلسطين كان وسيلة من الوسائل التي اتخذتها الحكومة البريطانية للمحافظة على الوضع الراهن أثناء فترة الحرب .

وتعد الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين فترة انتقال قصيرة مهدت السبيل لحكم الانتداب البريطاني فيها ، أو ما يطلق عليه تعبير الانتداب البريطاني على فلسطين .

وعلى الرغم من أن الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين كانت خاضعة لاشراف كلايتون المدير العام لها ، إلا أن كلايتون ظل يأتمر بأوامر القائد الأعلى للقوات البريطانية في منطقة فلسطين ، وهو الجنرال اللنبي باعتباره القائد العام الأعلى لقوات دول الوفاق في المنطقة .

ـ المحاكم والقضاء في عهد الادارة العسكرية البريطانية :

نظمت ادارة الجنرال كلايتون المحاكم المدنية والقضاء في فلسطين ، فأنشأوا في مدينة القدس محكمتين ابتدائيتين تقومان بالقضاء المدني لكل البلدان والقرى الفلسطينية التابعة لأقضية : القدس والخليل وبئر السبع . أما عن أمر القضاء في مجال القضايا الشرعية الاسلامية فقد ظل على حاله كما كان في ظل العهد العثماني التركي . وبقيت المحاكم الشرعية الاسلامية في فلسطين على حالها كما كانت عليه في العهد التركي . وأعلنت الادارة العسكرية عن نيتها في اقامة محاكم شرعية اسلامية تقوم على أساس نظام جديد في كل الأقضية الفلسطينية كي تسهل العمليات القضائية الشرعية للمسلمين الفلسطينيين . هذا وقد أنشأت الادارة العسكرية البريطانية محكمة استئناف في مدينة القدس .

وكما نظمت الادارة العسكرية البريطانية امر القضاء بالنسبة للعرب الفلسطينيين ، فقد اهتمت أيضاً بأمر القضاء بالنسبة للاقلية اليهودية ، اذ نظمت لها نظاماً قضائياً مستقلاً بها ، وظل القضاء اليهودي بموجبه يسير على نظام المحاكم اليهودية القديمة وعلى الأحكام التي كانت تمارسها هذه المحاكم .

وأقام اليهود تحت سمع الادارة العسكرية البريطانية مجموعة من التنظيمات التي تخدمهم في انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وفي انشاء الكيان الصهيوني او الدولة الصهيونية اليهودية فيها . وأسست الطائفة اليهودية القليلة العدد في فلسطين جهازاً للاستخبارات غضت الادارة العسكرية البريطانية الطرف عنه لأنها تلتقي مع اليهود الصهاينة في هدف استعماري مشترك وهو انشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ، على الرغم من الخلاف المزعوم الذي كان يظهر بين الآونة والأخرى بين الادارة العسكرية البريطانية وبين الصهاينة اليهود في شأن عدد من القضايا الفرعية وليس القضايا الجوهرية في التطبيق ، لأن الصهيونية كانت تريد من الادارة العسكرية البريطانية ادارة صهيونية كاملة او على الأقل ادارة يهودية .

ـ نظام البلديات :

أما عن النظام الخاص بالبلديات فإن الادارة العسكرية البريطانية لم تفعل له جديداً ، وانما ظل نظام البلديات قائماً كما هو عليه في العهد العثماني . وظلت أعمال البلديات تدار من قبل المجالس البلدية التي كانت تنتخب انتخاباً من قبل سكان المدينة او البلدة او القرية ، أما عن رؤساء المجالس البلدية فكان يعينهم حكام المدن او حكام المناطق اذا كانوا رؤساء مجالس بلدية قروية من بين الأعضاء الذين ينتخبهم السكان .

وجدير بالذكر هنا ان اول نظام بلدي في المدن الفلسطينية كان قد طبق في القدس في العهد العثماني عام ١٨٦٤ م بناءً على نظام الولايات الذي أعقبه نظام آخر سمي بنظام ادارة الولايات الذي صدر عام ١٨٧١ م ، وبعدها بدأ العمل بقانون انتخاب المجالس البلدية في المدن الفلسطينية عام ١٨٧٥ م . وصدر قانون عثماني جديد عام ١٨٧٧ م ، هو قانون البلديات الذي يعد الأساس الذي تقوم عليه أعمال البلديات في المدن الفلسطينية . وقد عدل هذا القانون عام ١٩١٥ م في اواخر العهد التركي ، وأصبح لكل بلدية مجلس بلدي منتخب من قبل السكان الذين يدفعون الضرائب للدولة .

والجديد الذي ظهر في عهد الادارة العسكرية البريطانية هو انها أعطت اليهود الحق في انتخاب عضوين يهود يشاركان في المجلس البلدي في مدينة القدس ، وهو أسلوب من أساليب التركيز البريطاني على اليهود من أجل اعدادهم للقيام بمهمة الحكم والادارة في ظل الوطن القومي اليهودي التي تعمل بريطانيا من اجل انشائه في فلسطين .

وكان للبلديات ميزانية خاصة بها ، فبلغت ميزانية بلدية القدس في عام ١٩١٤ م ، العام الذي اندلعت فيه الحرب العالمية الأولى (١١,٠٠٠) ليرة عثمانية . وبلغت ميزانية القدس عام ١٩١٧ م ، أثناء الحرب العالمية الأولى (١٥,٠٠٠) ليرة عثمانية . وكانت ميزانية البلديات تصرف في الشؤون الاصلاحية والتنظيمية للمدن أو القرى ذات المجالس البلدية او القروية .

ـ النظام المالي :

ولم تنس الادارة العسكرية البريطانية العبث بالأمور المالية في فلسطين ، فأدخلت النقود المصرية الى فلسطين ، وتعامل الناس بها ، وقد حلت النقود المصرية هذه محل النقود العثمانية التي ظل الناس يتعاملون بها طيلة العهد العثماني التركي . وهكذا اصبحت النقود المصرية هي النقود الرسمية في عهد حكومة الادارة العسكرية البريطانية .

ونظمت حكومة الادارة العسكرية عملية صرف العملات الاجنبية ، فأصدرت تعرفة رسمية حددت فيها أسعار النقود الرسمية بالنسبة لقيمة النقود المصرية الرسمية المعمول بها في فلسطين وقتذاك .

وأصدرت الادارة العسكرية البريطانية نظاماً جديداً للضرائب في فلسطين ، فنظمت التعرفة الجمركية التي تفيد منها الحكومة البريطانية لأن الضرائب تدخل في ميزانية حكومتها .

وحددت الادارة العسكرية الاوزان والمكاييل والمقاييس التي تستخدم في البلاد . كما حددت أسعار المواد الغذائية الرئيسة . وأنشأت عدداً من الشركات الخاصة بالاستيراد والتصدير . وكانت حكومة الادارة العسكرية البريطانية تركز على استيراد البضائع من البلاد الواقعة تحت استعمارها وتحت سيطرتها لأن مرد ذلك يعود لصالح ميزانيتها العامة . وأصبحت الأمور الاقتصادية برمتها في فلسطين تحت اشراف حكومة الادارة العسكرية . ولعب الصهاينة اليهود بزعامة الدكتور حاييم وايزمان دوراً بارزاً في تحديد معالم التنظيمات الاقتصادية التي نظمتها الادارة العسكرية البريطانية . وطالب اليهود بأكثر من ذلك حين قالوا بوجوب اشتراكهم في الادارة العسكرية ، وطالبوا الادارة العسكرية بوجوب تشكيل لجنة خاصة بالاراضي في فلسطين ـ لأن الأرض اكثر ما تعنيهم ـ تضم خبراء يهود تقوم الجمعية اليهودية بتعيينهم . وطالبوا بتأسيس لجنة خاصة لدراسة المرافق الطبيعية في فلسطين . وطالبوا أن يكون بنك انكلو ـ فلسطين ، وهو شركة يهودية هو المؤسسة المالية التي تتولى تقديم القروض المالية للمزارعين العرب

الفلسطينيين . ويعد هذا من الاجراءات الاقتصادية التي تعطي مردوداً اقتصادياً لليهود . وهنا يتضح امر المخططات الصهيونية الرامية الى استعمار الارض الفلسطينية واستيطانها بالتواطؤ مع الحكومة البريطانية الظالمة .

ـ التعليـــــم :

لم تهتم الادارة العسكرية البريطانية بشؤون التعليم في فلسطين ، وحرصت على منع أبناء العرب الفلسطينيين من التطور العلمي حتى لا تتفتح عيونهم على مساوىء الاستعمار البريطاني وعلى أهداف حليفتهم الصهيونية . وظهر تقصير واضح في تعليم ابناء الشعب الفلسطيني ، هذا التقصير الذي تتحمل مسؤوليته الحكومة البريطانية التي تتمنى ان يظل الشعب الفلسطيني شعباً أمياً جاهلاً ، وفي ذلك تخالف حركة التاريخ وسننه ، وترتكب جرماً انسانياً بشعاً .

لم تهتم حكومة الادارة العسكرية البريطانية بأمر التعليم بحجة انها مشغولة في أمر الحرب ، وان فترة حكمها فترة انتقالية مؤقتة . وظل التعليم في فلسطين على حاله كما كان عليه في عهد الاتراك . وكان يوجد في مدينة القدس مجلس للمعارف برئاسة الاستاذ اسماعيل الحسيني . وظلت الادارة العسكرية تعزف عن فتح المدارس لابناء الشعب الفلسطيني حتى اواخر عام ١٩١٨ م . وظل التعليم يقتصر على ما يدرس في الكتاتيب والمدارس الأخرى التي كانت قد انشأتها الدولة العثمانية التركية في البلاد .

وبناءاً على تقصير الادارة العسكرية الواضح في شؤون العلم والتعليم في فلسطين ، قام الأهالي في المدن الفلسطينية وقراها بفتح المدارس الأهلية لتعليم ابنائهم . وقد ألغت الادارة العسكرية البريطانية مجلس المعارف واستبدلته بادارة المعارف وعينت على رأس الادارة موظفاً بريطانياً ممن يجيد اللغة العربية .

وبعد قيام ادارة التعليم التي تشرف عليها بريطانيا ، سمحت الادارة العسكرية بفتح المدارس الحكومية عام ١٩١٩ م ، وكان اولها في مدينة القدس . وجدير بالذكر ان بريطانيا اهتمت بأمر تعليم ابناء الطائفة اليهودية في في نظامها وادارتها بعيداً عن ادارة المعارف التي أنشأتها الادارة العسكرية البريطانية في القدس . وبناءاً عليه فإن اليهود نشطوا في اقامة مدارسهم الخاصة بهم بمساعدة المؤسسات الصهيونية العالمية وبمساعدة دولة الاحتلال ، وعليه زادت نسبة الاولاد الفلسطينيين العرب الذين حرموا من الدراسة على نسبة أبناء اليهود الذي تمكنوا من دخول المدارس اليهودية التي فتحت من اجلهم .

ونظمت الادارة العسكرية ميزانية خاصة بادارة المعارف بلغت عام ١٩١٩ م (٥٣,٠٠٠) جنيه مصري . وقد بلغت نسبة المصروفات على شؤون التعليم في عهد الادارة العسكرية البريطانية ما مقداره ٤٪ من الميزانية العامة لحكومة الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين .

وهكذا نلاحظ ان ميزانية التعليم تشكل نسبة قليلة من الميزانية العامة . وحرم نتيجة ذلك عدد كبير من أبناء الشعب الفلسطيني من التعليم في ظل حكم الاحتلال البريطاني للارض الفلسطينية .

وكانت أسرة روتشيلد صاحبة البنوك في أوروبا هي التي تمول المشروعات التعليمية اليهودية في فلسطين . وساهم أغنياء اليهود في العالم بتمويل ميزانية التعليم لأبناء اليهود المقيمين في فلسطين . ففتحوا بأموالهم وبمساعدة بريطانيا المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية . وصار أبناء اليهود يلقنون في مدارسهم هذه ثقافة تخدم أغراض اليهود في انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . فكان خطباء الصهاينة اليهود ومثقفوهم يلقون الخطب الحماسية

التي تثير في أبناء اليهود حب فلسطين على اعتبارها ـ كما يزعمون ـ انها ارضهم التاريخية . وأخذوا ينمون في نفوسهم حب خدمة هذا الوطن كواجب ديني مقدس . وكانوا يغرسون في نفوسهم أيضاً حب الانتقام من الشعب العربي الفلسطيني ، إذ لا بد من تخليص ارض فلسطين من ايديهم بالقوة .

ونظرة سريعة على مدى التعاون والارتباط بين بريطانيا وبين الحركة الصهيونية في مجال العلم والتعليم ، نجد ان الجامعة العبرية التي أسسها اليهود على جبل سكوبس في القدس عام ١٩١٨ م ، كانت بذرة من بذور التعاون بين هاتين القوتين الاستعماريتين : بريطانيا والصهيونية . وقد افتتحها رسمياً اللورد بلفور (Balfour) عام ١٩٢٥ م ، وهو صاحب وعد بلفور المشؤوم ، وكانت الدراسة قد بدأت في الجامعة عام ١٩٢٣ م أي بعد حوالى خمس سنوات من وضع حجر أساسها . وقد ركزت الدراسة في الجامعة العبرية على اللغة العبرية وآدابها وعلى التوراة والتلمود والفلسفة اليهودية والتاريخ الاسرائيلي وعلم الأسر الفلسطينية والتاريخ والثقافة الاسلامية والعربية وغير ذلك من الأمور التي تخدم الصهيونية وأغراضها السياسية .

وجدير بالذكر انه لما حضر بلفور لافتتاح الجامعة العبرية في القدس قام أهالي القدس العرب باغلاق متاجرهم ، ورفعوا على أبنيتهم ومنازلهم ومتاجرهم الاعلام السوداء ، وحالوا دون زيارته للمسجد الأقصى ، ولما مر بدمشق أغلق اهالي دمشق حوانيتهم بخاصة في الشارع الذي مر منه بلفور ، ولولا حماية السلطات الفرنسية والبريطانية له ، لما تمكن بلفور من المجيء الى القدس ودمشق وبيروت ، وتجدر الاشارة هنا الى ان المدارس اليهودية كانت تدرس باللغة العبرية .

وهكذا نلاحظ ان الادارة العسكرية البريطانية اعطت اليهود حرية كبيرة في مجال التعليم ، وفي مجال فتح المدارس والجامعات وقدمت لهم الكثير من التسهيلات في هذا المجال .

ـ التنظيم الاداري :

قسمت الادارة العسكرية البريطانية فلسطين الى ألوية يحكم كل لواء منها حاكم انجليزي حتى تبقى جميع المسؤولية بيد الحكومة البريطانية في المسائل الادارية والسياسية ، وذلك للحفاظ على وجودها في فلسطين من جهة ولتسهيل عملية تنفيذ وعد بلفور من جهة ثانية .

وقد ضم اللواء الواحد من هذه الالوية عدداً من الأقضية التابعة له لأن القضاء منطقة ادارية أقل من منطقة اللواء الادارية . وأطلق على حاكم القضاء لقب قائمقام ، وغالباً ما يكون من العرب . وظلت المناصب الادارية العليا بيد الانجليز واحياناً سلمها الانجليز لعدد من الصهاينة اليهود . وعليه فقد ظل الانجليز وأعوانهم الصهاينة يحتفظون بمناصب حكام الألوية ومدراء الدوائر ورئاسة القضاء والسكرتير العام والمدير العام للادارة العسكرية والقائد العام لها . وأصبحت جميع الوظائف المسؤولة عن تصريف الأمور والتي بيد موظفين العقد والحل كلها بيد الانجليز ويعاونهم فيها اليهود تنفيذاً للمادة الرابعة من مواد صك الانتداب .

وفي مجال الامن والشرطة فقد أوكلت الادارة العسكرية البريطانية مهمة حفظ الامن في القدس الى حراس من المسلمين الهنود الذين كانوا في الجيش البريطاني الذي احتل القدس . وأعطت الادارة العسكرية اليهود حق حماية مستوطناتهم عن طريق السماح لهم بتكوين حرس يهودي خاص بهم . والغريب في الأمر ان بريطانيا ظلت تخدع

العرب ، فأصدرت وثيقة في السابع من نوفمبر عـام ١٩١٨ م تضمنت الأهداف التي من اجلهـا خاضت بـريطانيـا العظمى الحرب في منطقة الشرق الأوسط ، مشيرة الى انها تنوي تحرير الشعوب العربية من الحكم التركي وتأسيس دول تقوم على أسس ديمقراطية ، يختار الأهالي حكـوماتهم . ولكن الشعب الفلسـطيني كان حـذراً ويقظاً من نـوايا بريطانيا وألاعيبها في المنطقة العجيبة . فقاموا بعمل سريع ، فعقدوا اول مؤتمر عربي فلسطيني في مدينة القـدس في يناير عام ١٩١٩ م ، حضره سبعة وعشرون مندوباً فلسطينياً ممثلين لجمعياتهم من مختلف أنحاء فلسطين ، وقد ترأس المؤتمر الاستاذ عارف الدجاني . وقرروا أن فلسطين هي جزء من سورية وهي تشكل سورية الجنوبية التي لا تنفصل عن سورية الأم ، سورية المستقلة عن النفوذ الاجنبي بكل صوره وأشكاله ، وطالبوا بتوحيـد سوريـة الشماليـة مع سورية الجنوبية (فلسطين) . ويعد هذا المؤتمر ضربة قوية صفعت السياسيين البريطانيين الذين يخـططون ويعملون جاهدين لانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

هذا وأرسل المؤتمر الفلسطيني احتجاجاً الى مؤتمر السلام المنعقد في باريس بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، رفضوا فيه وعد بلفور والهجرة اليهودية الى بلادهم .

وسجل تقرير لجنة كنج ـ كرين (King Crane) الامريكية التي وصلت الى فلسطين في منتصف عام ١٩١٩ م لدراسة الأوضاع العامة فيها ، وللاطلاع عـلى رغبات سكـانها وما يـريدونـه لمستقبلهم السياسي ، ورفض السكـان العرب في فلسطين للحركة الصهيونية ومخططاتها في انشاء الوطن القومي اليهودي في بلادهم ، وهو امر لا يتفق مع المبادىء التي أعلنتها دول الوفاق ، ولا يتفق ايضاً مع الوعود التي قطعتها بريطانيا للعرب في أخذ حريتهم واستقلالهم السياسي . وأوصى التقرير ان الفلسطينيين حريصون كل الحرص على ان تكون بلادهم ضمن وحدة سياسيـة تجمع بلادهم سورية الجنوبية (فلسطين) مع سورية الشمالية في دولة مستقلة ذات نظام حكم ديمقراطي يقوم على أساس الانتخابات والحكم النيابي .

وهكذا فإننا نلاحظ ان الشعب العربي الفلسطيني شعب حريص جداً على الوحدة السياسية للبلاد العـربية ، وقد نادى بها في مؤتمره الأول المنعقد في مدينـة القدس في مـطلع عام ١٩١٩ م ، وهـو أمر يـدل دلالة حقيقيـة على انتمائهم لدينهم وامتهم .

وقد ظلت الادارة العسكريـة البريـطانية في فلسـطين فترة طـويلة نسبياً امتـدت من عام ١٩١٨ م حتى عـام ١٩٢٠ م ، اذ قرر المجلس الاعلى لدول الوفاق في هذا العام ، منح الحكومة البريطانية مهمة الانتداب على فلسطين لتعمل على تنفيذ وعد بلفور .

وقد تولى عدد من الانجليز رئاسة الادارة العسكرية البـريطانيـة في فلسطين ، فكـان اولهم الجنرال كـلايتون Klyton ، ثم خلفه آرثر موني Moony الذي ظـل على رأس الادارة العسكـرية حتى يـونيو عـام ١٩١٩ م . وكان آخرهم الجنرال بولز Bolez الذي ظل في منصبه حتى يونيو عام ١٩١٩ م ، وبعدها السير هربرت صموئيل الصهيوني اليهودي الانجليزي الادارة المدنية التي خلفت الادارة العسكرية كأول مندوب سام بريطاني على فلسطين بعد موافقة المجلس الاعلى لدول الوفاق على قيام انتداب بريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠ م .

ومما لا شك فيه ان الحكم العسكري البريطاني في فلسطين حكم سيّء ظالم للشعب العربي الفلسطيني ، وميال

جداً وبعاطفة واسعة تجاه الصهاينة اليهود ومخططاتهم الرامية لاحتلال فلسطين واستيطانها. **فهي** فترة حكم عسكري **مطلق سيطرت فيه العناصر الصهيونية اليهودية على كثير من الشؤون الادارية والفنية التي اوكلت ادارتها الى الادارة العسكرية البريطانية .**

وقد تصرف المسؤولون في الادارة العسكرية في كثير من القضايا وكأنهم يعملون في ادارة حكم مدنية مستقرة ، متناسين ان فترة حكمهم فترة انتقالية مؤقتة ، وهي فترة انتهاء الحرب العالمية الأولى ، **وهو** ما يعرف بالحالة الراهنة ، وضرورة المحافظة على الوضع الراهن في ظل الظروف الطارئة ، وهي ظروف الحرب ، وهو ما أقرته اتفاقية لاهاي الدولية عام ١٩٠٧ م ، التي تنص على « المحافظة على الحالة الراهنة ، ولا يجوز احداث تغيير جوهري في قوانين البلاد المحتلة ، ريثما تقوم حكومة مدنية دائمة » .

- التعاون بين الادارة العسكرية وبين الصهيونية :

لقد قام تعاون واضح بين الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين وبين الصهيونية . فسمحت الادارة العسكرية لوفد صهيوني يهودي برئاسة الدكتور حاييم وايزمن بزيارة القدس من اجل الاجتماع بالزعماء الفلسطينيين وازالة مخاوفهم من تصريح بلفور وما تضمنه من اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وقد هيأ الكولونيل رونالد ستورز (Ronald Storrs) حاكم مدينة القدس الجو المناسب والحماية الكافية للوفد الصهيوني اليهودي . وبذل مساعيه لعقد اجتماعات بين وجهاء فلسطين وزعمائهم وبين الوفد الصهيوني ، الغرض منها شرح وجهة نظر الصهيونية ومشروعاتها في فلسطين لازالة مخاوف الشعب الفلسطيني من اهداف وعد بلفور . وعلى أي حال فإن الشعب الفلسطيني ليس بحاجة الى وعظ وارشاد في هذا المجال . فهو شعب يعرف حق المعرفة ما تنطوي عليه اهداف الصهيونية ومشروعاتها في تأسيس الوطن القومي اليهودي في أرضهم ، وما تهدف اليه الصهيونية العالمية من تهجير اليهود من بلدان العالم ليدفعوا بهم الى فلسطين لاستيطانها ، واحلال اليهود محل الشعب الفلسطيني ، وتهجير الشعب الفلسطيني الآمن من بلاده ليعيش هنا وهناك مشرداً بلا وطن . وهكذا فإن وعد بلفور ومخططات الصهيونية في احتلال فلسطين واستيطانها هي في حد ذاتها ضربة قاصمة ضد الانسانية وضد حقوق الانسان ، تلك الحقوق التي تتشدق بها بريطانيا والدول الاوروبية الأخرى والولايات المتحدة الامريكية .

وقد حاول الحاكم البريطاني الكولونيل ستورز ان يقنع اعيان المسلمين في بيت المقدس ببيع الممر الموصل الى حائط البراق على اعتباره ممراً يخص اليهود ويوصلهم الى حائط المبكى مقابل مبلغ ثمانين ألف جنيه مصري . وقد رفض زعماء المسلمين هذا العرض الدنيء لأن الوطن لا يباع بأموال الدنيا كلها من جهة ، ولأن المسلمين هم اكثر اتباع الديانات السماوية الثلاث تسامحاً دينياً ، وهم أصحاب الحق الديني والتاريخي والقانوني في بيت المقدس وفي فلسطين ، ذلك الحق الذي أثبتته مسيرة التاريخ على مدى أربعة عشر قرناً .

وسمحت الادارة العسكرية للوفد الصهيوني اليهودي بزيارة عدد من المدن الفلسطينية ، وفي مدينة يافا جاهر الصهاينة اليهود في بيان أهدافهم ، وعقدوا مؤتمراً أعلنوا فيه برنامجهم الخاص بانشاء الوطن القومي لليهود في أرض فلسطين ، وطالبوا بانشاء علم للصهاينة اليهود في فلسطين هو نجمة داود السداسية ، وطالبوا ان تكون اللغة العبرية لغة رسمية كاللغة العربية ، وطالبوا باستخدام عبارة أرض اسرائيل بدلاً من كلمة فلسطين .

وجاء في تقرير رسمي مؤرخ في ٧ يوليو عام ١٩٢٠ م ، رفعه الجنرال بولز آخر حاكم عسكري في حكومة الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين ان الصهاينة اليهود وعلى رأسهم ابراهيم اسحق كوك ، الحاخام الأكبر لليهود في فلسطين ، وسيشكن ، نائب رئيس الجمعية الصهيونية ، ومجلس الربانيين اليهود في فلسطين قد طلبوا بشكل رسمي من الحكومة البريطانية المحتلة لفلسطين أن تعطيهم المسجد الاقصى . وهكذا نلاحظ ان اطماع اليهود التوسعية في فلسطين بدأت تنكشف على حقيقتها ، فبالامس طلب الوفد الصهيوني بزعامة الدكتور حاييم-وايزمن من الحكومة البريطانية ان تعينهم على وضع أيديهم على الممر المؤدي الى حائط البراق كوسيلة من وسائل السيطرة على حائط البراق له فيما بعد ، وها هم اليوم في عام ١٩٢٠ م يطالبون الحكومة البريطانية المنتدبة على فلسطين أن تعطيهم المسجد الاقصى برمته . المسجد الاسلامي المقدس الذي عمره المسلمون وحافظوا عليه في عهودهم المختلفة .

وعلى أي حال فإن عرب فلسطين لم يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه الأعمال العدوانية البريطانية الصهيونية على حقوقهم وحقوق امتهم الاسلامية فقاموا بتأسيس الجمعيات العربية الفلسطينية في كل مدن فلسطين وقراها ، وعقدوا المؤتمرات الشعبية ، وقدموا عرائض الاحتجاجات ضد الاحتلال وسياسة التهويد . وقد تطور هذا الموقف العربي الفلسطيني ليصبح ثورة فلسطينية ضد بريطانيا وضد حليفتها الصهيونية العالمية . وهذا الجهاد الفلسطيني سنراه في مكان آخر من هذا الكتاب ان شاء الله .

الفصل الثالث

الادارة المدنية في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين

أنهت الحكومة البريطانية العمل بالادارة العسكرية في فلسطين بعد صدور موافقة المجلس الأعلى لدول الوفاق على جعل بريطانيا دولة منتدبة على فلسطين في أول يوليو عام ١٩٢٠ م ، وأقامت ادارة مدنية بدلاً عنها .

وتأتي هذه المرحلة الجديدة من مراحل الحكم البريطاني في فلسطين متلائمة مع طبيعة الأوضاع السياسية العامة التي سادت الجو السياسي العام في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وتأتي أيضاً متمشية مع المخططات الصهيونية ، لأن الادارة المدنية تسهل على بريطانيا وعلى الصهيونية العالمية تنفيذ وعد بلفور . كما أن الادارة المدنية تسهل سبل التعاون بين المسؤولين البريطانيين وبين قيادة حركة الصهيونية بشكل أفضل مما هي عليه في عهد الادارة العسكرية .

وتأسيساً على هذا فإن الادارة المدنية البريطانية في فلسطين لا بد وان تكون متفاهمة مع القيادة الصهيونية من جهة ، ومتفهمة لمشروعات الصهيونية وأطماعها في فلسطين من جهة ثانية . وقد يتأتى ذلك عن طريق تعيين طاقم بريطاني في الادارة المدنية يعطف على الصهيونية ومخططاتها ، عن طريق تعيين جماعة من المسؤولين البريطانيين الذين هم من أصل يهودي ، أو ممن آمن بالصهيونية ومشروعاتها التوسعية الاستعمارية ، أو من البريطانيين الذين يؤمنون بالمبدأ الذي يجمع بين القوى الاستعمارية ذات المصالح المشتركة او المترابطة .

وبناءاً عليه فإن بريطانيا انتدبت الصهيوني اليهودي هربرت صموئيل ليكون أول مندوب سام بريطاني على فلسطين .

- هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني :

معروف ان هربرت صموئيل هو رجل بريطاني صهيوني يهودي متعصب للحركة الصهيونية بشكل يصل الى حد التطرف . وقد عينت الحكومة البريطانية هربرت صموئيل لينفذ ما ورد في وعد بلفور ، وليساعد اليهود على بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وعلى قيام الدولة اليهودية والكيان الصهيوني الذي سيحل محل حكومة الانتداب في فلسطين بعد انتهاء فترة انتدابها . وجدير بالذكر ان الحركة الصهيونية هي التي ضغطت على الحكومة البريطانية والزمتها بتعيين هذا الصهيوني اليهودي الانجليزي المتطرف في منصبه هذا في ١ يوليو عام ١٩٢٠ م قبل ان تعهد عصبة الأمم للحكومة البريطانية بتوقيع معاهدة الصلح من الدولة التركية من جهة وقبل ان تقر عصبة الأمم انتداب

بريطانيا على فلسطين ، لأن اقرار عصبة الأمم على بنود الانتداب جاء في ٢٩ سبتمبر عـام ١٩٢٣ م بعد ان وقعت الحكومة التركية على معاهدة الصلح المنوطة بها . وهذا الاجراء البريطاني يبيّن لنا بوضوح عدة علامات من أهمها :

١ ـ مدى السلطة الفعلية التي تتمتع بها بريطانيا في المجلس الأعلى لـدول الوفـاق (الحلفاء) من جهـة ، والسلطة القوية التي لها في مجلس عصبة الأمم من جهة أخرى .

٢ ـ مدى التواطؤ القائم بين الحكومة البريطانية وبين الحركة الصهيونية العالمية .

٣ ـ مدى التواطؤ بين الحكومة البريطانية وبين الدول الكبرى ذات التأثير الفعلي في مجلس عصبة الأمم .

٤ ـ مدى عدم اكتراث بريطانيا بالقانون الدولي ومبـادىء الدبلومـاسية وأسسهـا ، حين نـراها تقـوم بتطبيق نـظام الانتداب في فلسطين قبل اقراره رسمياً بأكثر من ثلاث سنوات ، من ١ يونيو عام ١٩٢٠ م الى ٢٩ سبتمبر عام ١٩٢٣ م .

٥ ـ مدى الالحاح الصهيوني على البريطانيين من اجل وضع ما جاء في وعد بلفور موضع التنفيذ والعمل الفعلي دون انتظار القضايا الروتينية التي هي في نظر الصهيونية امور عادية تحتاج الى مجرد وقت لكنها لا تؤثر من بعيد او قريب على أهداف الصهيونية ومخططاتها ومشروعاتها .

وبناء عليه فإن تعيين هربرت صموئيل كان ضربة موجهة ضد الشعور القومي العربي والاسلامي بعامة ، وضد الشعب الفلسطيني بخاصة ، وأن تعيينه ملأ الجو العربي مخاوف واحتمالات خطيرة ، وشكل مظلمة حامية للصهاينة اليهود في فلسطين ، وعليه كان لا بد من ازدياد نشاط الحركة الوطنيـة الفلسطينيـة ضد الحكـومة البـريطانيـة وضد الصهيونية .

ـ الاجراءات الادارية والتنظيمية في فلسطين في عهد الادارة المدنية :

نظمت حكومة الانتداب حكومة تدير شؤون فلسطين يأتي منصب المندوب السامي البريطاني في قمتها . وألفت مجلساً تنفيذياً يساعد المندوب السامي البريطاني في ادارة شؤون البلاد . وقد تألف هذا المجلس من : سكرتـير عام خاص بالأمور الادارية وقد تولاه ويندهام ديدس ، وهو نائب المندوب السامي البريطاني ، الى جانب سكرتير خاص بالأمور المالية والاقتصادية ، وسكرتير خاص بشؤون القضاء والقانون ، وهو في منصب النائب العام وبيده وضع صيغ القانون وسن التشريعات . ويعد هذا المنصب من أهم المناصب العليا في الادارة المدنية البريطانية في فلسطين ، وقد تولاه المستر نورمان بنيتويش (Norman Benwitch) في الفترة بين ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ م .

واننا اذ القينا نظرة عامة على المجلس التنفيذي هذا ، فإننا نجده على شاكلة التنظيمات الادارية التنفيذية التي طبقتها بريطانيا العظمى في مستعمراتها . فالانتداب هو نوع من أنواع الاستعمار البشع ، لكنه اتخذ تعبيراً اصطلاحياً لا ينطبق مسماه على واقعه الفعلي والحقيقي . وقد يظل هذا التعبـير الاصطلاحي غـامضاً لـدى الكثيرين الـذين لم يجربوه ، ولكن عيوبه انكشفت وزال القناع الذي تستره عند أولئك الناس الذين جربوه واكتوا بناره الحارقة الظالمة .

وقد اهتمت الحكومة البريطانية بأمر الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فنظمت لها ادارة خاصة أطلقت عليها اسم دائرة الهجرة ، وعينت عليها موظفاً بريطانياً يهودياً ، يعطف على الصهيونية ومشروعاتهـا التوسعيـة الاستعماريـة في

فلسطين لأن الهجرة اليهودية الى فلسطين تشكل القاعدة الأساسية التي تقوم عليها انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وبالتالي فإن اليهود المهاجرين الى فلسطين هم افراد هذا الكيان الصهيوني المزعوم .

وقد ركزت الحكومة البريطانية على مسألة الاراضي الفلسطينية ، تلك الاراضي التي لا بد من اعدادها وتهيئتها لليهود تنفيذاً لوعد بلفور . فقد انشأت دائرة خاصة للاراضي على غرار دائرة الهجرة ، وعينت عليها أيضاً موظفين انجليز من أصل يهودي او ممن يؤيد اليهود والصهيونية ويعطف على مطالبهم الاستعمارية .

وقد شكل المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل مجلساً استشارياً ليس له صفة تنفيذية ضم عشرين عضواً كان نصفهم من الانجليز وتكون النصف الآخر من اربعة أعضاء مسلمين ، وثلاثة أعضاء نصارى وثلاثة أعضاء يهود ، علماً بأن العرب المسلمين يشكلون غالبية سكان فلسطين .

وعلى الرغم من هذا الاسلوب البريطاني الاستعماري المتبع في حكم فلسطين ، فإن حكومة بريطانيا ظلت تحاول تمويه الحقائق ، وظلت تعمل بأسلوب المراوغة والخداع تجاه الشعب الفلسطيني وحقوقه الشرعية الاصيلة في فلسطين . فكان هربرت صموئيل قد اجتمع بوفد من عرب فلسطين في ٧ يوليو عام ١٩٢٠ م . أي بعد توليه منصبه كمندوب سام بريطاني ستة أيام ، والقى بياناً وضح فيه سياسة الحكومة البريطانية المنتدبة على فلسطين ، الرامية الى احترام حقوق جميع الاجناس وجميع أتباع الديانات السماوية الثلاث . وأشار بشكل مفصل الى الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ومدى ما سيقوم به اليهود في فلسطين من ترقية احوالها الاقتصادية ـ على حد زعمه ـ . وقد تطرق أيضاً الى موضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين وأعطاها عناية خاصة .

وهكذا نلاحظ انه منذ ان غيرت الحكومة البريطانية الادارة العسكرية الى إدارة مدنية ، ومنذ تولي هربرت صموئيل على رأس هذه الادارة ، فقد وضع الأساس الذي ستسير على نهجه حكومة الانتداب في سياستها في حكم فلسطين . وقد تركز هذا النهج السياسي على مبدأ خدمة المصالح الاستعمارية البريطانية الصهيونية . وقد حدد هذا النهج السياسي باستخدام جميع الاساليب والوسائل التي تعمل على تنفيذ وعد بلفور في انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وفتح باب الهجرة اليهودية الى فلسطين على مصراعيه ، والعمل على منح اليهود تسهيلات اقتصادية في فلسطين ، واعطائهم حق تأسيس الشركات ذات المردود الاقتصادي الكبير ، وذات التأثير الاجتماعي الفعال لتكون وسائل مقنعة للاجابة على ما طرحه هربرت صموئيل وغيره من السياسيين البريطانيين بأن اليهود سوف يساعدون على ترقية احوال فلسطين من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية الحضارية . وهكذا فقد منحت حكومة الادارة المدنية اليهود حق انشاء مشروع روتنبرج للكهرباء ، وروتنبرج هو يهودي روسي ، حصل على امتياز توليد الكهرباء عام ١٩٢١ م ، لمدة سبعين سنة ، وينص الامتياز بألا يسمح لغيره بتنوير أي مكان في فلسطين الا باذن من روتنبرج . ومشروع استخراج بوتاس البحر الميت وغيرهما من المشروعات الاقتصادية التي تعود على رأس المال الصهيوني اليهودي بالربح المادي والسيطرة على المرافق الاقتصادية الأساسية في فلسطين .

وقامت بريطانيا بتوجيه من هربرت صموئيل باصدار الكتاب الأبيض عام ١٩٢٢ م ، الذي أشار الى الاتصالات التي تمت في لندن بين وفد فلسطين برئاسة كاظم الحسيني وبين المسؤولين في الحكومة البريطانية ، تلك المفاوضات التي عبر فيها الوفد الفلسطيني عن مطالبه وعن مخاوفه من الوطن القومي اليهودي في فلسطين ومن الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وقد تضمن الكتاب الابيض هذا رفضاً للمطالب والاقتراحات الفلسطينية ، وتتضمن أيضاً

تصميم بريطانيا على تنفيذ سياسة الانتداب في انشاء الوطن القومي اليهودي ، وفي تسهيل عملية الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وحاولت بعد كل هذا ان تفسر الوطن القومي اليهودي في أنه لا يعني جعل فلسطين ارضا يهودية بكاملها . وانما هي تعد فلسطين للحكم الذاتي ، وستضع دستورا له ، وستعمل على انشاء مجلس تشريعي يضم نسبة عالية من المنتخبين ، وسيتألف المجلس التشريعي هذا من المندوب السامي البريطاني رئيساً ومن اثني عشر منتخباً ومن عشرة اعضاء رسميين تعينهم بريطانيا .

ويعد الكتاب الابيض هذا مسودة لدستور فلسطين في عهد الانتداب . وقد رفض الشعب الفلسطيني هذا الكتاب وما حواه من مشروعات لأنه لم يتعرض للوطن القومي اليهودي ، والهجرة اليهودية الى فلسطين . ولما رفض الفلسطينيون هذا المشروع ، عدلت عنه بريطانيا ، واستمرت في سياستها التي يقوم في تنفيذها هربرت صموئيل ومساعدوه من انجليز ويهود .

والغريب حقاً ان يتبجح ونستون تشرشل (Winston Churchill) امام الوفد الفلسطيني الذي اجتمع به في لندن ، ويرفض مطالب الفلسطينيين ويقول لهم : « تطلبون مني ان اتنكر لوعد بلفور ، وأن اوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ان هذا ليس بمقدوري أبداً ، ولا استطيع البت فيه ايضاً » .

وهكذا فقد حقق اليهود عدداً من المكاسب في تنفيذ سياستهم الرامية الى انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين بفضل جهود هربرت صموئيل ورجال ادارته .

لقد شكلت حكومة الادارة المدنية في فلسطين في مارس عام ١٩٢١ م مجلساً اسلامياً أعلى يشرف على ادارة شؤون الاوقاف الاسلامية وتعيين القضاة في المحاكم الشرعية ، وجعلوا مركزه مدينة القدس . وقد تأسس هذا المجلس بعد الثورات التي قام بها الشعب الفلسطيني ضد حكومة الانتداب وضد الصهيونية ، وعلى ما قام به السكان العرب المسلمين من احتجاجات ضد التصرف البريطاني في مقدراتهم وحقوقهم ، بخاصة احتجاجهم ضد ما أصدرته المحكمة من حكم مجحف ضد العرب أثناء معالجتها لحالة الاضطرابات التي حدثت في القدس في ٢ نوفمبر ١٩٢١ م ، بمناسبة صدور وعد بلفور المشؤوم .

وقد نظم المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى ، وحددت الواجبات التي انيطت به في الوظائف الرئيسية الاتية :

١ - يقوم المجلس الاسلامي الاعلى بادارة الاوقاف الاسلامية ومراقبتها وتدقيق الميزانية السنوية والتصديق عليها .

٢ - يقوم المجلس بتعيين القضاة الشرعيين ، وتعيين رئيس محكمة الاستئناف الشرعية وأعضائها ، وتعيين مفتش المحاكم الشرعية ،

٣ - يقوم المجلس بعزل مأموري الاوقاف وسائر موظفي الشرع ممن يتقاضون رواتب من صندوق الاوقاف .

وجدير بالاهتمام هنا أن اول رئيس عين لهذا المجلس هو كامل الحسيني ، وقد خلفه في هذا المنصب اخوه الحاج امين الحسيني ، مفتي القدس عام ١٩٢٢ م . وقد أدى هذا المجلس الى تنظيم المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية ودوائر الاوقاف والمؤسسات الاسلامية الاخرى . الى جانب اهتمامه بشؤون المسجد الاقصى ومسجد الصخرة المشرفة والعناية بأمر تعميرهما وصيانتهما .

وقد أصدر المجلس الاسلامي الاعلى فتوى شرعية بتحريم بيع الاراضي لليهود، ووعد الذين يقومون بهذه العملية خونة مجرمين ، فلا يجوز الصلاة عليهم بعد وفاتهم ، ولا يجوز ايضاً دفنهم في مقابر المسلمين . وتبصيرهم بالاخطار المحدقة بهم من جراء مشروعات الصهيونية وأهدافهم الاستعمارية التوسعية في فلسطين أولاً ثم في الوطن العربي بعد ذلك .

ـ الوكالة اليهودية والمؤسسات الصهيونية في فلسطين :

انشئت الوكالة اليهودية في فلسطين عام ١٩٢٢ م بناءً على ما ورد في المادة الرابعة من صك الانتداب والتي تنص على قيام وكالة يهودية يعترف بها كهيئة استشارية للادارة المدنية في ظل حكومة الانتداب ، والتعاون معها في المسائل الاجتماعية والاقتصادية ، مما قد يهيىء السبيل أمام اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ومما ييسر حماية مصالح اليهود فيها .

وظلت المنظمة الصهيونية العالمية تقوم بكل المهام التي اسندها صك الانتداب للوكالة اليهودية في الفترة بين ١٩٢٢ ـ ١٩٢٩ م ، وفي عام ١٩٢٩ ، في المؤتمر الصهيوني السادس عشر تشكلت لأول مرة اجهزة خاصة بالوكالة اليهودية ، وبذلك ظهرت الوكالة اليهودية على شكل هيئة مستقلة ، إلا أن المنظمة الصهيونية العالمية ظلت تسير هذه الوكالة وتسيطر عليها .

وقد أسند المؤتمر الصهيوني السادس عشر للوكالة اليهودية عدة امور هي :

١ ـ نشر اللغة العبرانية والتراث العبراني في فلسطين ،
٢ ـ العمل على شراء الاراضي في فلسطين ،
٣ ـ العمل على بناء المستوطنات الزراعية اليهودية في أرض فلسطين ،
٤ ـ العمل على زيادة عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين .

وتعد الوكالة اليهودية حكومة داخل حكومة الانتداب ، لأنها ظلت تقوم بادارة امور اليهود وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والفكرية والسياسية ، وقدمت حكومة الانتداب للوكالة اليهودية كل الحماية والتسهيلات التي تمكنها من انشاء الوطن القومي لليهود في أرض فلسطين العربية .

وقد اتخذت الوكالة اليهودية مدينة القدس مقراً لها ، وأصبحت تشرف على حركة الهجرة اليهودية الى فلسطين ، والاستيطان اليهودي على أرض فلسطين ، والاشراف التام على جميع الخدمات العامة لليهود بالتعاون مع المجلس الوطني اليهودي ، الى جانب اشرافها على القوات المسلحة اليهودية (الهاغاناه) . وكان لها ممثلية في لندن ، ثم اصبح لها فرع في مدينة نيويورك للعمل على جمع المساعدات والمعونات من يهود امريكا ومن الامريكيين من جهة ، ولتقوم بتسيير شؤون الوكالة اليهودية في الولايات المتحدة الامريكية التي اصبحت بعد الحرب العالمية الثانية مركز الدعم الحقيقي للحركة الصهيونية .

وظلت الوكالة اليهودية تمارس أنشطتها حتى نهاية فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، وبعد ذلك توحدت الوكالة اليهودية مع المنظمة الصهيونية في منظمة واحدة أطلق عليها اسم « المنظمة الصهيونية العالمية ـ الوكالة

اليهودية » وقد انسلختا ثانية عام ١٩٧١ م ، إلا ان المنظمة الصهيونية العالمية ظلت تعين نصف أعضاء الأجهزة القيادية في الوكالة اليهودية . وقد انكمشت مهام المنظمتين : المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية بعد قيام الكيان الاسرائيلي لأن الحكومة الاسرائيلية أصبحت تشكل الجهاز الاداري والتنفيذي في اسرائيل .

وبناء على المهام التي كانت تمارسها الوكالة اليهودية في ظل عهد الانتداب البريطاني على فلسطين ، وبدعم المنظمة الصهيونية العالمية ، شكلت الوكالة اليهودية قوة فعالة ومسيطرة في فلسطين بخاصة في المسائل التي تخدم اليهود في بناء الوطن القومي اليهودي وفي الاعداد لقيام الدولة اليهودية بعد انتهاء فترة الانتداب البريطاني في فلسطين والتي حددت بخمس وعشرين سنة .

وقد تأسست في فلسطين بفضل تأييد حكومة الانتداب عدة مؤسسات صهيونية مثل : **الاتحاد العام للعمال اليهود** (الهستدروت) ، وقد تأسس هذا الاتحاد عام ١٩٢٠ م على يد جماعة من يهود أوروبا الشرقية الذين قالوا بحق العامل اليهودي وحده في العمل في المصانع والمستعمرات اليهودية ، وقد ضم هذا الاتحاد جميع العمال اليهود ، وشكل النقابات العمالية التي تحمي مصالح العامل اليهودي في ظل حكومة الانتداب .

كما وأسست المنظمة الصهيونية العالمية **المجلس القومي اليهودي** في فلسطين عام ١٩٢٠ م ، وظيفته الاشراف على شؤون اليهود في فلسطين . وظلت سلطة هذا المجلس في النمو التدريجي لأنه يشكل اداة رسمية تقوم بدور المحافظة على تطوير أوضاع اليهود في فلسطين .

كما وأسست المنظمة الصهيونية العالمية **الصندوق التأسيسي** لدعم اليهود في فلسطين عام ١٩٢٠ م ، وظيفته تلقي العون المالي من جميع الجهات الصهيونية وغير الصهيونية لتمويل الهجرة اليهودية الى فلسطين وبناء المستوطنات الصهيونية اليهودية فيها .

الفصل الرابع

السياسة البريطانية لتهويد فلسطين

اتخذت حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين في عهد حكومة الادارة المدنية عدة اجراءات وقرارات وأعمال الهدف منها محاولة تهويد فلسطين على الرغم من المقاومة الفلسطينية الحادة لها . فهي حكومة الانتداب ، وهي صانعة وعد بلفور ، وهي الآن تقوم بدور المنفذ لتصريح بلفور الرامي الى انشاء الوطن القومي اليهـودي في فلسطين ، في قلب العالمين العربي والاسلامي على الرغم من الثورة الفلسطينية العارمة ضد بريطانيا والصهيونية ، وعلى الرغم من المعارضة والثورة في العالمين العربي والاسلامي ضد الاستعمار بخاصة الاستعمارين : البريطاني والفرنسي .

وقد اتخذت بريطانيا عدة أساليب في سبيل تطبيق عملية تهويد فلسطين نذكر من اهمها الاتي :

أولاً : في مجال القوانين والأنظمة والقرارات :

عين هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في فلسطين نـورمان بنتـويش في منصب النائب العـام الذي يتولى وضع الأنظمة والقوانين التي تشكل في كليتها الدستور الذي يطبق في فلسطين في عهد حكومة الانتداب . وكان نورمان بنتويش الانجليزي من الانجليز المتطرفين في حماسهم وتأييدهم للحركة الصهيونية ومشروعاتها التوسعيـة في فلسطين . ولكي تحكم بريطانيا قبضتها على الأمور وتجعلها تسير باتجاه صف اليهود وسياسة التهويد ، عينت مديراً عاماً للهجرة اليهودية ، ومديراً عاماً للاراضي ، ومـديراً عـاماً للمسـاحة ، كلهم من الغـلاة المتعصبين للصهيـونية العالمية . ونحن نعرف مدى ارتباط الارتباط بين دائرة الهجرة ودائرة الاراضي ودائرة المساحة وبينها وبـين القوانـين والأنظمة والترتيبات ذات الصلة بهذه الأمور . كما ان بريطانيا أوكلت امر الاستشارة والتنسيق والتعاون الى المنظمـة الصهيونية العالمية التي قامت بدورها بانشاء الوكالة اليهودية التي بدأت تسير أمور الصهاينة اليهود في فلسطين وتخطط لانجاح مشروعاتهم التوسعية بدءاً بعام ١٩٢٨ م .

وهكذا حدث لقاء في المصالح المشتركة بين البريطانيين وبين الصهاينة اليهـود ، مما أوجـد تعاون مستمـر بين الادارة المدنية البريطانية في فلسطين وبين الصهاينة اليهود فيها عن طريق تعيين عدد من البريطانيين الموالين للحركة الصهيونية في المراكز العليا في الادارة المدنية البريطانية في فلسـطين من جهة ، وعن طـريق منح الحـركة الصهيـونية العالمية الاستقلال في ادارة شؤون الصهاينة اليهود في فلسطين والاشراف على جميع امورهم واحوالهم ، وتوجيههم الى

كل الوسائل التي من شأنها ان تعمل على تهويد فلسطين لتكون وطناً قومياً يهودياً .

وقد اصدرت الادارة المدنية البريطانية في فلسطين بالتعاون مع كل من المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية عدة قرارات في سبيل تهويد فلسطين تدريجياً ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ أصدرت الادارة المدنية البريطانية في فلسطين قراراً يعتبر اللغة العبرية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية واللغة الانجليزية . ويعد هذا القرار قراراً مجحفاً بحق العرب لأن اللغة الانجليزية واللغة العبرية تعدان طارئتان في فلسطين التي ظلت فيها اللغة العربية هي اللغة السائدة الوحيدة طيلة أربعة عشر قرناً من الزمن ، وان اعتبار اللغتين الانجليزية والعبرية لغتين رسميتين ما هو إلا اجراء يتناسب مع مبدأ الاحتلال البريطاني من جهة وتنفيذاً لوعد بلفور من جهة ثانية

٢ ـ أصدرت حكومة الانتداب قراراً باغلاق البنك الزراعي الذي كان موجوداً في فلسطين ابان العهد العثماني ، وكان هذا البنك يقدم قروضاً للفلاحين الفلسطينيين من اجل تصريف امورهم الزراعية . وقد رأت بريطانيا في اغلاق هذا البنك فرصة سانحة لها وللصهيونية لوضع يدها على أراضي الفلاحين الذين لم يفولم بتسديد ما عليهم من قروض ، أو اجبارهم على بيع أراضيهم بخاصة عندما فرضت على الارض الزراعية ضرائب عالية . كما ان هذا الاجراء كان يقصد منه تهديم الجانب الاقتصادي الزراعي عند الفلاحين العرب في فلسطين ، مما يؤدي ايضاً الى تقليل قيمة الأرض في نظر الفلاح الفلسطيني فينصرف عنها ، ويصبح جل عمله مرتبطاً بأعمال اخرى ذات ارتباط بالحكومة البريطانية التي تدير شؤون البلاد الفلسطينية من خلال انتدابها على فلسطين .

٣ ـ منحت حكومة الانتداب حق الاستفادة من نهر الاردن وروافده ، ونهر اليرموك ، ومياه بحيرة طبريا ، ونهر العوجة لشركة توليد الكهرباء التي يملكها يهودي روسي هو روتنبرج ، بعد ان منحته حق توليد الكهرباء في جميع فلسطين لمدة سبعين عاماً ، بينما رفضت عدة عروض قدمت اليها من قبل شركات عربية . وبهذا تكون حكومة الانتداب قد أعطت امتياز توليد الطاقة الكهربائية الى شركة يهودية .

٤ ـ منحت حكومة الانتداب حق استخراج معادن البحر الميت وأملاحه الى جماعة يهودية وكلاء لشركة البوتاس الفلسطينية التي مقرها في مدينة لندن . وبهذا تكون حكومة الانتداب قد أعطت اليهود حق استغلال الثروات الطبيعية في فلسطين بخاصة في البحر الميت الذي يحوي ماؤه على أملاح البوتاس والمنغنيز والفوسفات وملح الطعام وغير ذلك من المواد الخام اللازمة للتصنيع .

٥ ـ أعطت حكومة الانتداب صلاحيات واسعة للمنظمة الصهيونية العالمية وللوكالة اليهودية ، ووافقت على تأسيس المنظمات الصهيونية ذات الطابع المالي الاقتصادي والسياسي والأجتماعي ، بينما حرمت الشعب العربي الفلسطيني من هذا كله .

٦ ـ ساعدت حكومة الانتداب الصهاينة اليهود في فلسطين على تكوين قواتهم المسلحة (الهاغاناه) ، وأمدتهم بالسلاح والتدريب والحماية ، بينما حرمت على الفلسطينيين حمل السلاح او اقتنائه .

٧ ـ اصدرت حكومة الانتداب عام ١٩٢٦ م قانون العقوبات المشتركة على المدن والقرى التي يشترك اهلها في هجمات على اليهود . والهدف من هذا القانون حماية اليهود في فلسطين من جهة ، وتبرير حق اليهود في حمل السلاح

وإقامة الحراسة على مستوطناتهم من جهة ثانية .

٨ ـ ساعدت حكومة الانتداب الصهاينة اليهود في فلسطين على اقامة معارض لمنتوجاتهم الزراعية ومصنوعاتهم كما هو الحال في المعرض الذي أقامه اليهود في مدينة القدس عام ١٩٣٤ م ، وقد حضره المندوب السامي البريطاني . وكان فرصة ممتازة لليهود لأن السلطات البريطانية سمحت بدخول عشرات الآلاف من المهاجرين اليهود الى فلسطين بحجة زيارتهم للمعرض اليهودي المقام في القدس ، بينما رفضت القنصليات البريطانية في البلاد العربية بمنح تأشيرات السفر لآلاف من العرب الذين رغبوا في زيارة المعرضين الزراعيين والصناعيين اللذان أقامهما الفلسطينيون في مدينة القدس عامي ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ م .

٩ ـ ساعدت بريطانيا اليهود أثناء الحرب العالمية الأولى حين انخرط عدد منهم في صفوف جيوش الحلفاء ، فتدربوا على استعمال الأسلحة الحديثة والخطط العسكرية والتدريب الميداني الحديث ، كما ان اليهود استطاعوا ملء مخازنهم بالأسلحة الحديثة التي سوف يستخدمونها ضد الشعب الفلسطيني في ساعة الصفر . ونظم اليهود العصابات استعداداً للمعركة ضد العرب الفلسطينيين عندما تنسحب بريطانيا من فلسطين عند انتهاء مدة انتدابها عليها .

وتبرز قضيتان مهمتان في سياسة التهويد التي اتبعتها بريطانيا في فلسطين في عهد الانتداب . والقضيتان هما : قضية الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وقضية اعطاء الاراضي الفلسطينية وتسليمها بأساليب مختلفة الى اليهود .

أما قضية الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فمن المعروف بداهة أن الدول الاستعمارية الاوروبية بزعامة بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية تدركان تماماً أن الوطن القومي اليهودي في فلسطين يعتمد في المقام الأول على ما يمكن تهجيره من يهود العالم الى فلسطين من جهة ، وعلى محاولات تفريغ فلسطين من سكانها العرب الشرعيين من جهة ثانية .

وبناءً على هذا المبدأ الاستعماري وبالتعاون مع الحركة الصهيونية العالمية قامت هجرة يهودية منظمة الى فلسطين ازدادت حدتها بعد صدور وعد بلفور بشكل يتناسب مع سياسة بريطانيا في تنفيذ هذا الوعد . وقد اهتمت الحركة الصهيونية العالمية بأمر هجرة يهود العالم الى فلسطين ، وأخذت تجند كل امكاناتها لهذا الغرض ، كما أخذت تستفيد من كل الظروف المواتية ، وابتدعت الكثير من الأساليب والوسائل لتحقيق هذه الغاية .

الهجرة اليهودية في القرن التاسع عشر الميلادي :

مما لا شك فيه ان الهجرة اليهودية الى فلسطين لم تكن وليدة تصريح بلفور ، وانما كانت أسبق من ذلك بكثير لأن اهداف الحركة الصهيونية كانت اسبق في جذورها من وعد بلفور ، كما ان مشروعاتها الاستعمارية الرامية الى استيطان فلسطين كانت أسبق من وعد بلفور بمدة طويلة .

كان عدد اليهود في فلسطين عام ١٨٤٥ م لا يتجاوز في حدود (١٢,٠٠٠) يهودي يعيشون ضمن البوتقة العربية الفلسطينية التي كانت تشكل في حدود ٩٥٪ من مجموع السكان . وقد ازداد عدد اليهود بشكل تدريجي ، فوصل عددهم عام ١٨٨٢ م في حدود (٢٤,٠٠٠) يهودي ، أي ان اليهود زاد عددهم (١٢,٠٠٠) في فترة لا

تتجاوز الاربعين سنة . وزاد عدد اليهود عام ١٨٩٥ م فوصل الى (٤٧,٠٠٠) يهودي في فلسطين ، أي بزيادة تصل الى ١٠٠٪ في فترة لا تتجاوز ثلاثة عشر سنة .

وزاد عدد المهاجرين اليهود الروس بسبب ما لحق بهم من جراء اشتراك اليهود الروس في قتل قيصر الروس ، وبسبب تخطيطات المنظمة الصهيونية العالمية التي تحاول أن تستفيد من كل الظروف المواتية لتهجير أكبر قدر من يهود أوروبا الشرقية الى فلسطين . ومع مطلع القرن العشرين الميلادي أصبح عدد اليهود في فلسطين في حدود (٥٠,٠٠٠) يهودي ، كان جلهم قد هاجروا من روسيا ومن بلدان اوروبا الشرقية . وقد استوطن هؤلاء اليهود مدينتي القدس ويافا . وجدير بالذكر هنا ان فلسطين وقتذاك كانت تحت الحكم العثماني .

الهجرة اليهودية في القرن العشرين الميلادي :

تميز القرن العشرين الميلادي بعدة حوادث تاريخية مهمة ساعدت المنظمة الصهيونية العالمية على تنظيم الهجرة اليهودية الى فلسطين ، مما أدى الى ازدياد عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين والى ارتفاع نسبتهم بين السكان العرب . ومما قوى أيضاً من اطماع اليهود الصهاينة في استيطان فلسطين والعمل على انشاء الوطن القومي اليهودي فيها . نذكر من أهم هذه الحوادث :

١ ـ قيام الحرب العالمية الأولى بعد ان تعذر على الدول الاستعمارية الكبرى سبيل الوصول الى تفاهم بينها .

٢ ـ تصريح بلفور وما تضمنه من انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، والتأييد الدولي الاستعماري له .

٣ ـ انتصار دول الوفاق على دول الوسط في الحرب العالمية الأولى ، وقد ساعد هذا الظرف الدولي على نجاح المخططات الصهيونية الاستعمارية .

٤ ـ بعض الظروف العامة التي ألمت باليهود في أوروبا الشرقية ، بخاصة ما لاقوه من اضطهاد في روسيا القيصرية وغيرها من بلدان أوروبا الشرقية بسبب ما أصاب هؤلاء من اذى اليهود وتدخلهم في شؤونهم السياسية والاقتصادية . وقد عرف هؤلاء الاوروبيون ان اليهود جيران سيئون لا يمكن التفاهم معهم لأنهم جماعة يعد الغدر من أهم طباعهم .

٥ ـ وقوع فلسطين بخاصة وعدد كبير من البلدان العربية بعامة تحت الانتداب البريطاني والفرنسي ، وأصبحت دولتا الانتداب تسيطران على جميع مرافق الحياة في هذه البلاد .

وبناءاً عليه فقد ازدادت الهجرة اليهودية الى فلسطين في هذا القرن ، فوصل عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين في الفترة بين ١٩٠٤ ـ ١٩١٤ م في حدود (٤٠,٠٠٠) يهودي . وقد بدأ اليهود بمساعدة المنظمة الصهيونية العالمية بتأسيس المستوطنات اليهودية في فلسطين منذ عام ١٩١٤ م ، وأصبحت لهم حياتهم الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بهم . وقد ساعدتهم ظروف الحرب العالمية ، وساعدهم أيضاً الظروف التي ألمت بالدولة العثمانية وما حدث فيها من

الانقلاب الدستوري الذي أدى الى تولي الاتحاديين السلطة والى عزل السلطان عبد الحميد الثاني الذي رفض بعنف كل المطالب الصهيونية محافظاً على دينه وشرفه .

وساعدت بريطانيا الهجرة اليهودية الى فلسطين بعد احتلالها لها في الحرب العالمية الأولى ، وبعد انتدابها عليها . وساعدت أموال الأغنياء اليهود الصهاينة على تمويل الهجرات اليهودية ، وعلى بناء المستوطنات اليهودية في فلسطين ، وعلى اقامة المشروعات الزراعية والصناعية . فقد انفقت اسرة البارون ادموند روتشيلد صاحبة البنوك في أوروبا ما مقداره (٦,٥) مليون جنيه استرليني على الاستيطان اليهودي في فلسطين . وانفقت أسرة البارون دي هيرش ما مقداره عشرة ملايين جنيه استرليني في سبيل انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

لقد فتحت بريطانيا أبواب فلسطين للهجرة اليهودية المنظمة وغير المنظمة من أجل تنفيذ سياستها الرامية الى تهويد فلسطين . فكان عدد سكان فلسطين عام ١٩١٨ م في حدود (٧٠٠,٠٠٠) نسمة كان اليهود يشكلون نسبة ٨٪ من مجموع السكان العرب الذين هم الأكثرية العظمى في فلسطين اذ وصلت نسبتهم الى ٩٢٪ من مجموع السكان .

وبناء على الاحصاءات البريطانية التي اجريت لسكان فلسطين عام ١٩٢٢ م ، فقد وصل عدد سكان فلسطين الى حوالى (٧٦٠,٠٠٠) نسمة ، كانت نسبة السكان العرب في حدود ٨٧,٦٪ ، وبلغت نسبة اليهود في حدود ١١٪ ، أي ان نسبة اليهود أخذت في الازدياد التدريجي بفضل الهجرة اليهودية الى فلسطين والتي تدعمها بريطانيا والحركة الصهيونية العالمية والقوى الاستعمارية المؤيدة لها .

وقد زاد عدد اليهود في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني عليها . فوصل عدد سكان فلسطين حسب احصاء بريطانيا عام ١٩٣١ م الى حدود (١,٠٣٥,٨٢١) ، بلغ عدد السكان العرب منهم في حدود (٨٥٠,٥٠٠) نسمة ، وبلغت نسبتهم في حدود ٨٣,٢٪ بينما وصل عدد السكان اليهود الى حوالى (١٧٤,٠٠٠) نسمة ، وبلغت نسبتهم في حدود ١٦,٨٪ ، أي ان نسبة اليهود ازدادت ونسبة العرب تناقصت ، مع أن العرب نسبة تناسلهم اكثر بكثير من نسبة تناسل اليهود . وتعود زيادة نسبة اليهود في فلسطين الى ازدياد عدد المهاجرين اليهود اليها لا الى زيادة نتيجة التناسل لأن نسبة التناسل عند اليهود نسبة ليست عالية بالقدر الذي هي عند السكان الفلسطينيين العرب بخاصة المسلمين منهم .

وزاد عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين في الفترة بين ١٩٣٢ - ١٩٣٦ م اذ دخل فلسطين في هذه الفترة من اليهود في حدود (١٧٤,٠٠٠) يهودي ، مما ادى الى ارتفاع نسبة اليهود بين السكان العرب ، فوصلت الى حوالى ٢٨٪ ، ووصل عددهم في فلسطين وقتذاك الى حوالى (٣٨٥,٠٠٠) نسمة . وتعود هذه الزيادة الى ظهور النازية وما قامت به من أعمال ضد اليهود ، مما أثلج صدور زعماء الحركة الصهيونية العالمية الذين رأوا في الاضطهاد النازي لليهود فرصة كبيرة لهم للضغط على اليهود في سبيل قبول الهجرة الى فلسطين . ورأت بريطانيا في الاضطهاد النازي لليهود فرصة سانحة لاستخدام اليهود وقدراتهم الاقتصادية في المعركة التي ستخوضها ضد الالمان عندما بدت بوادر مقدمات الحرب العالمية الثانية تلوح في الأفق . وهكذا نلاحظ أن الدول الكبرى في حقب التاريخ القديم والوسيط

والحديث هي التي تسخر اليهود وطاقاتهم الاقتصادية لخدمة اهدافها الاستعمارية ، على الرغم من ان اليهود يستفيدون من ذلك مؤمنين بنظرية التحالف مع الشيطان في سبيل تنفيذ مآربهم ومصالحهم .

وقد تناقص عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين في الأعوام ١٩٤٠ م ، ١٩٤١ م ١٩٤٢ م ، ١٩٤٣ م ، بسبب الحرب العالمية الثانية ، وبسبب تفوق دول المحور الى حد ما في هذه السنوات . لكن اليهود استأنفوا الهجرة الموسعة الى فلسطين ثانية بعد ظهور علامات تفوق دول الحلفاء في الحرب ، وبعد انتهاء الحرب لصالح هذه الدول المؤيدة للصهيونية العالمية . فوصل عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين عام ١٩٤٤ م الى (١٤,٦١٦) مهاجر ، وزاد هذا العدد فوصل الى (٢٧,٥٦٩) مهاجر عام ١٩٤٦ والى (٢٠,٧٥٠) مهاجر عام ١٩٤٨ م .

وقد أعطت حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين تقديرات لعدد السكان في فلسطين قبل انتهاء فترة انتدابها ، وقبل انسحابها من فلسطين ، فقدر جميع السكان بـ (١,٩٠٨,٧٧٥) نسمة ، بلغ عدد السكان العرب (١,٣٠٣,٥٨٥) نسمة ، وبلغت نسبتهم حوالى ٦٨,٢٪ من نسبة مجموع السكان . بينما وصل عدد اليهود في فلسطين الى حوالى (٥٨٩,٣٤٠) يهودي وبلغت نسبتهم حوالى ٣١,٨٪ . وهكذا تتضح نسبة زيادة عدد اليهود في فلسطين من جراء هجرتهم اليها . فبينما كان عددهم (١٢,٠٠٠) نسمة عام ١٨٤٥ م ، نجدهم يصلون الى حوالى (٥٨٩,٣٤٠) نسمة عام ١٩٤٧ م . وزاد عددهم أيضاً عام ١٩٤٨ م ، فوصلوا في حدود (٦٥٠,٠٠٠) يهودي في فلسطين . وأمر بدهي ان تزداد أعداد المهاجرين اليهود الى فلسطين بعد حرب عام ١٩٤٨ م ، وبعد قيام الكيان الصهيوني المزعوم في ١٤ مايو ١٩٤٨ م .

السنة	عدد المهاجرين	السنة	عدد المهاجرين	السنة	عدد المهاجرين	السنة	عدد المهاجرين
١٩١٩	١٨٠٦	١٩٢٦	١٣٠٨١	١٩٣٣	٣٠٣٢٧	١٩٤٠	٤٥٤٧
١٩٢٠	٨٢٢٣	١٩٢٧	٢٧١٣	١٩٣٤	٤٢٣٥٩	١٩٤١	٣٦٦٧
١٩٢١	٩١٤٩	١٩٢٨	٢١٧٨	١٩٣٥	٦١٨٥٤	١٩٤٢	٢١٩٤
١٩٢٢	٧٨٤٤	١٩٢٩	٥٢٤٩	١٩٣٦	٢٩٧٢٧	١٩٤٣	٨٥٠٧
١٩٢٣	٧٤٢١	١٩٣٠	٤٩٤٤	١٩٣٧	١٠٥٣٦	١٩٤٤	١٤٤٦٤
١٩٢٤	١٢٨٥٦	١٩٣١	٤٠٧٥	١٩٣٨	١٢٩٦٠	١٩٤٥	١٢٠٣٢
١٩٢٥	٣٣٨٠١	١٩٣٢	٩٥٥٣	١٩٣٩	١٦٤٠٥		

جدول يوضح عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين
من عام ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ م

أما عن قضية تسليم الاراضي الفلسطينية لليهود فقد اجتهدت بريطانيا كثيراً في هذا الأمر لأن الارض

الفلسطينية هي الأرض التي عناها وعد بلفور ، هي أرض الوطن القومي الذي جاء به تصريح بلفور . فاتخذت عدة أساليب لأخذ الارض من الشعب الفلسطيني بالقوة واعطائها لليهود الصهاينة بـدون حق . فاستـولت على الارض الاميرية (الارض الحكومية) وأعطتها لليهود . وضغطت على السكان العرب الفلسطينيين عن طريق فرض ضرائب عالية على الارض ، كي لا يستطيعوا تسديدها وبالتالي تضع يدها على الارض وتقدمها منحة للصهاينة اليهود . ومنها اسلوب مصادرة أراضي العرب واعطائها لليهود. وقد سـاعدتهـا المنظمـة الصهيونيـة بالمـال اليهودي الـذي يقدمـه الصندوق التأسيسي اليهود الذي أنشأه هرتزل ورفاقه الصهاينة منذ عام ١٩٠١ م من جل دعم عملية الاستيلاء على الارض الفلسطينية وبناء المستوطنات الصهيونية عليها ، واقامة المستوطنات الزراعية ، وتقديم الدعم والمشورة لهذه المستوطنات .

لقد بلغت مساحة فلسطين في حدود (٢٧) مليون دونم مربع ، علماً بأن الدونم المربع يسـاوي (١٠٠٠) متر مربع . وكانت مساحة الاراضي المسجلة رسمياً باسم العرب الفلسطينيين في حدود (١٣,٦٧٣,٣٢٠) دونم مربع . وبلغت مساحة الارض الحكومية (الاميرية) التي تسيطر عليها حكومة الانتداب وتخضع لتصرفاتها في حدود (١٢) مليون دونم مربع . ولم يكن لليهود في فلسطين سوى (٦٥٠,٠٠٠) دونم فقط .

وقد ركزت حكومة الانتداب البريطاني على اعطاء الارض الاميرية لليهود ، متـذرعة بعـدة اسباب واهيـة . والواقع ان دولة الانتداب ليس لها أي حق شرعي او قانوني من خلاله يجوز لها حرية التصرف بأرض الغير ، أرض الشعب الفلسطيني ، أرض العرب والمسلمين .

وتجدر الاشارة هنا ان حكومة الانتداب البريطاني كانت قد سلمت اليهـود في حدود (٣٠٠,٠٠٠) دونـم من الاراضي الفلسطينية الاميرية دون مقابل ، وهي لا تملك الحق في ذلك . كما ان بريطانيا مكنت اليهود من السيطرة على (٢٠٠,٠٠٠) دونم من الاراضي الفلسطينية الاميرية لقاء اجرة رمزية كوسيلة من الوسائل التي تبرر بها أعمالها التعسفية ضد الشعب العربي الفلسطيني ، لأن تأجير الارض لليهود في ظل سياسة التهويد ليس له الا معنى واحد هو تسليم الارض الفلسطينية لليهود .

وهكذا نلاحظ ان اليهود بدأوا يستولون على أراضي الشعب الفلسطيني بمساعدة دولة الانتداب ودعمها القوي لمشروعات تهويد فلسطين . كما ان بريطانيا هيأت الصهاينة اليهود ليقوموا بعمليات الاستيلاء على الارض الفلسطينية والمواقع الادارية والعسكرية التي كانت تشغلها حكومة الانتداب عند رحيلها عن فلسطين بعد انتهـاء فترة انتـدابها عليها .

وازدادت عملية سيطرة اليهود على الارض الفلسطينية بالقوة بعد قيام الكيان الصهيوني ، وبعد رحيل القوات البريطانية التدريجي من الارض الفلسـطينية بعـد انتهاء فتـرة الانتداب . وبعـد حرب عـام ١٩٤٨ م ، استطاعت الصهيونية بمساعدة الدول الاستعمارية الاوروبية وعلى رأسها كـل من بريـطانيا والـولايات المتحـدة الامريكيـة من السيطرة الكاملة على جزء كبير من الارض الفلسطينية . وخول الكيان الصهيوني وزيـر الدفـاع الصهيوني بنـاء على قانون الطوارىء اجلاء السكان العرب الذين لم يهاجروا من بلادهم ، بل صمموا على البقاء في الارض من ارضهـم بالقوة بحجة أن ارضهم هذه ضرورية لأمن الكيان الصهيوني . وبهـذا الاسلوب الامني المزعـوم استطاع الصهـاينة اليهود ان يسيطروا بالقوة على جزء من الارض الفلسطينية .

لقد رفض الشعب الفلسطيني مشروعات التهويد ، وقاومها بكفاحه وجهاده الطويل والمرير ضد الصهيونية وضد حكومة الانتداب البريطاني . قاوموا الهجرة اليهودية الى بلادهم ، وقاموا عملية السيطرة التدريجية على أراضيهم وممتلكاتهم ، وقاوموا وعد بلفور وتأسيس الوطن القومي اليهودي في بلادهم ، وقاوموا تأسيس المستعمرات اليهودية في وطنهم ، وقاوموا مشروعات المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية والمؤسسات الصهيونية الارهابية ، على الرغم من ان بريطانيا جردتهم من السلاح ، وعلى الرغم من أنها استعملت ضدهم أقسى انواع الظلم والتعسف ، كالاعدام ، والسجن ، والنفي ، والتعذيب ، وهدم المنازل ، الى غير ذلك من اعمال القهر والبطش . لكن الشعب الفلسطيني ظل يحافظ على هويته العربية الاسلامية ، وظل يرتبط بالمواطنة الفلسطينية والوطن الفلسطيني ، ولم يقبل البدائل التي طرحتها بريطانيا مقابل الوطن الذي توارثوه أباً عن جد منذ عهد الكنعانيين ومروراً بعهد اجدادهم العرب المسلمين الذين عمروا هذا الوطن وحضروه ، واهتموا بمقدساته وصانوها على مر التاريخ من أذى المعتدين ، وأعطوا الحرية لكل أتباع الديانات السماوية في ممارسة شعائرهم الدينية .

الفصل الخامس

وسائل الضغط البريطاني على الفلسطينيين

انتهجت بريطانيا سياسة المراوغة في فلسطين ، وانتهجت أسلوباً سياسياً أكثر ملاينة وأكثر عاطفة تجاه الصهاينة اليهود ومشروعاتهم الرامية الى احتلال فلسطين واستيطانها وتهويدها . وهذا الاسلوب هو الذي حذا بالشعب الى امتشاق السيف ضد بريطانيا وضد الصهيونية العالمية ومخططاتها .

ومن أساليب المراوغة التي انتهجتها بريطانيا أثناء حكمها لفلسطين ما قامت به من تشكيل لجنة للتحقيق في أسباب الثورة الفلسطينية التي قام بها الشعب الفلسطيني عام ١٩٢١ م برئاسة السير توماس هايكرفت قاضي قضاة فلسطين وقتذاك ومع ان لجنة هايكرفت بينت في تقريرها أن سبب الثورة الفلسطينية عائد الى الشعور العام السائد لدى الفلسطينيين ضد الصهاينة اليهود بسبب مشروعات الوطن القومي اليهودي في فلسطين الذي ورد في تصريح بلفور ، إلا انها أهملت هذا التقرير وتصرفت بما يرضي سياسة الصهيونية العالمية في انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

وعلى العكس تماماً مما كان يتوقعه الفلسطينيون فإن بريطانيا أصدرت الكتاب الأبيض عام ١٩٢٢ م الذي يعد ما ورد فيه مخيباً لآمال العرب لأنه ركز على ضرورة تنفيذ تصريح بلفور ، ووعد بانشاء مجلس تشريعي في فلسطين ، وركز على أمر الهجرة اليهودية الى فلسطين بشكل يتفق مع طاقات فلسطين الاقتصادية

وبناء على ما ورد في الكتاب الابيض من مسائل تؤذي الشعب العربي الفلسطيني قرر الفلسطينيون بزعامة قادتهم رفض الكتاب الابيض ، وطالبوا بانشاء حكومة وطنية فلسطينية عربية مستقلة . وعلى الرغم من هذا الرفض فقد جاء رد عصبة الأمم عليهم بالموافقة على انتداب بريطانيا على فلسطين في ٢٤ يوليو ١٩٢٢ م دون النظر الى مطالب الشعب الفلسطيني والى أمانيه في الحرية والاستقلال . ونحن نعرف جيداً ان بريطانيا والدول الاستعمارية العالمية التي تدعم الصهيونية هي التي أقرت صك الانتداب البريطاني على فلسطين .

وشكلت بريطانيا لجنة لدراسة أسباب الثورة الفلسطينية العارمة التي نشبت اولاً في مدينة القدس وسرعان ما امتدت الى جميع المدن والقرى الفلسطينية عام ١٩٢٩ م بسبب محاولات الصهاينة اليهود في الاستيلاء على حائط البراق تحت سمع البريطانيين وأبصارهم . وقد ترأس اللجنة المستر شو عام ١٩٣٠ م الذي قدم تقريراً مفصلاً عن

الظلم الذي لحق بالشعب العربي الفلسطيني ، ونصح شو الحكومة البريطانية بأن تقدم لعرب فلسطين مـا يطمئنهم ويزيل مخاوفهم من الهجرة اليهودية الى فلسطين ومسألة أخذ اراضيهم واعطائها لليهود . ولم تكتف بريطانيا بلجنة شو بل ألفت اللجان الفنية الأخرى لدراسة هذه المشكلات مثل : لجنة السير جون هوب سمبسون ، الخبير البريطاني بشؤون الاراضي ، ولجنة لويش فرنشن ، ولجنة كورسي وكلهم من الخبراء البريطانيين في شؤون الهجرة والاراضي .

وعلى الرغم من أن هذه اللجان اوصت كلها بضرورة تحسين احوال عرب فلسطين ، وحماية حقوقهم ، ومنحهم الحكم الذاتي ، إلا ان بريطانيا لجأت الى سياسة الخداع والغش والمراوغة ، فأصدرت الكتاب الابيض الثاني عام ١٩٣٠ م الذي عرف بكتاب باسفيلد تسبة الى وزير المستعمرات البريطانية وقتذاك . وتضمن الكتاب الابيض الثاني نصوصاً تقيد انتقال الاراضي العربية لليهود ، وحددت الهجرة اليهودية ، ووضعت برنامجاً اصلاحياً للشؤون الزراعية والاجتماعية في فلسطين .

ووافق عرب فلسطين على ما جاء في الكتاب الابيض الثاني ، لكن ونستون تشرشل والمناصرين للصهيونية في الحكومة البريطانية رفضوا ما جاء في الكتاب الابيض الثاني . كما رفضته المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية . وتحت هذا الضغط اضطرت بريطانيا ان تتراجع عن موقفها هذا . كما ان باسفيلد أنكر في مقال نشره في صحيفة التايمز بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٣٠ م ما ورد في الكتاب الابيض الثاني ، واكد سياسة حكومة بريطانيا في الحفاظ على مشروع انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

وشكلت بريطانيا لجنة برئاسة بيل (Peel) وهي ما تسمى باللجنة الملكية البريطانية لدراسة اسباب الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ م . وهذا الأمر ليس بغريب ان تقوم بريطانيا بتأليف لجنة تحقيق في أسباب الثورة الفلسطينية العارمة التي استمر اضرابها ستة أشهر ثم انتفض الفلسطينيون ثانية عام ١٩٣٧ م ، لأنها تعلم حق العلم ان قرارات هذه اللجان سيلقي بها عرض الحائط اذا كانت قراراتها تؤيد موقف الشعب الفلسطيني ، وتعرض قضيته بأمانة على المسؤولين البريطانيين . والغرض الرئيسي من هذه اللجان هو تفتيت الثورة عن طريق الوقت ، وامتصاص غضب الثوار وحماسهم ، الى جانب ان بريطانيا تكسب من وراء ذلك مكسباً اعلامياً عالمياً حين تبين للعالم انها تحقق في القضايا المهمة التي يتذمر منها الشعب الفلسطيني التي هي الآن منتدبة على بلاده .

وقد أوصت لجنة بيل في تقريرها المقدم الى الحكومة البريطانية في ٧ يوليو ١٩٣٧ م بتقسيم فلسطين بين العرب وبين اليهود ، وتضمن تقريرها مطالب الشعب العربي الفلسطيني حيال نوايا اليهود في انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين بمساعدة الحكومة البريطانية . وأوصت اللجنة أيضاً الى ضرورة ابدال نظام الانتداب بنظام المعاهدات التي اتبعته بريطانيا في العراق والتي اتبعته فرنسا في سوريا .

وقد أيدت الحكومة البريطانية بشدة التوصية التي جاءت بها لجنة بيل حول تقسيم فلسطين ، ورأت ان هذه التوصية تمثل الحل الأفضل للقضية الفلسطينية ، ويعود هذا التأييد البريطاني للتقسيم الى امور من اهمها :

١ ـ ان بريطانيا تريد قيام كيان صهيوني في فلسطين ، وهو الدولة الصهيونية اليهودية التي تشبع أحلام اليهود وتقوي أواصر العلاقة المشتركة بينهم وبين بريطانيا .

٢ ـ ان اعطاء اليهود الصهاينة نصف فلسطين معناه ليس تطبيقاً لوعد بلفور الذي ينص على تأسيس الوطن القومي

اليهودي في فلسطين بشرط ألا يضر بأحوال السكان الفلسطينيين المدنية والدينية فحسب ، وانما تعداه الى مراحل اخرى تهدف الى قيام الدولة اليهودية المستقلة على الارض الفلسطينية ، وهو امر تخطط له الصهيونية منذ وقت طويل .

وقد أوصت لجنة بيل بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، ووضع القدس وما حولها تحت الانتداب البريطاني لأنها مدينة مقدسة لدى جميع أتباع الديانات السماوية الثلاث . وقد رفض الشعب العربي الفلسطيني ورفض العرب مشروع التقسيم الذي أوصت به لجنة بيل لأنه مجحف بحقهم ، فهو يعطي بلادهم وأرضهم الى اليهود بدون حق لهم فيها . وقد رفض اليهود الصهاينة ما جاء في تقرير بيل على الرغم من انه يعطيهم دولة يهودية صهيونية في فلسطين لا يملكونها ، رفضوا مشروع بيل لأنه في نظرهم يخالف نصوص وعد بلفور ، فهم لا يريدون جزءاً من فلسطين ، وانما يريدون فلسطين كلها .

ولما رفض العرب مشروع التقسيم ورفضه اليهود الصهاينة ايضاً قررت الحكومة البريطانية تأليف لجنة فنية ، لجنة وود هيد لدراسة مشروع التقسيم ، دون اكتراث برأي الشعب العربي ومطالبه في الحرية والاستقلال في بلاده ، ودون اكتراث بثورتهم العارمة التي شملت كل فلسطين . وقاطع الفلسطينيون لجنة وود هيد مقاطعة شاملة ، فاضطرت الى العودة الى لندن في نوفمبر عام ١٩٣٨ م . وقدمت تقريراً يفيد بأن العرب الفلسطينيين يعارضون بشدة قيام دولة يهودية في بلادهم ، ويستحيل تقسيم فلسطين الى دولتين مختلفتين .

وهكذا فقد تراجعت بريطانيا عن مشروع التقسيم الذي طالبت به لجنة بيل متعذرة بالصعوبات السياسية والادارية والمالية التي ستنجم من جراء انشاء دولتين مستقلتين في فلسطين واحدة عربية واخرى يهودية صهيونية . وقالت بضرورة اقامة سلام بين العرب واليهود ، وانها ستوجه الدعوة الى العرب في البلاد العربية ، والى الوكالة اليهودية لعقد مؤتمر لبحث الأمور السياسية المستقبلية لفلسطين .

وقد تشكلت لجنة برلمانية مصرية ضمت عدداً من أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب المصريين ، استنكرت الظلم الذي لحق بعرب فلسطين من جراء السياسة البريطانية . وعقد في القاهرة مؤتمر برلماني عربي حضره مندوبون من فلسطين ومصر وسورية ولبنان واليمن والمغرب والعراق ومندوبون من الجاليات الاسلامية في كل من الهند والصين ويوغسلافيا والولايات المتحدة ، استمر من ٧ فبراير الى ١٧ مارس عام ١٩٣٩ م . وكان بحق مؤتمراً عربياً اسلامياً مؤثراً . فأعلن المؤتمرون رفض وعد بلفور وبطلانه ، ومشروع التقسيم ، والهجرة اليهودية الى فلسطين ، ومنح الاراضي الفلسطينية لليهود . وطالبوا بتأسيس حكومة دستورية ذات مجلس نيابي منتخب في فلسطين . وطالبوا بعقد معاهدة صداقة مع بريطانيا والعفو عن المعتقلين السياسيين الفلسطينيين . وطالب المؤتمر بريطانيا العمل بما جاء في قرارات المؤتمر ، وإلا اعتبر العرب والمسلمون موقف بريطانيا منهم موقفاً عدائياً .

ولم تسكت الثورة الفلسطينية ضد بريطانيا والصهيونية ، بل استمرت متأججة . وقد كسب اليهود تأييد دولة عظمى هي الولايات المتحدة الامريكية الى جانب بريطانيا التي قاربت فترة انتدابها على فلسطين على الانتهاء . وبدأت الحكومة الامريكية تتبنى سياسة الدعم الامريكي للصهيونية والعمل على توسيع باب الهجرة اليهودية الى فلسطين ليصل في حدود مائة الف يهودي ، كي يتسنى لليهود تأسيس الدولة اليهودية الصهيونية في فلسطين .

وقد حاولت بريطانيا بأسلوب المراوغة المعهودة بها ان تعمل على تقوية الموقف الصهيوني في فلسطين ، فنادت

بعقد مؤتمري لندن عام ١٩٤٦ م ، ١٩٤٧ م . وفشل المؤتمران في تقريب شقة الخلاف والنزاع بين العرب وبين اليهود . ونحن نعرف ان مثل هذه المؤتمرات ما هي إلا لكسب الوقت الى جانب الصهاينة اليهود من اجل اعدادهم لساعة الصفر بالسلاح والقوة والتدريب .

وعينت هيئة الأمم لجنة خاصة لبحث القضية الفلسطينية ، وعهد اليها باجراء تحقيق شامل . وقدمت اللجنة تقريرها الى هيئة الأمم في ٣١ اغسطس ١٩٤٧ م . واشتمل التقرير على مشروعين : الأول وهو مشروع الأكثرية ويوصي بتقسيم فلسطين الى دولتين : عربية ويهودية مع اقامة وحدة اقتصادية بينهما . والثاني وهو مشروع الأقلية ، ويوصي بقيام دولة عربية يهودية اتحادية مستقلة ، تكون مدينة القدس عاصمة لها .

وقد تبنت الجمعية العمومية للأمم المتحدة في جلستها المنعقدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ م مشروع الأغلبية ، وأوصت بتقسيم فلسطين . وصوت الى جانب التقسيم (٣٣) دولة ، وعارضته (١٣) دولة ، وامتنعت (١٠) دول عن التصويت . وأوصى القرار الذي اتخذته الجمعية العمومية للامم المتحدة بانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ، واعلان استقلال فلسطين بعد تقسيمها الى دولتين منفصلتين تماماً عن بعضهما . ويعد قرار التقسيم هذا ضربة موجهة من الدول الاستعمارية الى الدول والشعوب في القارتين : الافريقية والاسيوية . ويعد هذا القرار عملاً استفزازياً ضد مبدأ حق تقرير المصير للشعوب . ويدل دلالة واضحة على تسلط الدول الاستعمارية الكبرى على مقدرات الشعوب ومصائرها .

وقد رفض هذا القرار من قبل الدول العربية والشعوب العربية والاسلامية لأنه قرار ظالم وجائر بني على أساس يناقض تماماً أحكام ميثاق هيئة الأمم المتحدة التي تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها .

وعلى أثر صدور قرار التقسيم هذا عمت البلاد الفلسطينية ثورة ضد الاستعمار البريطاني وضد الصهيونية . واحتدم النزاع بين العرب واليهود الصهاينة في فلسطين عام ١٩٤٨ م ، وشهدت فلسطين ستة أشهر من المعارك والقتال العنيف بين العرب و ليهود الذين تناصرهم بريطانيا و لولايات المتحدة الامريكية بالسلاح والتأييد والتدريب والحماية العسكرية .

ـ انسحاب بريطانيا من فلسطين وقيام الكيان الصهيوني :

انسحبت بريطانيا من فلسطين في ١٤ مايو ١٩٤٨ م ، وكانت مدينة القدس هي اول المدن الفلسطينية التي انسحبت منها القوات البريطانية بعد ان اخذت منها القوات البريطانية عدداً من التحف الاثارية الثمينة النادرة . وكانت بريطانيا قبل رحيلها عن فلسطين قد طلبت من هيئة الأمم في ٢ ابريل ١٩٤٧ م عقد دورة خاصة للجمعية العمومية ، وادراج قضية فلسطين في جدول اعمالها .

ـ قيام الكيان الصهيوني :

في اليوم الذي انسحبت فيه بريطانيا من فلسطين في ١٤ مايو ١٩٤٨ ، أعلن الصهاينة اليهود قيام كيانهم الصهيوني في فلسطين . واعترفت بهذا الكيان الولايات المتحدة الامريكية ، ثم الاتحاد السوفييتي ، وتوالت بعد ذلك اعترافات الدول الاستعمارية بهذا الكيان القائم على الظلم .

وهكذا فإن بريطانيا أعطت الصهاينة وعد بلفور ، وجندت كل طاقاتها وامكاناتها لتنفيذه . ففتحت باب الهجرة اليهودية الى فلسطين على مصراعيه، وسلمت اليهود الاراضي الفلسطينية ، ودربتهم وأمدتهم بالسلاح والحماية والعون والمشورة السياسية ، وعملت على تقسيم البلاد الفلسطينية لصالح قيام الدولة اليهودية ، وحرمت على العرب الفلسطينيين اقتناء السلاح او حمله ، وزجت الوطنيين الفلسطينيين في السجون ، وأعدمت أعداداً كبيرة منهم ، وقاومت ثورتهم بكل ما تملك من السلاح والأساليب الاستعمارية التعسفية ، وساعدت اليهود في القتال عام ١٩٤٨ م وساعدتهم على تهجير الشعب الفلسطيني واحتلال أرضه بالقوة . ولما انسحبت بريطانيا من فلسطين حملت المسؤولية للولايات المتحدة الامريكية التي اصبحت بعد الحرب العالمية الثانية من الدول الأولى في القوة والسيطرة الاستعمارية .

الباب الثاني

طبيعة الحركة الصهيونية

الفصل الأول

فلسفة الصهيونية

الصهيونية حركة عنصرية سياسية استعمارية أسبغت على اليهودية صفة القومية والدلالة الجنسية وزعمت ان الشعب اليهودي يكون عرقاً نقياً ونادت بحل ما أسمته بالمشكلة اليهودية ، فعارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية ودفعتهم للهجرة الى فلسطين ، زاعمة أن لهم فيها حقوقاً تاريخية ودينية وتلاقت مطامع الصهيونية بأهداف الاستعمار في اقامة دولة يهودية في فلسطين عن طريق ارهاب وطرد شعبها العربي الأصيل .

وتستمد الصهيونية اصولها من الفكر الصهيوني النابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود تلك العقائد التي جعلت المستعمرين على مدار التاريخ يسعون لاستغلال اليهود وتوريطهم للعودة الى ما يسمونه ـ زوراً وبهتاناً ـ أرض الميعاد ، كما جعلت اليهود في العالم يحملون عداء دائماً لغيرهم من الناس . كما تستمد الصهيونية حيويتها من ارتباط الفكر الصهيوني بعقائد دينية وعنصرية ثابتة في اذهانهم .

فالصهيونية كعقيدة وفكرة قديمة تتصل باليهود ودينهم ومعتقداتهم وهي جزء من تفكيرهم ، وان كان الاستعمار قد أعطى للفكرة شكلها التنظيمي والعلني وطبعها بطابع سياسي ، إلا ان الافكار التي تدعو الى اقامة دولة يهودية في فلسطين سبقت ذلك التاريخ بكثير بصورة خفية وغير معلنة كما فعل الفرس عام ٥٣٨ ق.م ، وتناقلتها الأجيال المتعاقبة في ظل التشبث بخرافات وأوهام مبنية على حكايات اصطبغت بصبغة دينية .

ويؤكد ذلك قول دافيد بن غوريون (David Ben Gurion) عن الصهيونية : « لم تكن الصهيونية مجرد نظرية شاملة أو مفهوماً فلسفياً او دينياً ، مستقلة عن الزمان والمكان او الظروف ، بل كانت في الواقع فلسفة يهودية ، هي في جوهرها نضال ضد الاندماج » .

ومهما يكن من أمر ، فإن الفلسفة الصهيونية تقوم على الافكار الاتية :

١ ـ اليهود شعب الله المختار فأرواح بني اسرائيل تتميز عن باقي الارواح وهي جزء من الله ، والارواح الأخرى أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات والاسرائيلي معتبر عند الله اكثر من الملائكة .

ويمكننا القول بأن هذه الفكرة قد جعلت عند اليهود فئة متعصبة ومنغلقة على نفسها ومنعزلة ، وقد عرفوا بهذه

الصفة منذ ان نزلوا أرض كنعان (فلسطين) ، وعندما دخلوا مصر مهاجرين ١٦٥٦ ق.م ، وأينما حلوا بعد ذلك وحتى يومنا هذا .

والصهيونية تصور اليهود على انهم امة واحدة وشعب واحد وجنس واحد وهو الجنس السامي ، وتعزو الصهيونية الى أن عدم اختلاط اليهود بالشعوب الاخرى انما مرده الى رغبتهم في الابقاء على وحدتهم . كما تدعي الصهيونية فكرة النقاء الجنسي لليهود ، وان يهود اليوم هم النسل المباشر ليهود التوراة ، وقد قصد بهذا الادعاء تبرير العودة الى أرض الميعاد .

والواقع ان اليهود ينتمون الى عدد كبير من السلالات البشرية ، وهم جزء من الجماعات التي يعيشون في وسطها ، والذين يزعمون أن اليهود جميعاً من سلالة اسرائيل ، هو زعم باطل من أساسه لأنهم لو تأملوا أشكال اليهود وسحنهم وألوانهم لوجدوا انهم غير متشابهين ذلك لأن قانون الوراثة يقضي حتماً بأن تكون الفروع تشبه الأصل ، فتتشابه فيما بينها تشابهاً شديداً . فيهود التوراة من الجنس السامي ذي اللون الاسمر ، فكيف يتشابهون مع يهود أوروبا وامريكا وافريقيا والهند وغيرها من بلدان العالم .

٢ - ان فلسطين هي الهدف الاساسي للصهاينة ، وهي نقطة الارتكاز التي يبدأون منها سيطرتهم على العالم ، ففيها يجب ان تقوم دولتهم لأنها على حد زعمهم أرض الميعاد ، ولذلك يقول اليهود ان فلسطين أرض مقدسة لا يحق لأي فئة احتلالها ، وانما هي حق لليهود وحدهم .

وبقي اليهود البعيدون عن فلسطين يراودهم الحلم بالعودة الى الارض المقدسة واستعادتها كما كانوا يتغنون في مزاميرهم بالارض المقدسة ، ويصلون من اجل الرجوع اليها . وقد ظلت فكرة العودة الى فلسطين تراود اليهود منذ نهاية غزوهم لها وطردهم منها في العصر القديم ابان وجود الكنعانيين ، وقد تناقلت الأجيال المتعاقبة هذه الأفكار ولذا فإن فلسطين ـ على حد زعمهم ـ هي حجر الزاوية في معتقدات اليهود الدينية .

٣ - يزعم الصهاينة ان اليهود في شتى أنحاء العالم يمثلون شعباً واحداً ينتمي الى أصل واحد ، وان هذا الأصل مرجعه أرض فلسطين ومن ثم يجب اعتبار يهود العالم جميعاً أعضاء في الجنسية الاسرائيلية . وهذا قول مرفوض من أساسه ، فيهود العالم يفتقرون الى كافة مقومات القومية المتعارف عليها ، فلا يوجد بينهم تاريخ مشترك او تراث حضاري ، ولا تجمعهم لغة واحدة مشتركة ، بل كانوا غالباً ما يتحدثون لغة البلاد التي عاشوا على أرضها ، كما ان عاداتهم وتقاليدهم تختلف وفقاً للمجتمعات التي عاشوا بينها ، ولم يعيشوا كمجموعة فوق ارض واحدة فترات طويلة ، بل هاجروا الى أرجاء المعمورة المختلفة منذ وقت مبكر يرجع الى بدايات التاريخ اليهودي . وأخيراً لم يكن يربط اليهود في العالم سوى الشعور بالتضامن الذي خلقه ذكريات الاضطهاد خلال قرون متعاقبة ، وأمل العودة الى أرض الميعاد من أراضي الشتات او المنفى .

وحقيقة الأمر ان اهتمام الصهاينة بفلسطين ليس مرده الأهمية الدينية كما يزعمون ، بل هي الأهمية الاستراتيجية كما ذكر ناحوم جولد مان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي الذي بين بوضوح الهدف الحقيقي لاختيار فلسطين هدفاً للصهيونية وقاعدة للاستعمار فقال : « ان اهتمام اليهود بفلسطين يرجع الى انها ملتقى طرق اوروبا وآسيا وافريقيا ، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم ، ولأنها المركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم » .

ولم يكن من قبيل المصادفة ان تنشأ الصهيونية في أوروبا ، وان يكون توقيت ظهور منظمتها في نهاية القرن التاسع عشر ، وان تصوغ ايديولوجيتها على الوجه الذي صاغته فيه . فالاوضاع الاقتصادية والسياسية هي التي أوجدت المناخ المناسب لظهور اللاسامية ، ومن ثم ظهور الصهيونية التي زعم أصحابها انها الرد الوحيد على اللاسامية . وهكذا فقد ولدت الصهيونية على فراش الاستعمار الأوروبي وغذتها المطامع الدولية .

- المنظمة الصهيونية العالمية وهرتزل :

لم تنشأ الصهيونية الحديثة في غرب أوروبا حيث كان اليهود قد خطوا خطوات واسعة نحو الاندماج في المجتمعات الغربية ، وانما ظهرت في شرق أوروبا حيث سادت حياة اليهود العزلة والتعصب . فكان اليهود يقيمون في احياء خاصة بهم ، عرفت باسم « جيتو » (Ghetto) وكانوا يعيشون فيها حياة غامضة مبهمة ، أثارت شكوك المواطنين من حولهم ، وأذكت روح البغض والكراهية لهم .

وبالرغم من أن منظمات : « احباء صهيون » قد نشأت أساساً في روسيا القيصرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ودعت للهجرة الى فلسطين ، إلا انها لم تترك اثراً عميقاً في حياة الطوائف اليهودية ، فقد تأثر اليهود بتيار القومية الذي اجتاح اوروبا وقتذاك ، فأصبح بعضهم يعتقد ان الديانة اليهودية والرابطة العنصرية المزعومة بين اليهود تجعل منهم أمة واحدة . ويصف حاييم وايزمن يقظة اليهود في هذه الفترة بقوله : « بعد قوانين عام ١٨٨٢ م التي صدرت في روسيا ، استيقظت نبضة غامضة غير عادية في اعماق الجماهير اليهودية للتحرر ، وكانت هذه الفترة هي مولد الصهيونية الحديثة » .

وتأسيساً على ذلك ، دعا هرتزل الى عقد مؤتمر صهيوني عالمي ، وعقد المؤتمر بالفعل في مدينة بازل بسويسرا من ٢٩ الى ٣١ أغسطس ١٨٩٧ م ، وحضره مائتان وأربعة من مفكري اليهود من معظم انحاء العالم ولأول مرة في التاريخ اليهودي ، وكان هرتزل (Herzle) مهندسه الحقيقي . واستطاع المؤتمر ان يخرج بقرارات هامة عرفت « ببرنامج بازل » وكانت تهدف الى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام وهذا هو هدف الصهيونية . وحدد المؤتمر الخطوات الكفيلة بتحقيق هذا الهدف وهي :

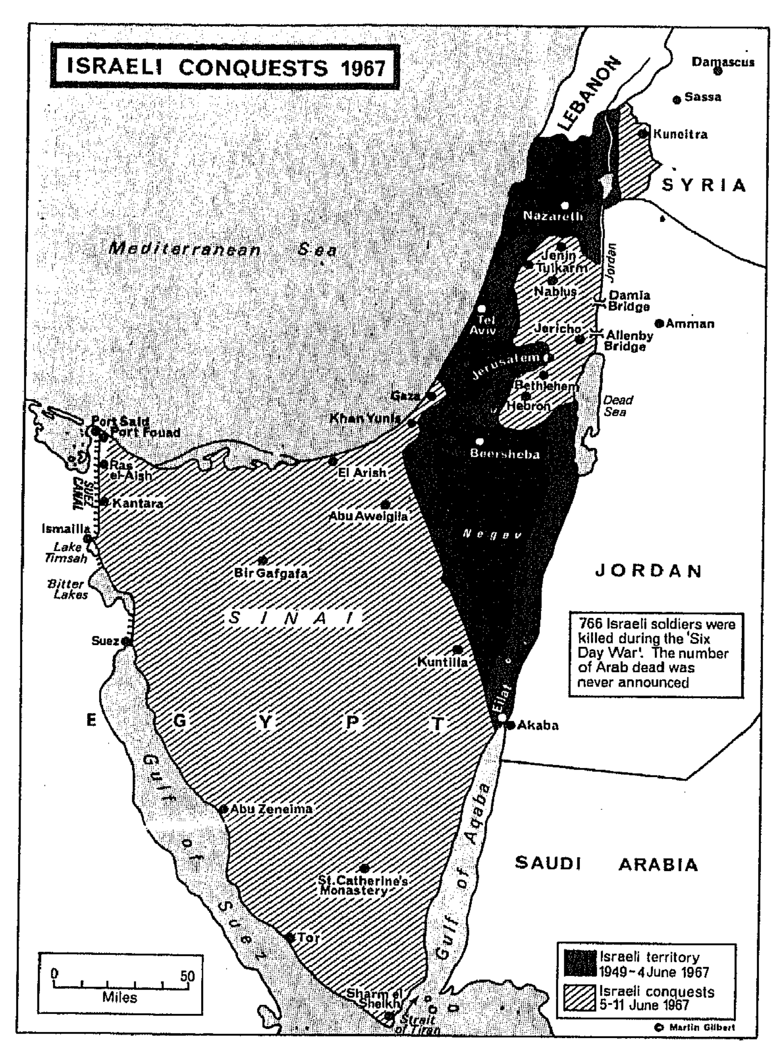
١ - تشجيع الاستعمار الاستيطاني في فلسطين على أسس مناسبة من قبل العمال الزراعيين والصناعيين اليهود ، وكذلك العمل على انشاء مستعمرات زراعية وعمرانية في فلسطين ،

٢ - انشاء منظمة تربط يهود العالم ، وذلك عن طريق منظمات محلية تابعة لها في كل بلد يتواجد فيه اليهود .

٣ - تقوية وتعزيز الشعور القومي لدى اليهود ،

٤ - اتخاذ خطوات تمهيدية مجدية من أجل الحصول على موافقة الدول الكبرى لتحقيق أهداف الصهيونية .

وتأتي أهمية المؤتمر الصهيوني الأول بأنه نقل الجهد الصهيوني ، وعلى صعيد عالمي ، الى مرحلة جديدة هي مرحلة العمل والانشاء والانجاز المتكامل لترسيخ الوجود الصهيوني في فلسطين بالتعاون مع الدول الاستعمارية . كما أوضح البرنامج استراتيجية العمل الصهيوني التي اعتمدت طريقة للعمل ضمن اطار الآراء المتفرقة داخل الحركة وفي العالم . أما القضايا الرئيسية فكانت الاستحسان الدولي (أو البراءة الدولية) ، والمشاركة اليهودية ، ومشكلة المقاومة العربية بالنسبة للأهداف الاقليمية .



خريطة توضح مدى اطماع اليهود في البلاد العربية

ووضعت الحركة الصهيونية برنامجاً عملياً يقوم على ثلاثة خطوط : التنظيم ، والاستعمار او الاستيطان ، ثم الدبلوماسية والمفاوضات .

وقد عملت الصهيونية على تنظيم اجهزتها الادارية للقيام بأعباء ومهام بناء الدولة ، فأقامت جمعيات صهيونية أعلنت تعاطفها مع المنظمة الصهيونية العالمية ، كما عملت على خلق أدوات الاستعمار الصهيوني المنظم في فلسطين ومنها : المصرف اليهودي للمستعمرات ، والصندوق القومي اليهودي ولجنة الاستعمار ، ومكتب فلسطين ، وشركة تطوير الاراضي . وكان هدف هذه المؤسسات جميعها التخطيط لعملية الاستعمار اليهودي .

واعتمدت الصهيونية الدبلوماسية للحصول على الدعم والتأييد الدولي بشأن تحقيق الهدف الاستراتيجي لها . وكان من الطبيعي ان تتركز جهود الصهاينة الدبلوماسية في بادىء الأمر على الاتراك العثمانيين الذين كانوا يحكمون

فلسطين في ذلك الوقت . وبذل هرتزل جهوداً كبيرة للاتصال بالسلطان عبد الحميد الثاني ، فنجح في مقابلته ثلاث مرات وفشلت محاولاته جميعها . فقد رفض السلطان عبد الحميد الثاني منح حقوق غير محدودة بالهجرة اليهودية الى فلسطين، نظير قيام الصهيونية العالمية بتسديد الديون العامة للدولة العثمانية ، وأرسل السلطان العثماني الى هرتزل ـ كما كتب الأخير ـ في مذكراته ـ يقول : « السلطان عبد الحميد الثاني : « انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات اخرى في هذا الموضوع . اني لا استطيع ان أتخلى عن شبر واحد من الارض ، لأنها ليست ملك يميني ، بل ملك شعبي . لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الارض ورواها بدمه . . فليحتفظ اليهود بملايينهم لأنه لو قدر لامبراطوريتي ان تتمزق فقد يحصلون على فلسطين دون مقابل . ولن يتم ذلك الا اذا مزقت أوصالنا ، ولن اوافق على ان تمزق وانا حي » . وحينما فشلت محاولات هرتزل مع الدولة العثمانية اتجه الى الدول الاوروبية الاستعمارية للحصول على التأييد الدولي في سبيل تحقيق هدف الصهيونية الاستراتيجي والرئيسي .

ـ الصهيونية والاستعمار :

وقد أعطيت البراءة الدولية الاولوية في المساعي الصهيونية ، خاصة وان اليهود كانوا مشتتين في جميع الدول الاوروبية ، فرغبت الحركة الصهيونية في ان يتنكر هؤلاء اليهود لقومياتهم ، وأخذت تعمل على تجميعهم وحشد قواهم في فلسطين حتى يكونوا دولة خاصة بهم . وحتى يتحقق ذلك اعتبر هرتزل ومن جاء بعده الاستعمار الصهيوني في فلسطين امتداداً للامبريالية الاوروبية .

وبنى هرتزل على هذا المنطق الآمال في الحصول على الدعم الاستعماري الاوروبي معلناً بذلك ارتباط الحركة الصهيونية بعجلة الحركة الاستعمارية الاوروبية ، والعمل على تنفيذ مخططاتها والمشاركة في ممارساتها الارهابية ضد المواطنين . وتأسيساً على ذلك ، اوضح هرتزل ان الدولة الصهيونية ستكون الحاجز الامامي للسياسات الامبريالية الاوروبية في الشرق حين كتب يقول : « سنؤلف هناك جزءاً من المتراس الاوروبي ضد آسيا ومركزاً امامياً للمدنية والحضارة الاوروبية في وجه البربرية » .

ولكن تكوين هذا المتراس اصطدم بواقع الوجود العربي الذي عارض بدوره تدفق المستعمرين الجدد منذ المراحل الاولى . فأدرك هرتزل حتمية الصدام والصراع بين أتباعه المستعمرين والسكان الوطنيين ، وخرج بنظرية للتخلص من هؤلاء الوطنيين ، فكتب في مذكراته يقول : « سوف نحاول تسريب السكان الوطنيين عبر الحدود ، بتأمين مجالات الاستخدام لهم في بلدان العبور ، على ان نسد أمامهم مجال العمل في بلادنا » .

ومهما يكن من أمر ، فإن الظروف الدولية السائدة آنذاك ، جعلت استراتيجية العمل الصهيوني نحو التحالف مع دولة كبرى أو مجموعة من الدول لقاء تقديم الصهيونية خدمات وامتيازات لهذه الدول ، وكان هرتزل في سعيه للحصول على البراءة الدولية من اجل قيام الوطن القومي في فلسطين يدرك تماماً ان اليهود في أوروبا يعيشون ضمن أطر دولهم ، ولا يكونون دولة مستقلة تسعى لأخذ مكانها في الحركة الاستعمارية .

بدأ هرتزل مساعيه مع الدول الاوروبية ذات الشأن ، وأخذ يزعم امام كل مسؤول في أوروبا بأن مخططه الصهيوني لن يخدم إلا مصالح تلك الدولة ، وتارة يحاول اثارة التنافس الاستعماري بين هذه الدول . فقد اتصل هرتزل بالمانيا وفرنسا وروسيا ولكن محاولاته باءت بالفشل . ولكنه وجد ضالته في بريطانيا التي رفضت دخول اليهود

المهاجرين من شرق أوروبا اليها ، ودرست مشكلتهم لايجاد أي مشروع من شأنه ايجاد منفذ لاستيعاب اللاجئين اليهود ، الذين سيمنعون من دخول انجلترا .

وفيما يتعلق بفلسطين ، رفضت الحكومة البريطانية تعضيد مطامح الصهيونية فيها ، خشية اغضاب الدولة العثمانية ، مما جعل هرتزل يعرض مشروعات بديلة . فاقترح على جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات ان يسمح لليهود باستيطان جزيرة قبرص ، فرفضت بريطانيا طلبه ، كما رفضت طلباً آخر باستيطان اليهود في العريش .

غير ان الحكومة البريطانية قد أبلغت رسمياً المنظمة الصهيونية موافقتها على توطين اليهود في أوغندا . ولدى عرض هذا المشروع على المؤتمر ، أوضح هرتزل انه لن يكون الوطن البديل للاستيطان في فلسطين ، ولكنه سيساهم في « تحسين اوضاع الشعب اليهودي وتخفيف ضائقته » . وقد أثار عرض المشروع نقاشاً حاداً في أوساط المؤتمرين ، وفي النهاية تمت الموافقة عليه بأكثرية ٢٩٥ صوتاً ومعارضة ١٧٨ صوتاً . وتعهد هرتزل في المقابل بعدم البدء بتوطين اليهود في اوغندا قبل الحصول على موافقة مؤتمر صهيوني جديد .

أثار مشروع اوغندا خلافات حادة بين زعماء الصهيونية ، اذ اعتبره عدد من اليهود تخلياً عن المشروع الصهيوني المتعلق بفلسطين ، وعاد هرتزل الى نشاطه السياسي من اجل الحصول على ضمانات دولية من زعماء أوروبا ، ولكن محاولاته باءت بالفشل . وتوفي هرتزل في عام ١٩٠٤ م دون ان يتمكن من تحقيق حلمه بالحصول على « براءة دولية » تضمن المشروع الصهيوني الاستعماري في فلسطين .

والحقيقة ان مشروع اوغندا كان منعطفاً خطيراً في تاريخ الحركة الصهيونية ، اذ دب على اثره الخلاف بين انصار المنظمة الصهيونية ، فانقسموا الى فريقين : « سياسيين » و« عمليين » أما الفريق الأول فكان على استعداد لقبول فكرة الوطن البديل عن فلسطين ، وأما الفريق الثاني « فريق العمليين » فقد رفض أن يقبل أي بديل عن فلسطين ، خاصة بعد ان ظهر ان تقرير البعثة التي كانت قد أوفدتها المنظمة الصهيونية لدراسة امكانية الاستيطان هناك ، لم يكن مشجعاً ، وبالتالي سقط المشروع بأكثرية الاصوات في المؤتمر الصهيوني السابع (١٩٠٥) وكان حاييم وازيمن من ألمع زعماء هذا الفريق وهو الذي اختير رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية خلفاً لسلفه هرتزل الذي توفي عام (١٩٠٤ م) .

كما عملت الحركة الصهيونية على تشكيل عدد من الهيئات التنظيمية والمالية لتنفيذ برنامج الاستيطان الصهيوني في فلسطين وكان من اهمها :

١ ـ صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار : وقد انشىء في عام (١٨٩٩) ليكون اداة مالية ذات أهداف سياسية للمنظمة الصهيونية . وقد اختص بالأعمال المصرفية وهدفه تنمية رأس المال اللازم لبرنامج الاستيطان الصهيوني وتمويل الهجرة اليهودية الى فلسطين .

٢ ـ الصندوق القومي اليهودي (كيرين كايمت) وقد انشىء في عام (١٩٠١ م) وذلك لجباية الأموال من اجل شراء الاراضي في فلسطين وسوريا . ويهدف النظام الاساسي للصندوق القومي اليهودي ، ان الحركة الصهيونية كانت تهدف منذ البدء الى اقامة مجتمع يهودي صهيوني ذي نظام سياسي اقتصادي مغلق .

٣ ـ مكتب فلسطين : أسس عام ١٩٠٨ م في مدينة يافا من قبل المنظمة الصهيونية وقد عمل كوكالة مركزية

للاستيطان اليهودي ، وشمل نشاطه شراء الاراضي ومساعدة المهاجرين اليهود وتوجيه الاستيطان الزراعي باسم المنظمة الصهيونية العالمية .

وقد عارض الشعب العربي في فلسطين النشاط الصهيوني في فلسطين ، وامتدت معارضته الى داخل البرلمان العثماني « مجلس المبعوثان » وأظهر النواب العرب نشاطاً وفعالية بين أعضاء المجلس ، لاظهار خطر الصهيونية والحث على اتخاذ اجراءات فعالة لمواجهته وكان من أبرزهم : شكري العسلي ، وروحي الخالدي ، وسعيد الحسيني .

- العلاقة بين الصهيونية والاستعمار :

تولى حاييم وايزمن رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية في أعقاب وفاة هرتزل عام ١٩٠٤ م وهاجر الى انجلترا حيث مارس النشاط السياسي في فترة مبكرة من حياته ، وتولى تدريس الكيمياء في جامعة مانشستر حيث حقق انجازات ساعدت على نجاحه في هذا الحقل. وكان وايزمن من الصهاينة العمليين الذين اسهموا في اسقاط مشروع اوغندا اثر وفاة هرتزل . وكانت الأعوام العشرة التالية من اكثر سني حياته انتاجاً وخدمة للحركة الصهيونية ، ففي عام ١٩٠٦ م اجتمع مع آرثر جيمس بلفور (Balfour) وشرح له سبب معارضته لمشروع اوغندا . ثم عمل وايزمن بعد ذلك وحتى عام ١٩١٧ على كسب ود جماعة من ذوي النفوذ في بريطانيا والذين باستطاعتهم دعم المطالب الصهيونية في أوساط الحكومة البريطانية ومن أبرز اولئك : هربرت صموئيل ، واللورد روتشيلد ، والمحامي نورمان نبتويش ، والميجور اورمسبي غور، ورئيسا تحرير جريدتي التايمز والمانشستر جارديان . وقد كللت مساعيه بالنجاح في نهاية المطاف وذلك لتلاقي المصالح الصهيونية بالمصالح الاستعمارية .

ومما لا ريب فيه ان العلاقة بين الصهيونية والاستعمار علاقة قديمة قدم الحركة الصهيونية نفسها ، إذ انها علاقة وجودية ومصيرية من ناحية ، كما انها علاقة مصلحية من الناحية الاخرى ، وتقوم على التلاقي بين الأهداف والمخططات والمصالح . أما ان علاقة الصهيونية بالامبريالية علاقة وجودية ومصيرية ، فلأن الصهيونية نفسها حركة استعمارية تقوم على استعمار الارض واستيطانها بعد اخراج اهلها منها ، ولأنها في واقعها تؤلف جزءاً لا يتجزأ من الرأسمالية العالمية التي تعتبر الامبريالية أعلى مراحلها . ومن هنا يكون الترابط الوجودي والمصيري بين الصهيونية من ناحية وبين الاستعمار العالمي من الناحية الأخرى . وأما من ناحية علاقة المصلحية بين الصهيونية والامبريالية ، فالصهيونية كحركة عنصرية دينية تقوم على مبادىء الاستغلال والعدوان ، وتستند الى فكرة التوسع والسيطرة وتلجأ الى اساليب العنف وسفك الدماء .

وعلى العموم ، فقد استفاد الاستعمار من الصهيونية ، وضرب عصفورين بحجر واحد ، فاستطاع بواسطة الصهيونية ان يدفع بجماعات اليهود المهاجرة من شرق أوروبا الى فلسطين بدلاً من الهجرة الى عرب أوروبا وهذا ما كانت ترفضه الدول الاوروبية وحتى الرأسمالية اليهودية في تلك الدول ، كما ان الاستعمار قد استفاد من الصهيونية من ناحية اخرى في قيام جسم بشري غريب في فلسطين يحفظ لتلك الدول الاستعمارية مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية الهامة في منطقة الشرق العربي الاسلامي .

وكانت الدول الاستعمارية قد اوصت في مؤتمر عالمي عقد في لندن عام ١٩٠٧ م بمجموعة توصيات كما أذاعها المستر كامبل بانرمان رئيس وزراء بريطانيا آنذاك . ومن أهمها أن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة المنطقة العربية

والاسلامية ، والابقاء على تفككها ومحاربة أي اتحاد يقوم بين اجزائها ، والسعي الدائب الى تفسيخها عملياً وفكرياً وتاريخياً واقترح المؤتمر كوسيلة عاجلة العمل على فصل الجزئين الافريقي والآسيوي في هذه المنطقة احدهما عن الآخر ، واقامة حاجز بشري غريب في نقطة التقاء هذين الجزئين ، يمكن للاستعمار ان يستخدمه كأداة في تحقيق أغراضه . وهنا تلاقت المصالح الاستعمارية بالمصالح الصهيونية .

فنشط قادة الصهاينة نحو بريطانيا لتحقيق أهداف الصهيونية في فلسطين ، وذلك لأن بريطانيا لها أطماع في فلسطين منذ الحملة الفرنسية على فلسطين ومنذ الحكم المصري لبلاد الشام في عهد محمد علي وذلك لأن موقع فلسطين له اهمية اقتصادية وعسكرية ودينية لدى بريطانيا . وهكذا نرى ان وايزمن قد بذل جهوداً مكثفة لكسب تأييد المسؤولين البريطانيين الى جانب المخطط الصهيوني كما لعب صهاينة الولايات المتحدة دوراً ناجحاً وهاماً في كسب ادخال اشخاص يتمتعون بنفوذ ومركز قوة الى الصفوف الصهيونية . وتعاون وايزمن ورفاقه في لندن مع القاضي لويس برانديس ورفاقه في الولايات المتحدة الامريكية ، تعاوناً وثيقاً ونجحا في استصدار تصريح بلفور من قبل الحكومة البريطانية وتدعمه الولايات المتحدة . ويعتبر تصريح بلفور أهم تطور حققه الصهاينة بعد مؤتمر بازل الأول ، فقد استطاع الصهاينة بوساطة هذا التصريح ايجاد الركيزة التي يستندون عليها في عملية الاستيطان الجماعي بهدف تحويلها في النهاية الى دولة يهودية .

واياً ما كان الأمر ، فإن موافقة بريطانيا على اصدار تصريح بلفور كان لعدة اعتبارات سياسية وعسكرية حملتها على ذلك ، ومن هذه الاعتبارات ما له ارتباط وثيق بوضع قناة السويس ، وتأمين مواصلات بريطانيا مع مستعمراتها ، ومنها ايضاً ان الحكومة الالمانية كانت تبذل المساعي الجادة للسيطرة على الحركة الصهيونية . كما أخذت بريطانيا بعين الاعتبار امكان استخدام الصهيونية لمواجهة حركة التحرر العربي في المنطقة العربية .

ولا ريب ان الساسة البريطانيين قد نظروا الى الحركة الصهيونية نظرة استعمارية ، اذ انهم وجدوا انهم يستطيعون من خلالها وعبر قنواتها وجوداً دائماً في الشرق الاسلامي . ويؤكد ذلك ما قاله لويس جولدنج (Louis Golding) « ان الصهيونية كانت منذ البداية حركة انجليزية لا حركة يهودية فحسب » .

وقد ذكر ونستون تشرشل (Winston Churchill) في الجلسة التي وافق فيها مجلس الوزراء البريطاني على وعد بلفور : « ان قيام وطن قومي لليهود في فلسطين يخدم أهداف بريطانيا من حيث انه يساعدها على مواجهة تناقض المصالح الحادة بينها وبين العرب . هذا الوطن القومي لليهود في فلسطين سوف يكون عازلاً يفصل بين العرب شرق سيناء والعرب غرب سيناء ، ثم ان هذا الوطن القومي لليهود الذي سيكون بحاجة الى الدفاع عن نفسه ضد الامتداد العربي الواسع ، سوف يبقى دائماً في أحضان الغرب الذي يستطيع في أي وقت أن يستعمله كقاعدة للعمل ضد أي تهديد لمصالح الامبراطورية البريطانية في مصر من ناحية او في العراق من ناحية اخرى ، كذلك فإن هذا الوطن القومي لليهود سوف يشغل العرب ويمتص طاقاتهم أولاً بأول .

وقال تشرشل في مذكراته ايضاً : « واذا اتيح في حياتنا ، وهو ما سيقع حتماً ان نشهد مولد دولة يهودية ، لا في فلسطين وحدها ، بل على ضفتي الاردن معاً ، تقوم تحت حماية التاج البريطاني ، وتضم نحواً من ثلاثة أو اربعة ملايين من اليهود ، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقية للامبراطورية البريطانية » . كما

أدلى اورمسبي غور وكيل وزارة المستعمرات البريطانية بالتصريح التالي في جلسة ٩ يوليو عام ١٩٢٣ م : « ان هدف وجودنا في فلسطين ليس فقط للاحتفاظ بها وطناً روحياً لليهود ولكن هناك اسباب اخرى » .

والواقع ان تصريحات الساسة البريطانيين تكشف بوضوح أهداف السياسة البريطانية بخاصة والسياسة الاستعمارية بعامة في منطقة الشرق العربي . تلك السياسة التي لا زالت قائمة برغم انحسار النفوذ البريطاني من المنطقة العربية .

وقد عمل الصهاينة بالتعاون مع الاستعمار البريطاني على خلق المؤسسات الصهيونية في فلسطين ، وعلى ارهاب اهلها واجبارهم على ترك ديارهم من خلال الممارسات الارهابية .

الفصل الثاني

الارهاب الصهيوني

اليهود في القرآن الكريم والتوراة :

تكمن مشكلة اليهود في العالم في اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار ، وانهم الاطهار ، وانهم بشر وما عداهم حيوانات في صور آدمية خلقت لخدمتهم ، وما دام غيرهم ملكاً لليهود فإن من حق اليهود أن يفنوهم ، والواقع ان نقمة اليهود وحقدهم وعداؤهم للجنس البشري عقيدة متأصلة في نفوسهم ، وهم مأمورون بقتلهم ، وهذه توراتهم المحرفة طافحة بأوامر ابادة البشر واستئصالهم وبمحو عقائدهم ودياناتهم ومعابدهم وحضارتهم ومزارعهم وحيواناتهم ومساكنهم ومدنهم وغيرها . وبسبب هذه الافكار لاقى اليهود اضطهادات في أوروبا وغيرها عبر التاريخ .

وفي سفر العدد ـ احد اسفار التوراة الخمسة ـ الاصحاح ٣٣ ـ ٥٠ ـ ٥٣ يقول : « وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني اسرائيل وقل لهم : انكم عابرون الاردن الى أرض كنعان ، فتطردون كل سكـان الارض من أمامكم وتمحـون جميع تصاويرهم ، وتبيدون كل اجناسهم المسبوكة . وتخربون مرتفعاتهم ، تملكون الارض ، وتسكنون فيها ، لأني أعطيتكم الارض لكي تملكوها . وهناك الكثير من اوامر القتل والارهاب في كتب التوراة والتلمود وغيرها من كتب اليهود الدينية . فقد جاء في سفر التثنية الاصحاح الأول / ٧ : « اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الارض » .

ولم يقتصر الأمر على الكتب المقدسة لدى اليهود فقط بالدعوة الى الارهاب وتقتيل الشعوب ، بل صدرت كتب صهيونية تدعو الى الارهاب ضد العرب والمسلمين في شتى اقطارهم .

وليس هناك من هو أصدق من القرآن الكريم في ذكر صفات اليهود ، فقد اوضح لنا القرآن الكـريم صفات اليهود ، فأشار الى انهم شعب سفاح سفاك للدماء محب للشر لا يتورع حتى عن قتل الانبياء . وقال تعالى في سورة البقرة ، الآية (٦١) ﴿ **وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** ﴾ . وأشار القرآن الكريم كذلك الى ان اليهود قساة القلوب لا يعرفـون الرحمـة ، وفي سورة البقرة الآية (٧٤) قال تعالى : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او أشـد قسوة** ﴾ . وهم شعب ذو طمع وشره شديد ﴾ . ﴿ **وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم اموال الناس بالباطل** ﴾ . وانهم كذلك شعب فـاسد

ومفسد . وفي سورة النساء الآية (١٦١) قال تعالى : ﴿ **ويسعون في الارض فساداً والله لا يحب المفسدين** ﴾ .

وليس هذا فحسب ، بل ان اليهود رسموا الله جلت قدرته صورة مخالفة لما رسمه الاسلام ، فهو في نظرهم اله محاب خصهم دون غيرهم من الشعوب بالحب ، واختارهم شعباً خالصاً له لا يزاحمهم في ملكوته مزاحم ولا ينازعهم في رضوانه منازع . فجاء في كتابه العزيز : في سورة المائدة الآية (١٨) ﴿ **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذكم بدنوبكم بل انتم بشر ممن خلق** ﴾ . وقد أنكر الله عليهم دعواهم هذه في الآية نفسها . والله في نظر اليهود فقير وهم الأغنياء ، وقال تعالى في سورة آل عمران الآية (١٨١) : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ . وذكر اليهود ان يد الله في نظرهم مغلولة عاجزة وأيديهم هي المبسوطة القادرة على التصرف . فقال تعالى في سورة المائدة ، الآية (٦٤) : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ وهم أشد الناس عداوة للمسلمين ، وجاء في سورة المائدة الآية (٨٢) قوله تعالى ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا** ﴾ وقد بين جلت قدرته انهم لن يرضوا عن أي مؤمن إلا اذا اتبع ملتهم وانقص حق الله مثلما ينقصون . ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ . (سورة البقرة الآية ١٢٠) .

وتأسيساً على ما تقدم ، فإن اليهود قد عملوا على تربية ابنائهم في العصر الحديث تربية ارهابية مستوحاة من كتبهم المقدسة وبروتوكولاتهم . وعلى ذلك ، فقد انطلق اليهود في صراعهم معنا من منطلق عقائدي لأنهم عرفوا منذ البداية ، ان العقيدة هي حجر الزاوية في أي صراع .

- التربية الارهابية :

عمل اليهود على تربية أبنائهم في العصر الحديث تربية ارهابية لتحقيق اهدافهم بحل المشكلة اليهودية وذلك بجمع شتاتهم في بقعة واحدة من الارض وهي فلسطين . ونشط أدباء اليهود في التركيز على المشكلة اليهودية وتطلعوا الى فلسطين باعتبارها رمزاً للخلاص اليهودي وحلاً لمشكلتهم ، كما عالجت اعمالهم الأدبية فلسطين على اعتبار انها الطريق للخروج من الشتات اليهودي . وقد أبرز انتاجهم الأدبي العلاقة الوثيقة بين الايديولوجية والتعبير الأدبي . وأوضح ليوبنسكر هذه العلاقة عندما طرح الحل العملي للمشكلة اليهودية ، فقال : « من واجبنا . . ان نكرس كل قوانا المعنوية لتأسيس انفسنا كأمة حية . . يجب ان نبحث عن شرفنا وخلاصنا وذلك باحياء روابط الوحدة القومية » . مع ان علم الانثروبولوجيا ينكر زعمهم بأنهم امة ، فهم من أجناس مختلفة لا تربطها رابطة .

واهتم الأدب اليهودي الحديث في ايقاظ المشاعر العنصرية في نفوس الافراد اليهود ، فقد أوضح موسى هيس في كتابه « روما والقدس » ان الدين اليهودي مميز عن الديانات الأخرى وحاول في الوقت نفسه الحط من قيم تلك الأديان بهدف ايقاظ الروح العنصرية في نفس الفرد اليهودي .

وبرزت الدعوة لاستخدام الارهاب في الأدب اليهودي المعاصر من أجل تحقيق حياة خاصة بهم ، فظهرت دعوة بتحويل اليهودية الى قومية حية متطورة ، ونادى احد الكتّاب العبرانيين وهو بيرديشفسكي بأن السيف هو صاحب القول الفصل في تحقيق اهدافنا . وقد ترك هذا الاتجاه آثاراً سيئة في حياة الشعب اليهودي في تركيزه على الجوانب الدامية . وفي هذه المرحلة المبكرة ، نجد ان الصهيونية قد اكتسبت هالة من الفعالية العدوانية الارهابية . وأخذت تزرع في نفوس أبناء اليهود الروح القتالية التي تحلى بها اسلافهم الذين اعتبروا الارهاب عملاً مقدساً .

وجاء من بعد ذلك فلاديمير جابوتنسكي والذي يعتبر الأب الروحي للارهاب الصهيوني ليمزج بين الأدب الارهابي والدعوة الصريحة الى ذلك . وأخذ جابوتنسكي يكرس جهوده لتلقين الشباب اليهودي أفكار الفتوة الصهيونية وحملهم على ممارسة يهودية العضلات . ونصح شباب احدى الجمعيات اليهودية الالمانية بالاعتماد على السيف فقط لتحقيق أغراضهم . ومن هذه الزاوية القتالية العسكرية ، اعتبر جابوتنسكي ان اولئك الذين يموتون وهم يحاربون العرب في فلسطين نماذج يجب ان يحتذى بها ويجب ألا تغيب صورتهم أبداً عن عقول الشباب اليهودي . ونادى جابوتنسكي بتأسيس فرقة يهودية وافقت الحكومة البريطانية على انشائها وحاربت الى جانب الجيش الانجليزي الذي احتل فلسطين عام ١٩١٧ م . وقاد جابوتنسكي العمليات الارهابية في القدس عام ١٩٢٠ م ، وتزعم منظمة الهاجاناة حين تأسيسها ثم تركها فيما بعد ، فقد عمل جابوتنسكي خلال وجوده في أوروبا على تنظيم الشباب الصهيوني في منظمات بيتا الارهابية والتي اصبحت الروافد التي تصب في منظمة الارغون ، كما علمهم النشيد الرسمي لمنظمات الشباب الصهيوني العسكرية .

لقد استغلت الحركات الصهيونية الاضطهاد الذي واجهه اليهود في أوروبا فعملت على ترسيب الحقد والنقمة والكراهية نحو الاغيار في نفوس أبناء اليهودية رغم انه « يتبادر الى الذهن بعد ان ذاقوا مثل هذا الشقاء انه ينبغي ان يكونوا قد قطعوا على انفسهم عهداً ألا ينزلوا بغيرهم نظيره . فعملت على تربية النشء على استخدام الأساليب المختلفة ذاتها التي مارسها الاغيار في اضطهادهم ليمارسوها بدورهم ضد الشعب العربي الفلسطيني ، وضد كل من يقف في وجه مخططاتهم الرامية الى انشاء الدولة اليهودية على أرض فلسطين . ولا شك ان المهاجرين اليهود الى فلسطين ، سيفدون من أوروبا الشرقية ، أي من بلاد ذاقوا فيها انواع الظلم والاضطهاد ، وسيحملون معهم احقادهم القديمة وأهواءهم ، ليجعلون من فلسطين مركزاً للشغب والاضطراب .

ورغم معاناة اليهود في أوروبا من الاضطهاد بسبب تعاليهم وسلوكهم ، بقيت فكرة «الشعب المختار» مسيطرة على أفكارهم ، فإلى جانب الحقد والكراهية الذي غرسوه في اذهان ناشئتهم نجد انهم قد غذوهم بفكرة الشعب المختار والجنس النقي الذي له خلفياته وعاداته وتقاليده وتطلعاته ، ولا يستطيع الاندماج في مجتمعات الاغيار . وجاءت الحركة الصهيونية الحديثة لتربط بين شعب الله المختار وأرض الميعاد . وعبر هرتزل عن ذلك بأن فكرة انشاء الدولة اليهودية تحفز اليهود الى ركوب المخاطر وتحدي العرب بقوة السلاح من اجل حملهم على مغادرة البلاد . وبهذه الروح وفد اليهود الى فلسطين يحملون الانتقام والاضطهاد ضد العرب .

وهكذا نجد ان الصهيونية قد حرصت على تربية الفرد اليهودي تربية ارهابية خاصة تحذره من العرب وتدعوه الى القضاء عليهم وابادتهم وتجعله يهوى الجندية وتدربه منذ الصغر على أعمالها ، واتبعت الصهيونية كذلك اسلوباً ارهابياً في تربية أبناء اليهود في المدارس العبرية بفلسطين فكانت المدارس في مختلف العلوم تلقن طلابها كلمات تجعلهم يتمسكون بفلسطين ، كما ان المدرسين علموا الطلاب كره العرب واحتقارهم والعمل على طردهم من فلسطين . وقامت المدارس العبرية بشحن نفوس الطلاب بالكره والحقد وتنشئتهم تنشئة ارهابية قاسية . ويؤكد ذلك ما ورد في كتاب النصوص الأدبية للصف السابع في قطعة شعرية عبرية جاء فيها : « حوّل قلوبنا الى حجارة ، لكيلا ترتعش أو تلين ، عندما ترتفع راياتنا فوق دمائهم التي ارقناها » .

وقد عبر مناحيم بيغن (Menachem Begin) تلميذ جابوتنسكي وزعيم الارغون في الاربعينات من هذا القرن

عن هذه القسوة المتناهية تعبيراً صريحاً ، وبين نياته العدوانية وايمانه المتطرف في الارهاب عندما أورد في كتابه الثورة كما يحلو له ان يسميه في عبارتين ، تقول الأولى « أنا أحارب اذن أنا موجود » وتقول الثانية « كن أخي وإلا سأقتلك » . وبناء على هذه الفلسفة ، اعتبر بيغن اساليب الارهاب التي لجأ اليها الصهيونيون قبل عام ١٩٤٨ م مشروعة وهي الطريق الوحيد الفعال لتأمين الاهداف اليهودية القومية في فلسطين ، ويقول في موضع آخر من كتابه : « لن يكون هناك سلام لشعب اسرائيل ولا في أرض اسرائيل ولن يكون سلام للعرب ما دمنا لم نحرر وطننا بأكمله حتى لو وقعنا مع العرب معاهدة صلح » .

وهكذا نجحت الصهيونية في غرس وتعميق الروح الارهابية العنصرية في نفوس المهاجرين كما غرست في نفوسهم أن العرب هم العقبة الكأداء التي تقف عائقاً دون مسيرتهم ، فكانت نظرتهم للعرب تزداد عدوانية ، وقد حفزت الصهيونية اتباعها باتباع نظم ارهابية وحشية قاسية ضد العرب ، وقد لقنوا اتباعهم ببعض التوصيات من التلمود جاء فيها :

« ان قتل غير اليهودي لا يعد جريمة بل عمل يرضي الله » (اقتل الصالح من غير الاسرائيليين) .

« ان من يسفك دم الكافر (غير اليهودي) يقرب قرباناً الى الله » .

« . . . واسلبوا جميع ما في المدينة المحتلة من رجل وامرأة وطفل وشيخ وحتى البقر » .

« وان تطردوا أهل الأرض من وجهكم ومن تتقونه منهم كابر في عيونكم ، وكحرية في جنوبكم يضايقونكم في الارض التي أنتم مقيمون بها » . ولذلك فليس بمستغرب على هؤلاء الصهاينة ان يمارسوا أنواع القتل والذبح ضد الفلسطينيين كلما اتيح لهم ذلك .

ـ الممارسات الارهابية الصهيونية :

مارس الصهاينة باديء ذي بدء ارهابهم ضد الانسان العربي في فلسطين من أجل اجباره على ترك البلاد وهجرها لتبقى لهم الارض بدون سكان . ولذا فقد عملت الصهيونية على افقار الانسان العربي الفلسطيني عن طريق فرض انظمة واجهزة مفروضة من جانب بريطانيا لتهويد فلسطين ، فاستولت على الاراضي قسراً وبمساعدة حكومة الانتداب . كما سمحت بريطانيا بهجرة اليهود الى فلسطين . وحصل اليهود على امتياز كهرباء فلسطين (مشروع روتنبرغ) وقرن هذا الامتياز بحق انتزاع الاراضي عند الحاجة اليها . كما حصل اليهود على امتياز استثمار البحر الميت لمدة خمسة وسبعين عاماً ، واستناداً الى هذا الامتياز ، اسرعت سلطات الانتداب وضمن استراتيجية الصهيونية باعطاء أصحاب الشركة اراضي شاسعة على حدود البحر الميت ، وسلط الجيش والبوليس البريطاني على الفلاحين لطردهم من اراضيهم ومنعهم من حق البقاء في مناطقهم . وهكذا اكسبت السياسة البريطانية الاستراتيجية الصهيونية بعداً ارهابياً جديداً في مخططاتها الرامية الى انتزاع فلسطين من اصحابها الشرعيين وتشريد الانسان العربي . وبهذه الصورة الارهابية ، تعاملت الحركة الصهيونية مع الانسان العربي الفلسطيني تؤازرها وتعاضدها دولة الانتداب بعد ان احكم كل من الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية اطباق الحلقات على الشعب العربي الفلسطيني .

وقد استخدم الصهيونيون يؤازرهم البريطانيون جميع الوسائل الممكنة لتحقيق قهر الانسان العربي وطرده والحلول محله ، ولم يتورعوا عن استخدام احط الوسائل وأدناها ما دامت توصلهم الى الهدف المنشود .

وأخذ اليهود يمارسون الاضطهاد ضد العرب بروح انتقامية تأثراً بما لاقوه على أيدي الاوروبيين ، وساعدهم الانجليز على تنفيذ هذه السياسة الارهابية . وقد عبر موشيه منوحن (Moshe Menuhem) عن هذه الظاهرة أصدق تعبير بقوله : « لماذا نضطهد ، ننفي ونستولي على بيوت وأراضي الناس الذين كانوا يحسنون معاملتنا كأفراد ، وكانوا طوال السنوات الألف او الألف والخمسمائة الأخيرة في التاريخ ، هم الوحيدون الذين احتضنوا اليهود بين صفوف أبنائهم ورحبوا بهم بين ظهرانيهم ، عندما كان اليهود يفرون من الاضطهاد من ديار الى اخرى الى أن استقر بهم المقام في الديار العربية في مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين طلباً للامان والطمأنينة وللنجاة بأرواحهم من المذابح » . وهذا اعتراف صريح بالمعاملة الطيبة التي كان اليهود يلقونها في البلاد العربية والاسلامية .

وعلى ضوء هذه الأفكار ، وقف زعماء الحركة الصهيونية يساعدهم الاستعمار البريطاني في وجه الانسان العربي الذي كان يسعى لتحقيق استقلاله في بلاده ، وحاولوا قهره بتهجير اليهود الى بلاده والاستيلاء على أرضه وطرده منها . وبرر بعض الكتّاب اليهود اللجوء الى الارهاب لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية بضرورة استخدام العنف ، ضارباً عرض الحائط بالقيم والمثل الاخلاقية التي لا تأتي ـ على حد زعم ارتر كوستلر ـ إلا بالوهن والضعف . في عام ١٩٤٨ م حيث اتخذ الارهاب وسائل أشد عنفاً .

واذا كان الارهاب في البداية وسيلة لفرض الوجود اليهودي في البلاد ، إلا انه تغير في عام ١٩٤٨ م حيث اتخذ الارهاب وسائل أشد عنفاً وضراوة مما سبق ، واستهدفت العمليات الارهابية القاتلة والبشعة الانسان العربي بهدف دفعه اما للموت او للهرب ليلاً في مصيره في التشرد والحرمان .

ومن وسائل الارهاب الصهيوني التي مارستها منظمة الأرغون الارهابية استخدام الحرب النفسية لاجبار الأهالي العرب على الرحيل ، فقد استخدم اليهود قنبلة دافيد لمدفع الهاون ، وتحمل ٦٠ رطلاً من المواد السريعة الانفجار لمسافة ٣٠٠ ياردة ، دون اصابة دقيقة للهدف ، إنما بتأثير نفسي مدمر . ومن الأسلحة الأكثر تطوراً قنبلة برميل المتفجرات التي تلقى في الممرات والطرقات والشوارع داخل المدن والقرى فتولد جحيماً من اللهب المستعر وانفجارات لا حد لها ، مما أحدث فزعاً ورعباً بين الأهالي .

كما استخدم اليهود تسجيلات الرعب من أجل اجبار أهل فلسطين على الرحيل . وتضمنت هذه التسجيلات الصرخات والعويل ، والأنين المكروب للنساء العربيات وزعيق صفارات الانذار ، ورنين اجراس سيارات الاطفاء ، حيث قاطعها صوت صادر من أعماق القبور ينادي بالعربية « يا جميع المؤمنين انقذوا أرواحكم . . اهربوا وانجوا بحياتكم . . اليهود يستعملون الغاز والأسلحة الذرية . اسرعوا في الفرار ناجين بأنفسكم على اسم الله » .

ثم تتالت بعد ذلك أشكال الحرب النفسية ، فقام اليهود بمذبحة دير ياسين في ١٩٤٨/٤/٨ م بتشويه الجثث بعد قتلها ، واستعراض العرب الذين لم يقتلوا في شاحنات مكشوفة عبر شوارع القدس المجاورة لكي يبصق عليهم ويشهر بهم . وقد احدثت هذه المذبحة ردود فعل سيئة في نفوس عرب فلسطين وحملت الكثيرين على الهجرة فراراً من الصهاينة وحفاظاً على الشرف والكرامة على أمل العودة بعد قليل . أي بعد دخول الجيوش العربية فلسطين لتحريرها من الصهاينة واليهود .

وكانت محطات الراديو الصهيونية تتابع بث الاذاعات النفسية باللغة العربية حيث كان هناك عدد كبير من اليهود يتكلمون العربية بطلاقة ، وجرى اختيارهم للامحهن العربية ، فارتدوا الزي العربي وتنقلوا داخل الجماعات

والاحياء العربية محاولين نشر الشائعات ، والتقاط المعلومات المفيدة ، ومن جملتها تلك الحقائق التي يمكن بثها على جناح السرعة من الاذاعة باللغة العربية لكي ينشأ الاحساس لدى العرب بأنهم محاطون بالجواسيس من كل جانب .

واستمرت العصابات الصهيونية في بث الشائعات واستخدام الحرب النفسية بشتى الوسائل لاجبار عرب فلسطين على الرحيل وكان آخر هذه المحاولات في يوم ١٥/٥/١٩٤٨ م يوم انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ودخول الجيوش العربية ، فقد انفجر مكبر الصوت بالعربية : « ان الهاغاناة تذيع على العرب وتحثهم على مغادرة المنطقة قبل الساعة الخامسة والربع عند الفجر فيقول : « اشفقوا على نسائكم واطفالكم واخرجوا من حمام الدم هنا . . اخرجوا بطريق اريحا الذي ما زال مفتوحاً أمامكم . فلو بقيتم لاستنزلتم الكارثة على انفسكم » . وبالرغم من كل هذه الشائعات فلم يغادر الفلسطينيون مدنهم وقراهم بل صمدوا وقاوموا .

ولم تقف أعمال الارهاب الصهيوني ضد العرب فحسب ، بل وجه اليهود عملياتهم الارهابية ضد بريطانيا ابان الحرب العالمية الثانية وذلك احتجاجاً على الكتاب الأبيض الثالث وفي سبيل الغائه . فشهدت سنة ١٩٤٤ م أحداثاً تدميرية من قبل عصابات الارهابيين اليهود (الارغون وشتيرن) على دوائر الحكومة البريطانية ، ولاسيما عصابة الارغون التي اختصت باغتيال الضباط والافراد البريطانيين ، ونسف مراكز البوليس ، وفي اغسطس ١٩٤٤ م اطلق اليهود نيران الرشاشات على سيارة المندوب السامي ماكمايكل وزوجته . وكان أقصى ما فرضته السلطات من عقوبة غرامة ٥٠٠ جنيه على المستعمرة التي آوت العصابة . ومع ذلك فإن الغرامة لم تحصل فيما بعد . وفي أثناء أعمال الصهيونيين الارهابية هذه اصدر حزب العمال البريطاني في مايو ١٩٤٤ م قراراً يقضي باقناع الدول العربية بالتخلي عن قضية فلسطين ، بل يدعو الى خروج العرب من فلسطين حتى يدخل اليهود . وفي يونيو ١٩٤٥ م أصدر الحزب نفسه بياناً يدعو الى اقامة دولة يهودية ، وذلك في اثناء قيامه بحملته الانتخابية .

لم يكتف اليهود بما ذكر ، بل ان عصابة شتيرن ارسلت اثنين من أعضائها الى القاهرة حيث اغتالا اللورد موين (Lord Moyen) وزير الدولة البريطاني المقيم في الشرق الادنى في ٦ نوفمبر ١٩٤٥ م . وقد حاكمهما القضاء المصري وقضى باعدامهما . ولم يتخذ الانجليز تجاه هذا كله سوى جزء يسير مما اتخذوه ضد اعمال الثوار العرب سابقاً ، فلا عجب اذا استمر الارهاب اليهودي وتصاعد ضدهم . وازاء ذلك اصدر مجلس الشيوخ الامريكي قراراً بالاجماع يدعو الحكومة الامريكية الى بذل جهودها لدى الدولة المنتدبة لفتح أبواب الهجرة الى فلسطين من دون قيد ، وان تقام دولة يهودية ديمقراطية في فلسطين . واتخذ مجلس الكونجرس مثل هذا القرار .

وفي عام ١٩٤٦ م استمر اليهود في أعمال العنف والاضطراب اذ خطفوا ستة ضباط بريطانيين من أحد الأندية واعتقلوهم ونسفوا الجسور العشرة التي تربط فلسطين بسوريا ولبنان وشرق الأردن ومصر وذلك لعزل فلسطين عن سائر البلاد العربية . وهاجموا القطارات والمخافر . وفي أغسطس ١٩٤٦ م نسفوا فندق الملك داود بالقدس ـ وكان مركزاً للحكومة فقتل وجرح فيه نحو (١٣٠) انجليزياً وعربياً ويهودياً من الموظفين ، وقد أصدرت الحكومة البريطانية بياناً رسمياً أثبتت فيه اشتراك الوكالة اليهودية في تلك الحركات ، وبرهنت على أن الهاغاناة والمنظمات التابعة لها كالبالماخ والارغون وغيرها كانت تعمل تحت اشرافها وهيمنتها ، فاحتلت الحكومة البريطانية دار الوكالة وصادرت بعض أوراقها واعتقلت بعض زعمائها ، ولكنها لم تحلها كما فعلت باللجنة العربية العليا في أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ م . وأعلن اليهود من جانبهم على لسان وايزمن ان الوسيلة الوحيدة لتهدئة اليهود هي الاسراع في

ادخال مئة الف يهودي الى فلسطين ، وتسريح المعتقلين اليهود . غير ان السلطة البريطانية استجابت للصهيونية ، فأطلقت سراح معظم المعتقلين ، وأخلت دار الوكالة اليهودية ، ودفعت نفقات ترميم ما تخرب منها في أثناء تفتيشها .

وهكذا فإن العقيدة الصهيونية ارتكزت على أسس منها :

١ ـ الايمان بالعسكرية ايماناً مطلقاً ، وتنشئة الاجيال المتعاقبة من الصهيونيين عليها حتى تصبح قسماً من تكوينهم .

٢ ـ نقض الحقوق الطبيعية للعرب نقضاً مطلقاً الى درجة تصبح فيها جريمة ابادة الجنس العربي بالنسبة الى الصهيوني عملاً مطلوباً من اجل ذاته .

٣ ـ تبرير اللجوء الى أية وسيلة ، مهما كانت ممعنة في الاجرام ، لتحقيق أهداف الصهيونية في الاستيلاء على فلسطين ، حتى ليغدوا القتل والاغتيال والارهاب من الأمور العادية في الحياة اليومية .

٤ ـ اعتماد قانون أعلى هو « الحق المطلق » بالنسبة اليهم او الى « مطلق صهيوني » يضع الصهيونيين كلهم في جهة وباقي الجنس البشري في جهة أخرى أدنى منهم .

٥ ـ ايمان الصهيوني بحقده ضد العرب والمسلمين وكراهيته لهم ، في سبيل تحقيق اهدافه في طرد العرب من بيوتهم والحلول مكانهم .

٦ ـ اعتماد الجاسوسية التي لا تحجم عن ارتكاب أية جريمة لتحقيق أهدافها .

٧ ـ الايمان بأن الهجرة اللاشرعية الى فلسطين ، مهما كانت الوسائل لتحقيقها ، هي مجرد مرحلة للغزو الاستيطاني الصهيوني .

وتأسيساً على ما تقدم من افكار ارهابية ، قاموا بعدة مذابح ضد الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا بهدف ارهابهم واجبارهم على الرحيل وطردهم ومحاولات طمس وجودهم بأي شكل من الأشكال .

الفصل الثالث

التوسع الصهيوني

حرب عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ونتائجها :

في ١٥ مايو ١٩٤٨ م انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين ، وفي اليوم نفسه تحركت وحدات من الجيوش العربية لدخول فلسطين . وقد دخلت الجيوش العربية استناداً الى قرار اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية التي قررت في ١٢ ابريل ١٩٤٨ م الزحف على فلسطين ودخولها في ١٥ مايو ، أي فور الجلاء البريطاني عنها ، وذلك لحماية سكانها العرب ، كما قررت اعلان الأحكام العرفية واتخاذ التدابير التي يقتضيها القرار . وفي تلك الأثناء بالذات في ١٤ مايو اجتمع رجال الوكالة اليهودية في تل أبيب برئاسة بن غوريون والذي قرأ تصريحاً أعلن فيه قيام اسرائيل . وتلقت دولة اسرائيل الاعترافات من الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي .

وقد أذاعت الحكومة العربية عشية دخول جيوشها الى فلسطين بياناً عن قضية فلسطين أعلنت فيه تلك الدول مسؤوليتها في انقاذ فلسطين وتحريرها ، وذلك نظراً لأن أمن فلسطين وديعة مقدسة في عنق الدول العربية ، وراحت حكومات الدول العربية نفسها مضطرة الى التدخل في فلسطين لمجرد مساعدة سكانها على اعادة السلم والأمن وتحقيق استقلال فلسطين . وعندئذ يقف تدخل الدول العربية وتتعاون دولة فلسطين المستقلة مع دول الجامعة العربية على كل ما فيه أمن وسلم ورخاء هذا الجزء من العالم .

وتؤكد حكومات الدول العربية في هذه المناسبة ما سبق لها ان اعلنته امام مؤتمر لندن والأمم المتحدة من ان الحل الوحيد العادل لقضية فلسطين هو انشاء دولة فلسطينية موحدة وفق الأسس الديمقراطية يتمتع سكانها بالمساواة التامة امام القانون ، وتكفل للاقليات فيها جميع الضمانات المقررة في البلاد الديمقراطية الدستورية وتصان الاماكن المقدسة وتكفل حرية الوصول اليها .

لا شك في أن الموقف العربي يبنى على مبدأ عام أقرته دول العالم هو مبدأ حق تقرير المصير الذي يعطي كل شعب الحق في تقرير مصيره . ويقرر مصير الشعب الأكثرية في ذلك الشعب . فليس هناك طريقة اخرى لمعرفة الارادة العامة . وتقوم الديمقراطية على أن اكثرية الأصوات تؤلف الادارة العامة ـ ارادة الشعب عند تقرير المصير ـ

وأكثرية أهل فلسطين المطلقة كانت عربية عند انتهاء الانتداب .

ففي ايار (مايو) ١٩٤٨ م ، كان مجموع عدد السكان في فلسطين يقدر بنحو ٢,٠٦٥,٠٠٠ نسمة ، منهم ١,٤١٥,٠٠٠ عربي ، واليهود ٦٥٠,٠٠٠ أي أن العرب في فلسطين كانوا يشكلون نسبة من السكان هي أكثر من الثلثين ، وكان اليهود أقل من ثلث السكان .

لكن هناك قوى عالمية وقفت بقرار التقسيم ، وبالقوة المسلحة للصهيونية ، وما هيأته بريطانيا من ظروف واحوال قبل انسحابها من فلسطين ، كل هذه الأسباب وقفت ضد المبادىء والوقائع والارقام .

ـ الوضع العسكري العام :

كان الوضع العسكري الصهيوني في أواسط مايو ١٩٤٨ م قوياً منظماً ، فهناك قوى يهودية مختلفة من القوات الضاربة والاحتياطي والبوليس والحرس المحلي للمنظمات الارهابية الصهيونية يقدر بـ (٧٠ ألف مقاتل) وهذه القوى مسلحة ، فقد اعطت بريطانيا اعداداً من الأسلحة من البنادق والرشاشات لليهود ، كما يسرت لهم الاستيلاء على مخازن الاسلحة الخاصة بالجيش البريطاني ، عشية انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ، بالاضافة الى الشحنات الخارجية التي كانت تصلهم من الخارج . وعلاوة على ذلك فإن طرق المواصلات والتموين بالنسبة الى الصهيونيين ، قصيرة لأنها تقع داخل البلاد ، ثم انهم كانوا تحت اشراف قيادة واحدة موجهة .

وقد قامت الاستراتيجية الصهيونية بالنسبة للأعمال العسكرية منذ اعلان قرار التقسيم وحتى انتهاء الانتداب البريطاني ، على الحصول على رقعة واسعة من الارض تقيم عليها دولتها بعد اخلائها من سكانها الاصليين . وقرار التقسيم وهو احدى حلقات المؤامرة الدولية على فلسطين الذي أوصى بدولة يهودية تقوم على ٦٥,٥٪ من مساحة فلسطين . لذلك اتخذ الصهيونيون من قرار التقسيم مظلة لتنفيذ مخططهم ، عن طريق قلب الأوضاع الديموغرافية القائمة في البلاد فقاموا بالمذابح ـ دير ياسين وغيرها ـ وروعوا السكان بغية تفريغ البلاد من سكانها . ومن هنا بلغ عدد النازحين عن فلسطين الى وقت انتهاء الانتداب ربع مليون نسمة . والخطة الاستراتيجية في هذا الدور الأول كانت تقوم على متابعة الانسحاب البريطاني من البلاد جزئيا والحلول محل قوات الادارة البريطانية بغض النظر عن الوسيلة ، حتى اذا جاء يوم ١٥ مايو وانتهى الجلاء البريطاني عن البلاد ، يعلن قيام دولة اسرائيل في الفراغ القانوني الناتج عن زوال الحكم البريطاني. وهكذا فإن هجوم واسع النطاق على المدن والقرى العربية ، بحيث يمكن ايجاد الموقع الجغرافي لقيام الدولة اليهودية . وهذه الخطة وضعت موضع التنفيذ قبل انتهاء الانتداب بنحو شهر ونصف الشهر وتحت سمع بريطانيا وعلى مسمعها . وهكذا انتهى الانتداب وواجهت القوى الصهيونية الدول العربية بأمر واقع هو قيام دولة اسرائيل وفق خطة « دال » .

أما الوضع العسكري للجيوش العربية النظامية التي دخل بعض وحداتها فلسطين عند انتهاء الانتداب ، فهي تتكون من ١٤ ألف جندي فقط من سوريا والعراق وشرق الاردن ومصر ولبنان والسعودية واليمن والسودان ، وعلاوة على قلة عددها بالنسبة للصهاينة ، فإنها ايضاً كانت تشكو من ضعف التسليح وفساد العتاد الحربي .

والجدير بالذكر أن هذه الجيوش العربية كانت تتبع انظمة عسكرية مختلفة ، وتدريبها مختلف ، وطرق مواصلاتها وتموينها كانت طويلة ، واسلحتها متعددة الأنواع والأشكال . علاوة على انها كانت تفتقر الى الصناعات

العسكرية حتى الأسلحة الخفيفة ، وانه لم يكن هناك خطة عسكرية متفق عليها وكذلك لا توجد قيادة عسكرية واحدة . وفضلاً عن ذلك ، فإن بعض الدول العربية كان مرتبطاً بمعاهدات مع بريطانيا تحول دون حرية التصرف الضرورية في مثل هذه الأحوال . كما ان نسبة القوات العربية ـ وهي مهاجمة ـ الى القوات الاسرائيلية ، كانت ١ الى ٣ او ٤ لمصلحة اسرائيل ، بينما الهجوم العسكري يحتاج عادة لنجاحه الى مثل هذه النسبة لمصلحة الطرف المهاجم .

ـ العمليات الحربية والهدنة المتقطعة :

يمكن تقسيم الفترة الممتدة من ١٥ مايو الى نهاية نوفمبر ١٩٤٨ م الى عدة مراحل هي :

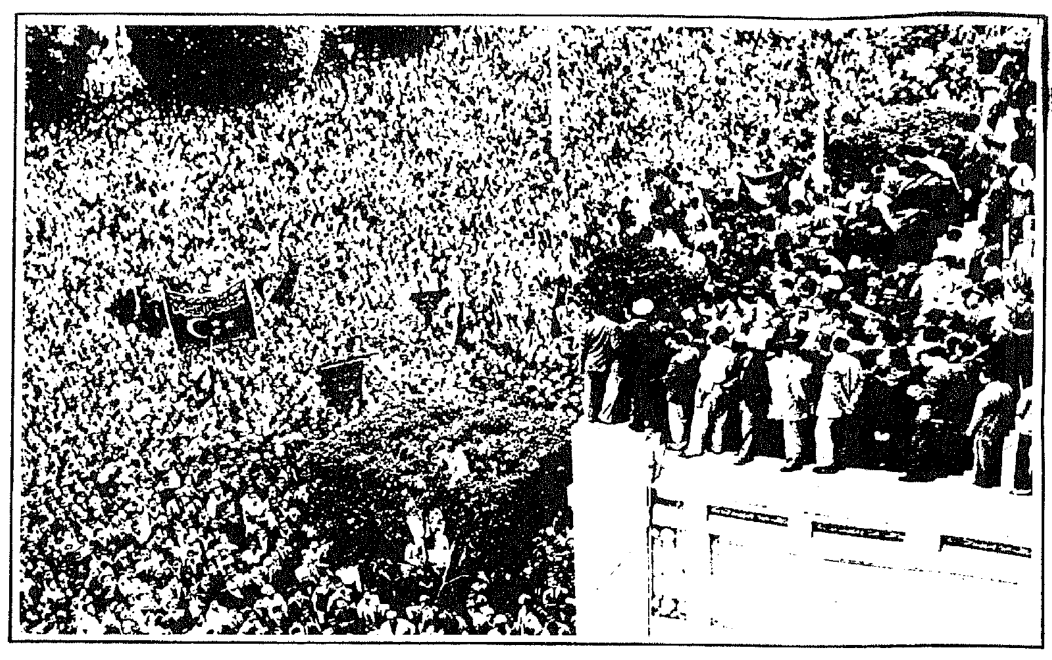
أ ـ قتال الأسابيع الأولى من ١٥ مايو الى ١١ يونيو ١٩٤٨ م .
ب ـ الهدنة الأولى : من ١١ يونيو الى ٧ يوليو .
جـ ـ قتال الأيام العشرة : ٨ يوليو الى ١٨ يوليو .
د ـ الهدنة الثانية ١٨ يوليو .
هـ ـ معارك خريف ١٩٤٨ م .

١ ـ المرحلة الأولى : وهي قتال الاسابيع الأولى :

كانت القوات الفلسطينية وقوات جيش الانقاذ البالغ عددها خمسة آلاف مقاتل لا تزال تسيطر على معظم أراضي فلسطين وعلى الطريق الواصل بين القدس وتل ابيب ، وذلك عندما دخلت وحدات من الجيوش العربية النظامية فلسطين ، وبذلك فإن القوات الفلسطينية كانت تعزل المدينة الجديدة في القدس عن مصدر قواتها وعتادها . وكان الجليل الغربي لا يزال بعضه تحت سلطتها ، كما كان مطار اللد وبلدتا اللد والرملة تحت سيطرتها . وفي فترة الاسابيع الأربعة الأولى ، أحاطت القوات العربية النظامية بفلسطين . واستطاع الجيش العراقي أن يتخطى بلدة طولكرم في اتجاهه غرباً ، كما صد هجوماً اسرائيلياً على بلدة جنين . وسيطر الجيش العربي الاردني على باب الواد ، ففوّت على اسرائيل فتح الطريق الى القدس ، الأمر الذي أدى الى استسلام الحي اليهودي في القدس القديمة (٢٨ مايو) ، وعسكرت احدى كتائبه حول بلدتي اللد والرملة . وتمركزت القوات اللبنانية على طول الجبهة اللبنانية الفلسطينية ، وكانت أهم معركة خاضها الجيش اللبناني هي معركة المالكية في (٥ يونيو) . اما الجيش السوري فقد تمكن فيما بعد من احتلال مستعمرة مشمار هايردن .

وزحف الجيش المصري في الموعد المحدد ، وانضمت اليه ـ فيما بعد سرايا من السعوديين ومتطوعين من السودانيين والليبيين ، وتمركز في غزة وبئر السبع ، وسار في اتجاهين : الواحد نحو الخليل ، وسارت في الوحدة التي كان يقودها احمد عبد العزيز . والثاني ، وكانت النظامية الرئيسية ، اتجه نحو اسدود . وقد تمكن الجيش المصري من السيطرة على القسم الجنوبي من فلسطين ، ودك حصون عدد من المستعمرات اليهودية ، إلا ان قسماً كبيراً منها ظل خارج السيطرة العملية للقوات المصرية وخلف خطوطها الأمامية .

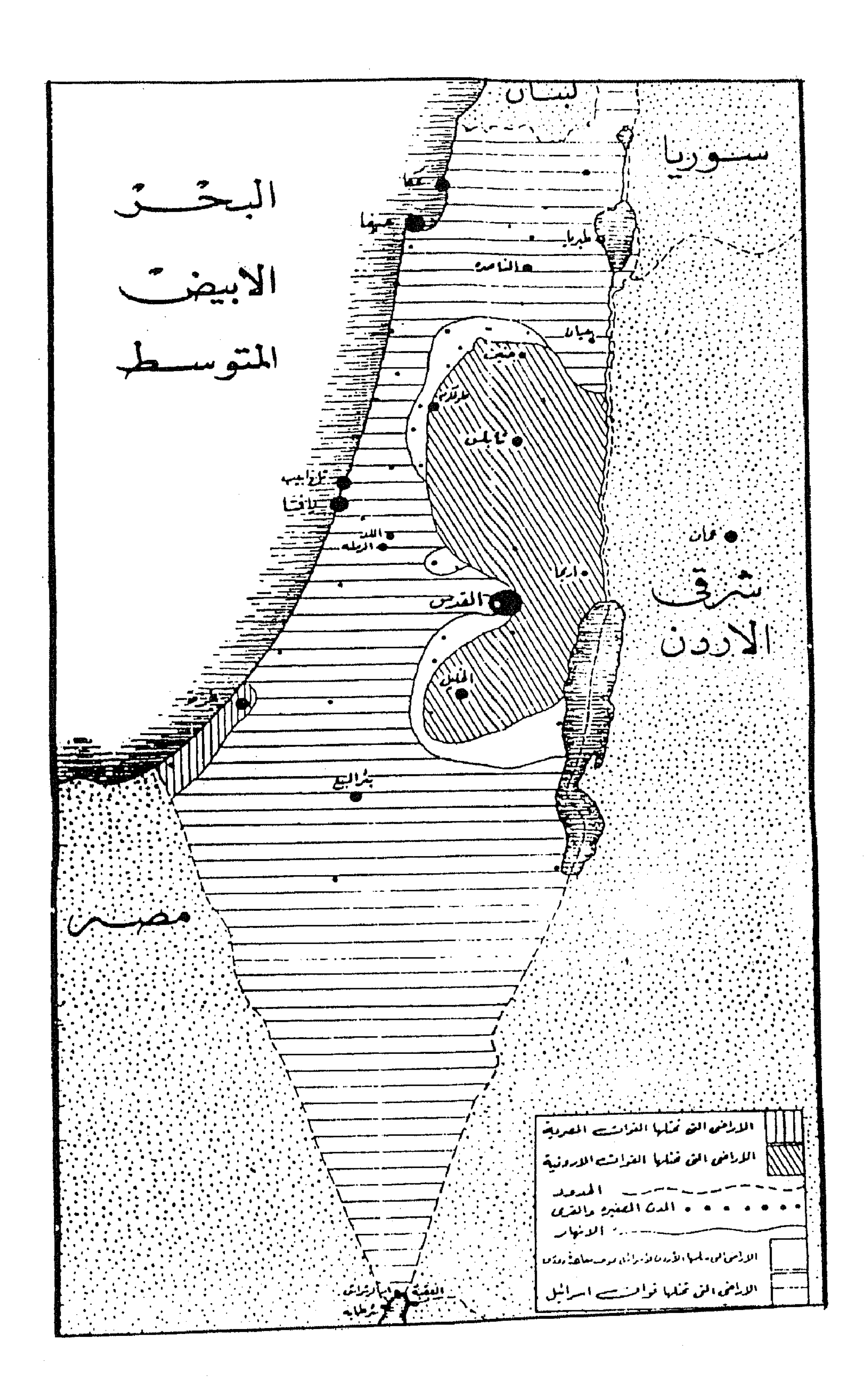
ومهما يكن من امر ، فإن موقف الجيوش العربية كافة ، بعد الأيام الأولى من القتال والمعارك ، أصبح دفاعياً ، وذلك بسبب قلة العدد والعتاد واختلال الميزان بينها وبين القوى الاسرائيلية . غير ان مجرد تقدم القوات العربية ، ومقاومة المجاهدين الفلسطينيين وشجاعتهم ، أوقعا الذعر والبلبلة في قلوب الصهيونيين ، وشكلا عنصراً سياسياً



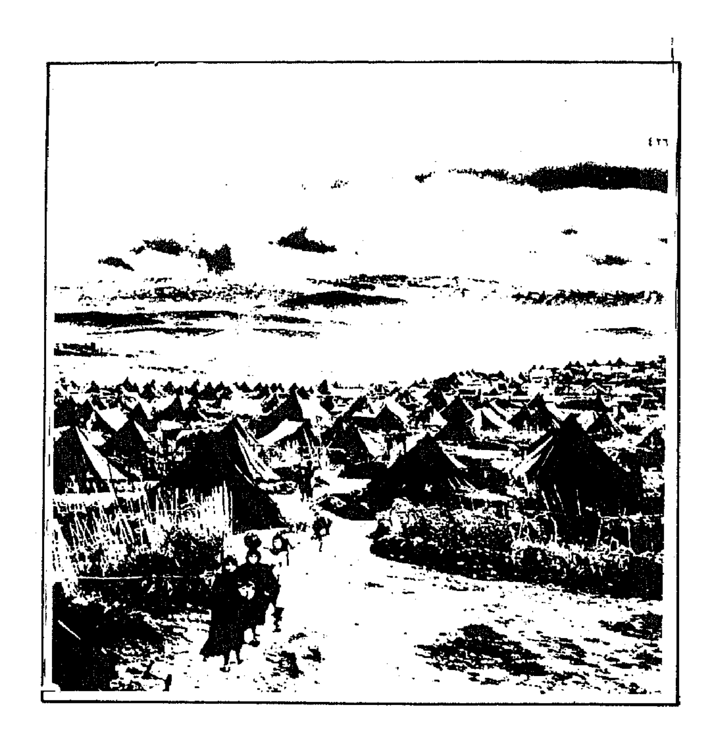


ضاغطاً بالغ الأثر ، وحققت هذه الجيوش نجاحاً بالرغم من كل النواقص دفع الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا للضغط على الدول العربية بقبول وقف اطلاق النار فاضطرت الدول العربية الى الموافقة على وقف اطلاق النار بعد ان رفضت باديء ذي بدء وذلك نتيجة الضغوط التي تعرضت لها . فوافقت الدول العربية على اقتراح الوسيط الدولي الكونت فولك برنادوت الذي طلب بوقف القتال مدة أربعة اسابيع وهي الهدنة الأولى .

وكان القرار يقضي بحظر نقل المواد الحربية للاطراف المتحاربة ، وكان القصد من الهدنة تمكين الوسيط الدولي من تقديم الاقتراحات لحل المشكلة . غير ان الصهيونيين لم يتقيدوا بشروط الهدنة ، فاستقدموا الطائرات والمدافع والدبابات وغير ذلك من الأسلحة الاتوماتيكية والذخائر الحربية . وقامت بريطانيا والولايات المتحدة بتزويد عملاؤها بقاذفات القنابل . وزودتهم تشيكوسلوفاكيا وايطاليا بالسلاح ، وذلك الى جانب الأسلحة وا لمعدات الحربية التي



لبنان
سوريا
البحر
الابيض
المتوسط
عكا
حيفا
طبريا
الناصرة
بيسان
جنين
طولكرم
نابلس
تل ابيب
يافا
اللد
الرملة
عمان
شرق
الاردن
اريحا
القدس
الخليل
بئر السبع
مصر
العقبة
الاراضي التي تحتلها القوات المصرية
الاراضي التي تحتلها القوات الاردنية
الحدود
المدن الصغيرة والقرى
الانهار
الاراضي التي تحتلها قوات اسرائيل



حصل عليها الصهيونيون من معسكرات الجيش البريطاني في اثناء انسحابه من فلسطين .

وخلال فترة الهدنة تقدم الوسيط الدولي باقتراح تأليف اتحاد عربي يهودي يضم فلسطين وشرق الاردن ، على أساس دولتين عربية ويهودية ، فرفضه العرب والصهاينة ويعزى رفض العرب لذلك لأنه قائم على أساس التقسيم والاعتراف بالكيان الصهيوني ، كما يعزى رفض اليهود لأنه ابقى مدينة القدس والنقب في يد العرب . غير ان الصهاينة اغتالوا الوسيط الدولي لأنهم رأوا في مشروعه تهديداً لمخططاتهم .

استؤنف القتال في ٩ تموز ـ يوليو ، وخلال هذه الفترة كان اليهود قد أحرزوا مكاسب بسبب ما لديهم من اسلحة فاستولوا على بلدتي اللد والرملة ، وبسطوا سيطرتهم على منطقة الجليل الغربي ، وحققوا بعض المكاسب ضد القوات المصرية . ثم وقف القتال في ١٨ تموز ـ يوليو واستمرت الجيوش العربية في اماكنها وتقيدوا بأحكام الهدنة الثانية التي لم تحترمها اسرائيل بل سارت في خططها التوسعية ، وقامت اسرائيل بعدة معارك في أواخر عام ١٩٤٨ م ، ففي الفترة ١٥ ـ ٢٢ اكتوبر ، قامت اسرائيل بهجوم عام على الجبهة المصرية ، وبذلك استولت على أكثر النقب . وانتهى الهجوم بقبول الجانبين لوقف اطلاق النار ، ثم قامت اسرائيل في ٢٨ ـ ٣١ اكتوبر بهجوم على الشمال ، فاحتلت الجليل بأكمله ، كما استولت على بعض القرى داخل الحدود اللبنانية . وقامت بشن هجوم آخر على القوات المصرية مما دفع مصر الى طلب وقف اطلاق النار نتيجة اضطراب الأحوال الداخلية . وفي اواخر نوفمبر استفردت اسرائيل بقوات الجيش العربي الاردني في جنوب النقب والعقبة فاضطر شرق الاردن الى سحب قواته وعقد هدنة مع اسرائيل كان من نتيجتها انسحاب القوات العراقية من منطقة المثلث الواقعة ما بين نابلس وجنين وطولكرم ، ودخلتها القوات الاردنية في مقابل التخلي لاسرائيل عن منطقة المثلث الصغير ومساحتها ٤٥٠ كيلومتراً مربعاً . وتضم نحو ٢٤ قرية عربية من بينها أم الفحم وعارة وعرعرة ، كما حدثت تعديلات أخرى في جنوبي منطقة الخليل ، شملت التخلي للقوات الاسرائيلية عن نحو ١٥٠ كيلومتراً مربعاً من الاراضي هناك .

وبتوقف اطلاق النار ، جرت مفاوضات الهدنة في جزيرة رودس في عام ١٩٤٩ م ، وتم توقيع اتفاقيات الهدنة بين اسرائيل وكل من مصر وشرق الاردن ولبنان وسوريا .

- نتائج حرب ١٩٤٨ م :

أسفرت الحرب العربية ـ الاسرائيلية الأولى عن نتائج بالغة الخطورة :

١ - قامت دولة اسرائيل ودعمت كيانها بقوة السلاح ، وكذلك بدعم من الدول الكبرى الشرقية مثل الاتحاد السوفييتي والغربية مثل الولايات المتحدة الامريكية ، بريطانيا ، فرنسا ، حين اصدرت بيانها الثلاثي عام ١٩٥٠ م بقصد المحافظة على اسرائيل وتثبيت حدودها القائمة على اتفاقية الهدنة .

٢ - استولت اسرائيل على ٧٧,٤٠٪ من مساحة فلسطين ، بينما كان قد خصص لها مشروع التقسيم نحو ٥٥٪ من تلك المساحة .

٣ - نزح نحو مليون من الفلسطينيين عن ديارهم ، ولجأوا الى ما تبقى من فلسطين : الضفة الغربية المنضمة الى الاردن (١٩٥٠ م) وقطاع غزة الذي وضع تحت اشراف الادارة المصرية . كما لجأوا الى البلاد العربية المجاورة : لبنان وسوريا والاردن . وأقام أكثرهم في المخيمات التي يعيشون على المساعدات اليسيرة التي يتلقونها من « وكالة الأمم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الادنى » .

٤ - اتجهت الدول العربية الى تقوية جيوشها ، فوضعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية « معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي » وتقضي هذه المعاهدة بتعاون الدول العربية في التصدي لأي عدوان خارجي يقع على أية دولة عربية .

٥ - انشأت الدول العربية من خلال الجامعة العربية مكتباً لمقاطعة اسرائيل اقتصادياً مقره في دمشق وذلك من اجل منع التغلغل الاقتصادي الصهيوني في البلاد العربية .

٦ - تشتت عرب فلسطين في دول مختلفة عديدة وانقسموا الى ثلاث فئات هي :

أ ـ عرب الارض المحتلة . ب ـ اللاجئون الفلسطينيون وهم الذين اجبروا على النزوح عن أراضيهم واللجوء الى المناطق المجاورة وشملت هذه المناطق الضفة الغربية وقطاع غزة وشرق الاردن وسوريا ولبنان . جـ ـ سكان الضفة الغربية وقطاع غزة الاصليون . وعاش الشعب الفلسطيني مرارة اللجوء وبؤس العيش في المخيمات بعد ان فقد الكيان والهوية والارض والوطن .

٧ - أدت هزيمة الجيوش العربية في فلسطين الى حدوث هزات واضطرابات سياسية واغتيالات كانت كلها تعبر عن رفض الشعوب العربية لما حدث في حرب ١٩٤٨ م .

- أسباب ضياع فلسطين :

١ - ضعف القيادة العسكرية وتشتتها ، وعدم وجود خطة عسكرية موحدة ، وذلك لوقوع غالبية الدول العربية تحت السيطرة الاستعمارية او ارتباطها بمعاهدات مع الدول الكبرى .

٢ ـ فساد الأسلحة العسكرية لدى الجيوش العربية .

٣ ـ عدم ترك الفلسطينيين في طليعة الجيوش العربية وعدم تقديم الدعم الكافي لهم ، وابعادهم عن المعركة .

٤ ـ الخلافات السياسية بين البلدان العربية ، فالقيادات السياسية بعيدة عن جدية المعركة .

٥ ـ التدخلات الاجنبية والضغوط والتهديدات الخارجية ضد الدول العربية ودعم الدول العظمى بلا حدود للكيان الصهيوني .

٦ ـ استهتار الدول العربية بالعدو الصهيوني ، واشتراك الجيوش العربية في ظل ميزانيات السلم التي لا تسليح فيها ولا تمرين ولا احتياطي .

٧ ـ عدم اشراك السياسيين القادة العسكريين في أي نقاش حول الحرب ، مما جعل هؤلاء الاخيرين في وضع غريب ، فهم لم يطلعوا على قرار دخول الحرب إلا قبل وقت قصير من اندلاعها .

٨ ـ ضحالة المعلومات المتوافرة عن القوات المعادية بينما كان العدو يعرف اموراً كثيرة عن العرب .

٩ ـ ضعف الخبرة والقدرة العسكريتين لدى القوات العربية في حين توافرت لقوات العدو بسبب اشتراكها في الحرب العالمية الثانية .

١٠ ـ افتقار العرب الى قيادة عسكرية موحدة جادة قادرة على التخطيط والتنسيق بين الجيوش والاشراف على سير العمليات ، في حين كانت قوات العدو تديرها قيادة واحدة وفق خطة عامة عسكرية .

١١ ـ عجز الدول العربية عن استغلال فترات توقف القتال لتحسين اوضاع قواتها المسلحة وتأمين السلاح والعتاد .

١٢ ـ قصور الدول العربية عن فهم استراتيجيات الدول العظمى المتحكمة في السياسة العالمية واطمئنانها للوعود ، وتقبلها المماطلات ، مما ادى الى عجزها عن الارتفاع الى مستوى مجابهة الاخطار التي تهددها ، في الوقت الذي كانت فيه الصهيونية العالمية قد حشدت كامل طاقاتها المحلية والدولية لخدمة أهدافها الاستراتيجية .

وهكذا فإن اسرائيل تشكل خطراً نامياً متحركاً يتجاوز فلسطين الى الوجود العربي والاسلامي بأكمله ، هذا فضلاً عن أن اسرائيل قاعدة استعمارية ضخمة زرعها الاستعمار في قلب الوطن العربي ، وهذا يجعل اسرائيل جزءاً لا يتجزأ من مصالح هذا الاستعمار وحركته العامة ، ولذلك فقد وجد الاستعمار في اسرائيل اداة مثالية لتكون رأس الحربة في مخططاته الجديدة واحد الجسور الرئيسية للعبور مجدداً الى افريقيا وآسيا وخاصة في مناطق العالم الاسلامي . وعلى ذلك فقد بقيت اسرائيل غريبة في العالم الاسيوي والافريقي . وغدت اسرائيل تشكل خطراً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً على العالم العربي والاسلامي . وهو ما نلحظه من كثرة حروبها وتوسعها واعتداءاتها على الأمة العربية والاسلامية بقصد استنزاف طاقات الغرب والمسلمين أولاً بأول . فقامت بالاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ م لتمثل دوراً رئيسياً في حركة الاستعمار العالمي ولتقوم بدور مخلب القط والذراع القوية للمستعمر في منطقتنا العربية .

- حرب عام ١٩٥٦ م ونتائجها :

شهدت المنطقة العربية تطورات خلال السنوات الأولى من الخمسينات ، أصبحت معه المواجهة المسلحة بين الدول العربية والعدو الاسرائيلي أمراً شديد الا حتمال . فالكيان الصهيوني لم يكتف بما استولى عليه في حرب ١٩٤٨ من اراضي فلسطين ، بل تابع سياسته الاستعمارية التوسعية بهدف الاستيلاء على المزيد من الاراضي العربية . فقامت اسرائيل بتجفيف بحيرة الحولة والاستيلاء على مثلث العوجا المنزوع السلاح في عام ١٩٥٥ م هذا بالاضافة الى الاعتداءات المتكررة على القرى الحدودية العربية وخرقها المتعمد لاتفاقيات الهدنة يومياً وادانتها من قبل مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة والرقابة الدولية ولكن دون جدوى . وكان من ابرز اعتداءات اسرائيل الهجوم على قطاع غزة في فبراير عام ١٩٥٥ الذي ذهب ضحيته عشرات السكان العرب ، وذلك بحجة الانتقام من الفدائيين العرب بسبب عملياتهم . كما تحدت اسرائيل قرارات الأمم المتحدة بشأن تدويل القدس وأصرت على أن تبقى القدس الغربية جزءاً من الدولة العبرية ، وتحدت اسرائيل الأمم المتحدة واتخذت القدس عاصمة لها .

ولعلنا نستطيع ان نلقي الضوء على الاسباب التي دفعت اسرائيل للاشتراك في حرب ١٩٥٦ م :

١ - رغبة اسرائيل في التوسع والاستيلاء على المزيد من الاراضي العربية .

٢ - شن غارات على قواعد الفدائيين العرب في غزة وتدميرها بسبب ما كانت تحدثه هجماتهم داخل اسرائيل من ذعر وهلع .

٣ - طمع اسرائيل في الحصول على حرية الملاحة في خليج العقبة والبحر الاحمر ليسهل عليها التغلغل في الاقطار الآسيوية والافريقية اقتصادياً وثقافياً وعسكرياً .

٤ - والسبب العام والاستراتيجي وهو حرص اسرائيل على ان تبقى الدولة الاقوى في المنطقة ، تلوح بعصاها الحربية في وجه الشعوب والحكومات العربية لفرض سيطرتها التام ، ولتثبت لحلفائها الغربيين انها - أي اسرائيل - هي وحدها القادرة على حماية مصالحهم واطماعهم في المنطقة .

وهناك اسباب أخرى عربية ودولية :

١ - مقاومة مصر لسياسة الاحلاف الاستعمارية الغربية وربط المنطقة العربية بها كحلف بغداد ، وفي هذا تهديد للدول الكبرى الغربية ولاسرائيل ، كما تزعمت مصر بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر المد القومي التحرري . وقيام حكم وطني في الاردن بعيداً عن التأثيرات الأجنبية .

٢ - عقدت مصر سلسلة من الاتفاقيات الثنائية او الثلاثية للدفاع المشترك مع عدد من الدول العربية ، شمل سوريا والاردن والسعودية واليمن . كما ساعدت مصر الثورة الجزائرية مما أثار حنق فرنسا وغضبها على مصر .

٣ - رفض الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا بتمويل بناء السد العالي في مصر عقاباً لمصر على مناهضتها حلف بغداد ، فكان رد مصر تأميم قناة السويس

ـ حملة سيناء العسكرية ونتائجها :

التقت المصالح والاطماع الاستعمارية لكلّ من فرنسا وبريطانيا واسرائيل في صيف عام ١٩٥٦ م ، اذ كانت فرنسا ترغب في القضاء على نظام عبد الناصر لدعمه ثورة الجزائر ، في حين كانت بريطانيا تطمح في العودة الى منطقة قناة السويس التي اجبرت على الجلاء عنها . ووجدت اسرائيل فرصتها في ذلك المناخ الدولي لاحتلال مزيد من الاراضي العربية والوصول الى ضفة القناة ، وبالتالي تأمين حرية الملاحة لها في خليج العقبة وقناة السويس ، الى جانب القضاء على مراكز الفدائيين في قطاع غزة وتدمير قوة مصر العسكرية النامية والبرهنة على نظرية تفوق اسرائيل المطلق . واتفقت اسرائيل سراً مع بريطانيا وفرنسا على خطة عمل مشتركة ضد مصر . وكانت الخطة تقضي بأن تبدأ اسرائيل بالهجوم على مصر بحجة القضاء على الفدائيين في غزة وسيناء ، فتتدخل كل من فرنسا وبريطانيا بحجة الفصل بين المتحاربين وضمان سلامة الملاحة في قناة السويس .

وفي ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ م ، بدأت القوات الإسرائيلية حملة سيناء ، وفي خلال خمسة ايام ونتيجة التدخل العسكري الفعلي لكل من فرنسا وبريطانيا ، استولت اسرائيل على قطاع غزة واحتلت شبه جزيرة سيناء وشرقي قناة السويس ، بما في ذلك شرم الشيخ وجزيرة تيران التي تتحكم في المدخل الشرقي لخليج العقبة .

وبموجب الخطة المتفق عليها بين الدول الثلاث وجهت بريطانيا وفرنسا ليلة ٣٠ اكتوبر انذاراً الى مصر يقضي بوقف الحرب فوراً وانسحاب القوات المصرية الى مسافة عشرة اميال من القناة وموافقة مصر على احتلال قوات انجليزية وفرنسية بورسعيد والاسماعيلية والسويس لضمان حرية الملاحة في القناة لكل الدول . وطلبت الحكومتان جواباً على هذا الانذار خلال اثنتي عشرة ساعة .

رفضت مصر الانذار ، وقبلته اسرائيل بطبيعة الحال . وبدأت الطائرات البريطانية والفرنسية بمهاجمة المطارات المصرية ، وبدأت الدولتان بانزال قواتها في منطقة قناة السويس وجرى القتال على وجه الخصوص في مدينتي بورسعيد وبور فؤاد ، ولكن الشعب المصري واجه العدوان ببسالة فائقة ولم يمكن الدولتين العظميين من احتلال القناة بل احتلت فقط جزءاً من مدينة بورسعيد . ونتيجة لتدخل مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وانذار كل من الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا للدول المعتدية بوقف اطلاق النار وسحب قواتها من الاراضي المصرية . كما اتخذت الأمم المتحدة قراراً بتشكيل قوة الطوارىء الدولية .

وبعد عدة أيام من القتال ، وامام الضغوط الدولية الحازمة والجادة من الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ومن كتلة الدول الافريقية الاسيوية وبعض الدول الاوروبية اوقفت بريطانيا وفرنسا عملياتها الحربية ، وأتمت سحب قواتها في ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ م . وكانت مصر تحتفل بهذا اليوم وسمته عيد النصر ، أما اسرائيل ، فقد تلكأت وماطلت في الانسحاب وجعلت انسحابها على مراحل فانسحبت من سيناء خلال شهري ديسمبر ١٩٥٦ م ويناير ١٩٥٧ م ، واخيراً تم جلاء اسرائيل عن قطاع غزة في مارس ١٩٥٧ م ، ودخلت قوات الطوارىء الدولية القطاع ثم عادت الادارة المصرية الى قطاع غزة .

ـ نتائج العدوان الثلاثي :

١ ـ خسرت الدولتان الكبريان ـ بريطانيا وفرنسا ـ مادياً ومعنوياً ، فقد كشفت حرب السويس عن ضعف الدولتين

وعن نزولها من مرتبة الدول العظمى الى منزلة اقل .

٢ ـ ضمنت اسرائيل لنفسها المرور في خليج العقبة والوصول الى ميناء ايلات من دون اعتراض عشر سنين أي الى ٢٣ مايو ١٩٦٧ م .

٣ ـ سجلت مصر انتصاراً سياسياً ودولياً وقويت زعامتها في العالم العربي .

٤ ـ شهد العالم تبدلاً في التحالفات وموازين القوى الدولية فقد تغير النظام السياسي في العالم فقد كانت الدول الثلاث (امريكا وفرنسا وبريطانيا) ضد واحدة (روسيا) وأصبح هناك دولتان عظميان (امريكا وروسيا) ضد الدولتين الأقل عظمة . وهذا ابطل وأفشل عملية السويس .

٥ ـ كانت حملة سيناء بالنسبة للدول العربية منطلقاً جديداً في التعامل مع القوى العالمية والعدو الصهيوني على أساس الحق والقوة العدالة . وقام في المنطقة اتفاق عسكري بين مصر والسعودية وسوريا في ١٩ يناير ١٩٥٧ م يقضي بمساعدة الاردن بدلاً من المعونة الاجنبية التي كان يتلقاها من بريطانيا ، والغى الاردن معاهدته مع بريطانيا في ١٨ مارس ١٩٥٧ م وقبلها طرد جلوب باشا وسط مظاهر التأييد والحماسة ، وتلا ذلك قيام الوحدة بين مصر وسوريا في عام ١٩٥٨ م وكذلك قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ م والتي اطاحت بحلف بغداد . ولكن المؤثرات والاطماع الاستعمارية تمكنت من القضاء على دولة الوحدة .

٦ ـ اثارت حرب ١٩٥٦ م فاتحة عهد جديد من شعور الفلسطينيين بالجدارة الشخصية والوطنية معاً، اذ وجد الفلسطينيون أنفسهم أمام عدوهم التاريخي وجهاً لوجه يتعرضون للقتل والتدمير ، واكتشفوا دورهم بضرورة الدفاع عن قضيتهم التي لا يمكن أن تموت بمجرد احتلال قطعة من أرض الوطن ، وتولدت افكار تدعو الى اهمية دور الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه وتجسدت هذه الأفكار عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية في عام (١٩٦٤ م) من جهة ، وانطلاق المقاومة الفلسطينية المسلحة في عام (١٩٦٥ م) من جهة اخرى .

ـ حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ م :

كانت اسرائيل تعزز قواتها العسكرية وتستعد لمعركة قادمة مع العرب ، للاستيلاء على مزيد من الارض ، ولفرض صلح ، بحيث تستطيع أن تخفف من الاعباء المالية التي يفرضها سباق التسلح وسياسة الحرب الدائمة ، وبحيث تفتح أمامها اسواق العالم العربي . فقد كان وضع اسرائيل الاقتصادي يسوء بسبب المقاطعة العربية وغيرها من العقبات الاقتصادية . ومن أسباب الحرب ودوافع اسرائيل للتوسع ما يلي (عوامل غير مباشرة) :

١ ـ تعاظم القدرة العسكرية العربية وخاصة على جبهتي مصر وسوريا .

٢ ـ تعاظم المد الوطني والقومي الذي وجد تعبيراً عنه في ثورة الجزائر وانتصارها (١٩٦٢ م) ثم في قيام منظمة التحرير الفلسطينية (مايو ١٩٦٤ م) وبدئها الأعمال النضالية ـ داخل الأرض المحتلة ، وتعاظم قوة الثورة الفلسطينية .

٣ ـ قيام منظمة التحرير الفلسطينية وانطلاق العمل الفدائي الفلسطيني . فقد برزت الى الوجود التنظيمات الفلسطينية المسلحة ، وعلى رأسها حركة فتح وبدأت تقوم بغارات وعمليات فدائية جريئة داخل الأرض المحتلة

فقامت بـ ٣٥ عملية **عام** ١٩٦٥ م ، ارتفعت الى ٤١ عملية عـام ١٩٦٦ م ، وفي الشهور الخمسـة الأولى التي سبقت عدوان حزيران (يونيو شهدت اسرائيل ٣٧ عمليـة فدائيـة) . ولم يكن حجم العمل الفـدائي كبيراً ، ونتائجها العسكرية لا تشكل تهديداً لاسرائيل ، لكنها كانت ذات دلالات سياسية عسكرية هامة ، لأنها جسدت رفض شعب فلسـطين الأمر الـواقع ، والابقـاء عليه كمجمـوعة من الـلاجئين ، وعبـرت عن استقلال خـطه السياسي ، واستعداد تنظيماتـه الطليعيـة لاستخدام الكفـاح المسلح وسيلة من وسائـل الصراع ضـد الاحتلال الصهيوني وذلك لتحقيق عدة امور منها : أ ـ ابقاء شعلة النضال الفلسطيني متقـدة ، ب ـ الانتقال من العمـل العسكري المحدود الى حرب العصابات على نطاق واسع ، جـ ـ استقطاب أكبر عدد من القوى المناضلة العربية للاشتراك في الكفاح المسلح وفي تعبئة قواها لمعركة التحرير .

٤ ـ الارتباط العضوي بين الصهيونية واسرائيل من جهة ، ومطامع الامبريالية في الوطن العربي من جهة اخـرى ، ولاسيما ان للطرفين مصالح مشتركة يريدان تحقيقها والحفاظ عليها في المنطقة . ويأتي في مقـدمتها فـرض وجود الكيان الصهيوني على العرب والاعتراف به ودمجه في المنطقة ، وتأمين سلامة ذلك الكيان وأمنه عن طريق توسيع حدوده باحتلال أراض عربية جديدة ، ومواجهة النفوذ السوفييتي في المنطقة والسعي الى تقليصه .

أما العوامل المباشرة للحرب فهي :

١ ـ أوضاع اسرائيل الاقتصادية تواجه أزمة حادة مما أدى الى معدل انخفاض الهجرة الى الكيان الصهيوني ، فإن حرباً جديدة من شأنها ان تستقطب يهود العالم حول دولة الكيان الصهيوني ، مما يرفع معدلات الهجرة اليهودية ويوفر لها دعماً مالياً عن طريق التبرعات والهبات لمواجهة أعباء الحرب .

٢ ـ الاستيلاء على المزيد من الاراضي العربية وتحطيم القوة العسكرية العربية النـاشئة قبـل ان تستكمل التسليـح والاعداد .

٣ ـ قيام اسرائيل بغارات وهجمات انتقامية على القرى العربية الحدودية ، كما حدث على جنـين وقريـة السموع ، وضم اسرائيل للاراضي المنزوعة السلاح في شمال فلسطين ومهاجمة مشروع استغلال مياه الاردن في يوليو عام ١٩٦٦ م . وصعدت عملياتها الاستفزازية ضد هيئة المشروع والمزارعين السوريين ، وتحدي القوات السورية .

٤ ـ نشوب معركة جوية بين اسرائيل وسوريا في ١٩٦٧/٤/٧ م فقد فيها الـطيران السـوري ست طائـرات ميغ ، وبدأت اسرائيل تحشد قواتها على الحدود السورية .

٥ ـ اقدام مصر في ١٦ مايو ١٩٦٧ م على سحب قوات الطوارىء الدولية التابعة للأمم المتحدة من شرم الشيخ ومن الاراضي المصرية ، واغلاقها خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية في ٢٣ مايو ١٩٦٧ م . ولبت الأمم المتحدة طلب مصر ، فسحبت القوات الدوليـة من مصر ، ونفذت مصر تعهـدها بـاغلاق خليـج العقبة أمـام الملاحـة الاسرائيلية .

هذه هي الأسباب التي أدت الى تأزم الموقف بين مصر وسوريا من جهة ، واسرائيل وامريكا من جهة اخرى ، فأدى ذلك الى قيام اجواء حرب مهدت لها اسرائيل بأن العـرب يعملون لخنق اسرائيـل ورمي اليهود في البحـر ، واستغلت اسرائيل سحب القوات الدولية واغلاق مضـائق تيران في خليـج العقبة لاثـارة الرأي العـام العالمي عـلى

العرب ، وأوهم العالم بأن اسرائيل في خطر محدق ، ولكن اسرائيل كان لها مصلحة كبيرة في جر الدول العربية الى مواجهة مسلحة حتى تتخلص من مشكلاتها وازماتها الاقتصادية الداخلية .

وفي صباح يوم الاثنين ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ م ، شن الطيران الاسرائيلي هجوماً كثيفاً صاعقاً على المطارات المصرية ، ودمر الطائرات المصرية على الارض في ثلاث ساعات . وفي ستة ايام ، استطاعت القوات الاسرائيلية ان تهزم الجيوش العربية على ثلاث جبهات ، وان تحتل كل سيناء وقطاع غزة واصلة الى قناة السويس ، وكل الضفة الغربية الى نهر الأردن ، ومرتفعات الجولان في سوريا وتبلغ مساحتها الف كيلومتر مربع . ووقع نحو ٦٨ ألف كيلومتر مربع من الاراضي العربية في أيدي الاعداء ، أي نحو ثلاثة أمثال مساحة اسرائيل ١٩٤٩ م ، وسقط ١٥ ألف شهيد عربي . وتوقفت قناة السويس عن العمل . وأصبحت القدس بكاملها عاصمة لدولة الكيان الصهيوني بعد ان استولت اسرائيل على القدس القديمة التي كانت تحت الحكم الاردني . ولجأ ربع مليون فلسطيني آخر من الضفة الغربية وقطاع غزة الى الاردن وسوريا ولبنان . وجلا ١٥٠ الف لاجىء سوري عن القنيطرة ومرتفعات الجولان الى دمشق ، كما هاجر حوالى مليون مصري من مدن القناة الى القاهرة وغيرها من المدن المصرية . ودخل مليون عربي آخر في قطاع غزة والضفة الغربية تحت حكم اسرائيل .

- نتائج الحرب :

١ - فقد العرب المزيد من الاراضي العربية نتيجة الحرب التوسعية ، فخيبت آمال الشباب العربي الطموحة ، وأصيب العرب كافة بذهول وحيرة وكشفت من ان العرب لم يكونوا مستعدين لها ، كما كشفت عن تآمر القوى العظمى ضدهم .

٢ - قرر العرب قطع النفط العربي في بداية العدوان - عن الدول التي تعتدي أو تساعد على الاعتداء على أي دولة عربية .

٣ - عقد مؤتمر قمة عربي في الخرطوم واتفق فيه على - رفض الصلح والاعتراف باسرائيل ولا تفاوض معها ، كما التزمت جميع الدول العربية بتوحيد الصفوف لازالة آثار العدوان واسترداد الارض العربية المحتلة ، وقدمت مبالغ مالية سنوية من دول النفط للدول التي تضررت من العدوان مصر وسوريا والاردن .

٤ - أصدرت الأمم المتحدة في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ م عن طريق مجلس الأمن قرار ٢٤٢ الداعي الى حل الصراع وفق مبادىء لا تعترف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، بل يعالج القرار مشكلة فلسطين على انها مشكلة لاجئين ، ولذا فإن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية رفضت هذا القرار ولا زالت بالرغم من الضغوط الكثيرة التي تتعرض لها .

٥ - اما نتائج الحرب بالنسبة للفلسطينيين ، فقد وحد الاحتلال الاسرائيلي نحو مليون ونصف المليون فلسطيني على كامل الارض الفلسطينية ، وسارعت الحركة الوطنية الفلسطينية داخل الوطن المحتل وخارجه ، الى التنسيق من اجل مواجهة الاحتلال الاسرائيلي بأبعاده كافة . وقد حافظت المقاومة الفلسطينية على منظمة التحرير الفلسطينية التي استقطبت منظمات عسكرية وجماهيرية ، واعتبرت الثورة الفلسطينية نفسها جزءاً من الثورة العربية ، وفصيل وطني من فصائل حركة التحرر الوطني العربية . (ان الثورة هي فلسطينية الوجه عربية القلب) .

٦ ـ دمرت اسرائيل وغنمت معدات حربية لا يقل ثمنها عن مليارين من الدولارات .

٧ ـ مارست اسرائيل اجراءات التهويد والمصادرة التي نفذتها في اعقاب حرب ١٩٤٨ ، وكذلك الاستيطان وقمع المقاومة المدنية . واخيراً قامت باجراءات اقتصادية واجتماعية وثقافية ضد المواطنين العرب هذا فضلاً عن ضم القدس العربية الى القدس اليهودية وجعلها مدينة واحدة ، واتخاذها عاصمة موحدة لاسرائيل في ٢٧ يونيو ١٩٦٧ م . ورفضت اسرائيل جميع قرارات الأمم المتحدة التي أدانت وشجبت أعمال العدو الخاصة بالممارسات الاسرائيلية التي تمس حقوق الانسان وتغيير وضع مدينة القدس ، والاعتراف لشعب فلسطين بحق تقرير المصير .

وهذه النتائج وتوتر الوضع كانا سبباً من أسباب قيام حرب ١٩٧٣ م .

حرب ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ / عام ١٩٧٣ م ونتائجها :

خرج العرب من حرب يونيو ١٩٦٧ م مثخني الجراح ، فقد أيقظت النكسة الاليمة الوجدان العربي وهزته ، ونبهت الشعور العربي الى الخطر الذي بات يتهدد كل العرب . وانعكس ذلك على التحرك العربي الذي أخذ اتجاهات عملية لازالة آثار النكسة ودعم مواقع الصمود ، والاعتماد على الاصالة الذاتية للأمة العربية ، وتمت ترجمة ذلك في اجتماعات القمة العربية المتتالية التي اتاحت الاعداد للجولة التالية (حرب عام ١٩٧٣ م) .

ومن ناحية اخرى كشف شكل العدوان وطريقته وهدفه امام العالم المزاعم الصهيونية والامبريالية التي كانت تستجدي العطف الدولي وتحصل على دعمه ، مما أكسب العرب عطفاً دولياً ساعدهم فيما بعد على عزل اسرائيل عالمياً .

وعلاوة على ذلك ، دفعت مرارة النكسة الشعوب والحكومات العربية ، وقواتها المسلحة للعمل الدؤوب من اجل اعادة بناء القدرة القتالية والاستعداد للثأر . وأظهر عدوان حزيران (يونيو) عجز الادارة العسكرية الاسرائيلية عن اخضاع العرب ، فعلى الرغم من حجم الانتصار العسكري الكبير ، زاد التصلب العربي في مقاومة التحدي المفروض ، وخرج العرب من هذه الحرب وهم أكثر تصميماً على متابعتها (قرارات مؤتمر القمة في الخرطوم وغيرها) وحرب الاستنزاف على جبهة السويس . وبذلك لم تتمكن اسرائيل من حمل العرب على الاعتراف بها والاقرار بوجودها ، وكانت هذه النتائج للحرب السابقة هي التي أدت الى حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ ، السادس من اكتوبر ١٩٧٣ م .

وفي مواجهة هذا الوضع العسكري السياسي تأكد للحكومات العربية ، أن القوة هي الوسيلة الوحيدة لاسترداد الحق المغتصب . وبدأت سوريا ومصر تستعدان للمعركة في مختلف المجالات والتقت ارادتهما على تحرير الاراضي المحتلة والاسهام في توفير الظروف والعوامل لنيل الشعب الفلسطيني حقوقه الوطنية التي جسدتها المقاومة الفلسطينية على ساحة النضال المسلح . ووقعت الدولتان مصر وسوريا اتفاقية عسكرية في يوم ١٩٧٠/١١/٢٦ م حددتا فيهما أهداف الصراع القادم وطرق قيادته واجهزته التنفيذية . وكانت هذه الاتفاقية الأساس الذي بنيت عليه الخطة الاستراتيجية العسكرية والسياسية لحرب عام ١٩٧٣ م .

وهذه الخطة الاستراتيجية اخذت في حسابها حدود الصراع المسلح وقيوده في الظرف الراهن ، فهو صراع يدور

في وضع عالمي بالغ التعقيد وقائم على أساس التوازن النووي والقدرة المتبادلة على الردع الاستراتيجي ، وكان جوهر الخطة الاستراتيجية السورية المصرية المشتركة هو الانتقال من مرحلة الدفاع الاستراتيجي الى مرحلة الهجوم الاستراتيجي .

وقد حققت القيادة المصرية السورية الاتحادية بعض العناصر والعوامل التي تشكل ركائز للخطة الاستراتيجية الشاملة ولعل من ابرز هذه الركائز :

١ ـ الاستفادة من دروس حرب ١٩٦٧ م ونتائجها .

٢ ـ بناء القوة الذاتية الاقتصادية العسكرية ، وتنظيم الجبهات الداخلية تنظيماً يسند جبهات العمليات الحربية .

٣ ـ توفير القيادة القادرة على تحمل مسؤولية اتخاذ القرار الحاسم وقيادة المعركة .

٤ ـ تصفية جو العلاقات العربية من الشوائب لتحقيق وحدة الصف .

٥ ـ تهيئة الجو الدولي لاقناع الرأي العام بأن اسرائيل برفضها المستمر لقرارات الأمم المتحدة قد تدفع بالمنطقة الى حافة الحرب وتعرض السلم والأمن الدوليين للخطر .

٦ ـ عزل اسرائيل في المؤتمرات والمنظمات الدولية بالطرق الدبلوماسية .

٧ ـ التخطيط للمعركة بشكل يحرك العدو من مزايا البدء بالضربة الأولى .

٨ ـ توجيه السياسة الاعلامية لخدمة أهداف الخطة الاستراتيجية .

وقد بنيت الاستراتيجية الاسرائيلية على أساس الاحتفاظ بمكاسب حرب ١٩٦٧ م ، واستمرار حالة اللاسلم واللاحرب ، والاحتفاظ بقوة عسكرية متفوقة دائماً ، وترتيب الاوضاع في الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة تمهيداً لاستيعابها وضمها ، وكذلك الارتباط بقوى دولية كبرى لتأمين مصالحها وحاجاتها ، والعمل على تحطيم الجهاز العربي العسكري واضعاف الطاقات العربية وتهديدها وتفتيتها .

بدأ القتال في حرب ١٩٧٣ م :

وازاء هذه الأوضاع ، كان لا بد من أن يقوم العرب بعمل يبدل الواقع البغيض الذي فرضته اسرائيل . وكان الجو مشحوناً على الجانبين . وفي مايو (أيار) ١٩٧٣ م ، قامت اسرائيل بمناورات عسكرية واسعة المدى ، وكأنها تحذر الدول العربية بأنها تستطيع ان تطالها حيث كانت قواتها . وفي منتصف سبتمبر ١٩٧٣ م ، نشبت معركة جوية بين سوريا واسرائيل ، خسرت فيها الاولى ١٢ طائرة . وتتابعت اعتداءات اسرائيل على الزعفرانة في البحر الأحمر . وكانت هذه هي التي اتخذت الذريعة المباشرة لهجوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ م وذلك بعد ان اوكلت مهمة عبور القناة الى الجيشين الثاني والثالث المصريين .

أطلق على الحرب « حرب رمضان » نسبة الى شهر رمضان المبارك الذي نشبت فيه (١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ) . وقد سماها اليهود حرب يوم الغفران لأنهم كانوا يحتفلون بعيد الغفران . فبعد ظهر يوم السبت العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ الموافق السادس من اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ م ، وفي تمام الساعة الثانية ظهراً ، اجتازت القوات

المصرية قناة السويس في عملية كان التخطيط لها جيداً ، وتدرب الجنود عليها تدريباً حسناً ، ونفذوها بسرعة وجرأة واتقان . وكان ذلك عملاً حربياً ممتازاً .

ودمر المصريون خط الدفاع الاسرائيلي على الضفة الشرقية من القناة ، المعروف بخط بارليف . وكان في امكانهم التقدم في سيناء حتى بلوغ مداخل الممرات في جبال سيناء ، لكنهم بوقفوا وانتشروا على الضفة الشرقية الى الجنوب من مدينة القنطرة .

وفي الساعات الأولى من الحرب استولى الجيش السوري على جبل الشيخ ، وأخذ يتقدم في مرتفعات الجولان حتى بات ـ عند ظهر اليوم الثاني ـ على بعد خمسة أميال من جسر بنات يعقوب وما يلي المرتفعات من أرض فلسطين المحتلة .

وبلغ من حجم المفاجأة في اسرائيل والذعر الذي أحدثته ان أوشك القادة العسكريون فيها على استخدام اسلحتهم الذرية ضد الاهداف العربية الاستراتيجية .

وفي المرحلة الثانية من الحرب ، قامت قيادة اسرائيل الشمالية برد القوات السورية الى خطة الهدنة (١٩٦٧ م) ووقع اثر ذلك قتال دام . وفي اليوم الخامس من القتال ، اخترق الاسرائيليون القطاع الشمالي من الخطوط السورية ، واحتلوا في يومين نتوءاً بارزاً من الاراضي السورية ، قدر بخمسمائة كيلومتر مربع ، ثم توقف تقدم الاسرائيليين بسبب صمود الجبهة السورية ، وظلوا الى نهاية الحرب في مواقعهم هذه يردون الهجمات ولا يتقدمون .

ولم يكد يمضي الاسبوع الأول من القتال حتى كانت الولايات المتحدة قد أقامت جسراً جوياً وآخر بحرياً لنقل السلاح والذخيرة بكميات كبيرة وأنواع متطورة الى اسرائيل ، بحيث بلغت الشحنات اليومية من العتاد والذخائر بين ١٧٠٠ و١٨٠٠ طن .

وفي ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ م ، تجدد القتال على جبهة قناة السويس ، وخاضت القوات المصرية التي بلغت ثماني فرق معارك بالدبابات على طول الجبهة ، ولم تتقدم تقدماً حاسماً بسبب طول خطوطها بحيث تعذر تكثيف الهجوم في نقطة او نقاط معينة .

ثم ان قوة اسرائيلية مصفحة اخترقت ممراً ضيقاً خلال الخطوط المصرية شرقي القناة ، وبلغت الضفة ، ورمت جسراً على الماء استطاعت بواسطته قوة صغيرة من الدبابات الاسرائيلية عبور القناة الى الضفة الغربية ، ترافقها عناصر مشاة محمولة بآلياتها ، وأوقفت بطاريات صواريخ (سام) العاملة في تلك المنطقة ، وأحدث ذلك فجوة في المظلة الصاروخية التي كانت تحمي السماء المصرية فوق القناة .

لم يكترث المصريون لهذه العملية في بادىء الأمر ، وتحركت القوات الاسرائيلية نحو عشرين ميلاً داخل الاراضي المصرية الى الغرب ، ثم شمالاً الى طريق الاسماعيلية القاهرة . واتجهت القوة الرئيسية جنوباً نحو الطريقين الرئيسيين من القاهرة الى مدينة السويس ومدخل القناة ، محاولة بذلك تطويق الجيش المصري الثالث الذي كان قد عهد اليه بالاهتمام بالجزء الجنوبي من القناة ، بينما كان الجيش الثاني هو الذي عبر القناة في الشمال .

وقد اتفقت الدولتان العظميان (الولايات المتحدة وروسيا) بوقف القتال بين العرب واسرائيل ومحاولة الوصول

الى تسوية للنزاع . وقد أصدر مجلس الامن قراراً في ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ م برقم ٣٣٨ يدعو فيه الى وقف اطلاق النار فوراً . وأدت المساعي الدولية الى اتفاقية فك الارتباط بين القوات المصرية والاسرائيلية في يناير ١٩٧٤ م وانسحبت القوات الاسرائيلية من الجيب الذي احتلته في الضفة الغربية من قناة السويس . وبقيت القوات المصرية في الضفة الشرقية . وأصبح بعد ذلك تنظيف القناة ممكناً . وقد تم تنظيفها فعلاً وأعيد فتحها للملاحة الدولية في ٥ يونيو ١٩٧٥ م ، وذلك بعد مضي ثمانية أعوام على اغلاقها منذ حرب يونيو ١٩٦٧ م .

ووضعت اتفاقية فك ارتباط بين القوات السورية والقوات الاسرائيلية في مايو ١٩٧٤ م . وانسحبت القوات الاسرائيلية من النتوء الذي احتلته في الطور الثاني من القتال وكذلك انسحبت من مدينة القنيطرة التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ م ، بعد ان دمرتها تدميراً شاملاً . وبقيت على التلال المحيطة بالقنيطرة وعلى سفح جبل الشيخ وفي أراضي الجولان المحتلة منذ عام ١٩٦٧ م . اما قمة جبل الشيخ ، فقد رابطت فيها قوات الطوارىء الدولية .

ويبدو ان حدود الحرب ورقعتها كانت ضيقة ، فلم يشن العرب حرباً شاملة على اسرائيل ، وحضروا مطالبهم بتحرير الاراضي المحتلة بعد ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ م . ويظهر ان الرئيس السادات كان قد اتخذ قراراً قبل بدء العمليات الحربية بأن لا تتقدم القوات المصرية ، بعد عبور قناة السويس ، أكثر من عشرين كيلومتراً الى الشرق من القناة وذلك لاعتبارات عسكرية وسياسية . فلم يكن القصد أن يسترجع سيناء كلها حرباً ، وانما كان القصد ان يضطر الدول الكبرى الى التدخل والقيام بالعمل اللازم لاجلاء اسرائيل عن الاراضي العربية المحتلة ، وذلك بحسب قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . ولم تتناول العمليات الحربية العربية اسرائيل ضمن حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ م ، نظراً الى ضمان كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة سلامة الوجود الاسرائيلي داخل تلك الحدود .

ومما يجدر ذكره ، أن حرب رمضان قد شهدت استخدام سلاح عربي مؤثر . فقد عمدت الدول العربية المنتجة للبترول الى رفع اسعار النفط . وقررت تلك الدول ان تخفض انتاج البترول ما بين ٥ ـ ١٠٪ كل شهر حتى انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ، وايقاف تصدير البترول كلياً الى الولايات المتحدة الامريكية وهولندا . ولعل استعمال سلاح البترول في الوقت الملائم قد غير موازين القوى . فعلى الصعيد العسكري ، لم يكن هناك انتصار حاسم ، ولكن بفضل سلاح البترول تحولت الحرب الى انتصار عربي سياسي واستراتيجي .

نتائج الحرب :

استطاع العرب في حرب رمضان ١٣٩٣ هـ / اكتوبر ١٩٧٣ م أن ينتزعوا زمام المبادرة من أيدي العدو ، وأن ينتقلوا بنجاح من الدفاع الى الهجوم الاستراتيجي ، وأن يباغتوا العالم ويأخذوا العدو على حين غرة ، وأن يحطموا نظرية الأمن الاسرائيلي وغرور العدو وأسطورة تفوقه ، وأن يثبتوا قدرتهم على التضامن والعمل المشترك ووحدة الصف والقوى والطاقات لتحقيق هدف موحد محدد . واذا لم تكن هذه الحرب قد انتهت الى نصر عسكري حاسم لأي من الطرفين ، فإنها استطاعت ان تبلغ هذه النتائج .

وعلاوة على ما تقدم ، فقد مني اليهود بخسارة كبيرة في هذه الحرب بشرية كانت او مادية . واسترد الجندي العربي ثقته بنفسه كمقاتل ، وأثبت العرب انهم قادرون على خوض حرب تكنولوجية وانهم قادرون على استيعاب

السلاح الحديث واستعماله استعمالاً حسناً ، فأثبتت هذه الحرب ان العربي قادر على استعمال السلاح المتقدم اذا صح التدريب والعزم . ومن نتائج الحرب عزلة اسرائيل السياسية بعد ان قطعت دول افريقية عديدة علاقاتها الدبلوماسية معها ، كما ان اوساطاً واسعة في الرأي العام الغربي لم تؤيد اسرائيل في موقفها . وهكذا فإن هذه الحرب قد غيرت موازين القوى في الشرق الاوسط ، وانها قلبت الحسابات وبدلت المواقف وأعادت النظر في المسلمات والافتراضات ـ وبعض من هذا كان في مصلحة العرب .

ـ حرب عام ١٩٧٨ م ضد الفلسطينيين في لبنان :

بلغ التضامن العربي في حرب اكتوبر ١٩٧٣ م ذروته ، فقد شارك عدد من الدول العربية في الحرب الى جانب مصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ثم استخدم سلاح النفط بطريقة ناجعة ولأول مرة في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي . ومن المؤسف أنه بدلاً من ان تشكل هذه الحرب بداية الانتصار العربي على المشروع الصهيوني في فلسطين المحتلة ـ الذي يمثل جزءاً لا يتجزأ من مشروع ايجال ألون ومن المشروعات الإمبرياليّة على المنطقة العربيّة ـ ، وبدلاً من الاستمرار في استنزاف العدو الذي خرج من الحرب يتخبط في أزمات سياسيّة وعسكريّة واقتصاديّة واجتماعيّة حادة ، بدلاً من ذلك كله ، سارت العلاقات العربيّة في اتجاه مختلف أدّى الى التفكك والتمزق والتشرذم ، وأدّى أيضاً الى خروج مصر من ساحة الصراع بتوقيع اتفاق صلح مع اسرائيل . وقد لعبت الولايات المتحدة الأمريكيّة الدور الرئيس في اخراج مصر من التضامن العربي ، وإشعال نار الفتنة في لبنان ، وإغراق الساحة العربيّة بالخلافات والحروب العربية ـ العربية ، وتكريس سياسة التسويات الجزئيّة والثنائيّة .

وكانت المقاومة الفلسطينية قد برزت الى حيز الوجود بعد حرب عام ١٩٦٧ م ، وقد حققت انتصارات كاسحة على العدو الصهيوني وخاصة في معركة الكرامة (مارس ١٩٦٨ م) وما تلاه من هجمات واعتداءات على العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة ، غير ان المؤامرة الدولية على العمل الفدائي المتواجد في الاردن نجحت في اخراج الفدائيين الى لبنان واستقر الوجود الفلسطيني في الجنوب اللبناني بموجب اتفاق القاهرة ١٩٦٩ م .

استطاع الفدائيون الفلسطينيون توحيد صفوفهم مع الحركة الوطنية اللبنانية في الجنوب ، والتحموا معاً في مواجهاتهم للعدو الصهيوني ، وكانوا يقومون بهجمات على شمال فلسطين المحتلة ، مما جعل العدو الصهيوني يقوم باعتداءات اسرائيلية متواصلة على الجنوب اللبناني وعلى المخيمات الفلسطينية خلال عام ١٩٧٤ م وأوائل عام ١٩٧٥ م وانفجر القتال في لبنان في ربيع عام ١٩٧٥ م ـ بعد حادثة اغتيال ٢٦ فلسطينياً في باص ـ بين تحالف القوى الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية من جهة ، وبين الميليشيات اللبنانية اليمينية بقيادة حزبي الكتائب والاحرار من جهة اخرى . واستمرت الحرب في لبنان عنيفة وضارية طوال سنتي ١٩٧٥ م و١٩٧٦ م ، ثم متقطعة حتى الآن . وقد خططت الولايات المتحدة باشعال المنطقة بحروب محلية صغيرة ، واستنزاف طاقات القوى والدول العربية ، والهائها عن متابعة نضالها ضد العدو الصهيوني المشترك وحليفته الولايات المتحدة ، وتقسيم منطقة الشرق الاوسط الى دويلات طائفية ، وترسيخ قدم اسرائيل في المنطقة وهيمنتها عليها ، وبالتالي تمرير تسويات استسلامية كما حدث في اتفاقية كامب ديفيد ، وتشجيع اطراف اخرى على اللحاق بركبها والانضمام الى نهجها . واستهدفت هذه الحرب ـ

بالنسبة الى المقاومة الفلسطينية ـ ضرب المقاومة وانهاء دورها في قيادة كفاح الشعب الفلسطيني وبلورة شخصيته المستقلة . لكن هذه المحاولات بالنسبة لضرب المقاومة ، باءت بالفشل وتمكنت منظمة التحرير الفلسطينية ، بفضل التفاف الجماهير الفلسطينية حولها ، من الصمود لكل المؤامرات واكتساب مزيد من القوة والفعالية السياسية والعسكرية ، خاصة بعد ان اعترف العرب في عام ١٩٧٤ م في مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط بأن المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وبعد ان اعترفت هيئة الامم المتحدة بمنظمة التحرير وبحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وادانة الصهيونية بعد نعتها بالعنصرية .

وعلى الصعيد السياسي ، شهدت المرحلة اللاحقة لحرب ١٩٧٥/١٩٧٦ اعتراف معظم دول العالم بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني وتأكيد حقوق هذا الشعب في وطنه وحقه في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة . وعلى الصعيد العسكري ، شهدت هذه المرحلة تصاعد الكفاح المسلح ضد اسرائيل ، وتزايد العمليات في الوطن المحتل ، وبلغت المواجهة بين الجيش الاسرائيلي وقوات الثورة الفلسطينية ذروتها في مارس ١٩٧٨ م ، عندما اجتاحت قوات اسرائيلية الجنوب اللبناني (عملية الليطاني) ، وخاضت حرباً شرسة بمختلف انواع الأسلحة ضد القوات اللبنانية الفلسطينية المشتركة . وقد صمدت هذه القوات في وجه الغزو الاسرائيلي ، وحولت الصدام الى حرب حقيقية منيت اسرائيل فيها بخسائر فادحة ، وانتهت بانسحاب القوات الاسرائيلية الغازية وحلول قوات الأمم المتحدة في مناطق عازلة . ولم يحل وجود هذه القوات دون استمرار القتال بين الجيش الاسرائيلي ومقاتلي المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية . فقد واصلت اسرائيل سياسة الارض المحروقة ضد الجنوب اللبناني لتفريغه من سكانه تمهيداً للاستيلاء على اراضيه ومياهه وهي التي كانت مدار الاطماع الصهيونية منذ مطلع القرن العشرين . كما واصلت قصف مواقع المقاومة الفلسطينية بالمدفعية والطيران لاستنزافها ، وتحويل اهتمامها عن تصعيد النضال الجماهيري في الارض المحتلة ضد الكيان الصهيوني ، واشاعة التوتر والتأزم في علاقتها بالجماهير اللبنانية والحركة الوطنية . وأصاب القصف الاسرائيلي الاحياء المدنية في مدن صور وصيدا والنبطية وبيروت وعشرات القرى الجنوبية مخلفاً وراءه الموت والدمار والتشرد .

ـ العدوان الاسرائيلي على لبنان ١٩٨٢ م :

أطل عقد الثمانينات والاوضاع العربية تمر في ظروف معقدة وصعبة فالحروب المحلية والنزاعات الاقليمية مستعرة ، والاطماع الاسرائيلية التوسعية لا حد لها ، والتنسيق الاستراتيجي الامريكي ـ الاسرائيلي يسعى لاحكام قبضته . فقد نشبت الحرب بين العراق وايران وأدت الى تعميق الخلاف بين العراق وسوريا من جهة ، وبين سوريا والاردن من جهة اخرى ، الأمر الذي انعكس تماماً على الجبهة الشرقية لاسرائيل فأصابها بالجمود والشلل . أما الجبهة الجنوبية مع مصر ، فقد تم تحييدها بعد معاهدة الصلح مع اسرائيل ، ولم يبق من الجبهات العربية إلا الجبهة الشمالية التي بقيت ساخنة على طول الحدود مع اسرائيل . وكان الاسرائيليون يزدادون تصلباً تجاه الحركة الوطنية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وأخذ مفهوم الأمن القومي الاسرائيلي يتخذ ابعاداً خطرة ويشمل مناطق واسعة تمتد من باكستان شرقاً الى المغرب العربي غرباً ، ومن تركيا شمالاً الى اواسط افريقيا جنوباً ، كما حددها ارييل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي في اواخر عام ١٩٨١ م . وانطلاقاً من هذا المفهوم ، لم تجد حكومة بيغن أي حرج في مواقع الصواريخ السورية ، او في قصف المفاعل النووي العراقي (مايو ١٩٨١) او في قصف المناطق السكانية والمراكز

الفلسطينية في الجنوب اللبناني وبيروت ، واعلان تطبيق الادارة المدنية في المناطق المحتلة عام ١٩٨١ م .

لقد خطط زعماء اسرائيل بالتنسيق مع الولايات المتحدة للقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية ،وتحطيم الحركة الوطنية الفلسطينية ، واتخذوا من اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن في ٣ يونيو ١٩٨٢ م ذريعة لبدء العدوان والاجتياح الاسرائيلي على لبنان ، فقد اجتاحت القوات الاسرائيلية وعددها ما يزيد عن تسع فرق عسكرية مدرعة ، لبنان وتمكنت هذه القوات من الوصول الى العاصمة بيروت بعد عدة أيام ، وجرت معارك بين العدو الصهيوني ورجال المقاومة الفلسطينية ابلى فيها أبطال المقاومة بلاءاً حسناً وكبدوا العدو خسائر فادحة ، وتمكنت اسرائيل بعد معارك عسكرية استمرت ثلاثة شهور ، من اتمام سيطرتها على الجنوب اللبناني واحكام الحصار التام على العاصمة اللبنانية بيروت . وشهدت تلك الفترة معارك عنيفة بين الفلسطينيين والقوات السورية من جهة ، والعدو الصهيوني من جهة اخرى تكبد فيها العدو خسائر جسيمة . ونتيجة لخسارة العدو البشرية ازدادت شراسة القصف البري والبحري والجوي على بيروت الغربية ، ولم تتمكن كثافة النيران وشراسة القتال من احتلال موضع قدم للقوات الفلسطينية . وخلال القتال توسطت بعض الدول العربية والولايات المتحدة لانهاء القتال وخروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان تحقيقاً لرغبة رجال الحركة الوطنية اللبنانية ، فاضطرت منظمة التحرير على الخروج بكامل اسلحتهم على سفن محايدة الى الدول العربية وكان ذلك في ١٩٨٢/٨/١٢ م .

وهكذا فشلت الحرب ولم تحقق اهدافها في القضاء على منظمة التحرير ، وكشفت للعدو الصهيوني انها تواجه لأول مرة عدوها الحقيقي وخصمها التاريخي ـ الشعب الفلسطيني ومقاومته المسلحة . وكان الهدف الحقيقي من العدوان هو تهويد ارض اسرائيل كلها ، وان القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان سيمهد الطريق امام سكان المناطق المحتلة على تطبيق الادارة المدنية والحكم الذاتي . وقد أدت هذه الحرب الى تبعثر القوات الفلسطينية في عدة بلدان عربية ، وتمركز القيادة الفلسطينية في تونس بعيداً عن خطوط المواجهة المباشرة مع العدو . ونتيجة لخروج المقاومة الفلسطينية من بيروت تعرضت المخيمات الفلسطينية للمذابح (صبرا وشاتيلا) ١٩٨٢ م ، وللمجاعة والحصار كما حصل في مخيمات برج البراجنة وغيرها في بيروت عام ١٩٨٧ م .

الفصل الرابع
مذابح اليهود ضد الفلسطينيين
(١٩٤٨ - ١٩٨٢ م)

اجراءات يهودية ضد العرب في فلسطين المحتلة :

منذ قيام دولة الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨ م ، مارست حكومة العدو ضغطاً على السكان العرب الذين بقوا في فلسطين وعددهم ١٥٦ ألف عربي فلسطيني تحت الاحتلال الاسرائيلي . وعملت سلطات العدو على فتح أبواب الهجرة امام اليهود من مختلف انحاء العالم ومنحهم الجنسية الاسرائيلية وذلك بموجب قانون العودة وقانون الجنسية . والهدف من هذين القانونين هو تغليب الطابع اليهودي على فلسطين ومصادرة الهوية الفلسطينية . كما فرضت حكومة العدو على العرب الحصول على الجنسية الاسرائيلية حتى لا يفقدوا حقهم في أملاكهم وحقهم في الحصول على الخدمات المدنية .

وبالرغم من ذلك فإن سلطات العدو قد طبقت عليهم انظمة الطوارىء والحكم العسكري الذي يعيشون في ظل ارهابه المستمر ، وتحرمهم هذه الأنظمة عملياً من معظم الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها اليهود في اسرائيل ، بحيث أصبح العرب هناك وفي أحسن الحالات ، مواطنين من الدرجة الثانية . وتتذرع السلطات الاسرائيلية باستمرار بحجة أمن الدولة من اجل التدخل في مختلف الشؤون الحياتية اليومية للسكان العرب ، من حرية التنقل والعمل والاقامة والسكن ، الى المناهج التعليمية في المدارس العربية وميزانيات البلديات في القرى العربية وحرية التعبير عن الرأي والتنظيم والعمل السياسي ، وذلك في محاولة يائسة وعقيمة لمحو الهوية الفلسطينية والشخصية الفلسطينية .

ونفذت حكومة العدو سياسة المصادرة والتهويد متبعة أساليبها المعروفة وأهمها :

١ - الاستيلاء على أراضي الدولة وممتلكاتها .
٢ - الاستيلاء على أراضي الغائبين وممتلكاتهم أي اراضي اللاجئين الفلسطينيين .
٣ - مصادرة الاراضي واغلاقها تحت ستار أغراض الأمن .
٤ - اجبار المزارعين على تبديل أراضيهم بأراض في اماكن اخرى .
٥ - شراء بعض الاراضي بالتحايل او الاغراء .

٦ - منع العمال العرب من العمل والتمييز بينهم وبين العمال اليهود .
٧ - احتلال الاراضي العربية ومصادرتها بالقوة .
٨ - اقامة المستعمرات على الاراضي العربية المصادرة
٩ - تهجير اليهود الى فلسطين ومحاولات طرد العرب منها .
١٠ - هدم القرى العربية بكاملها وتغيير ملامح فلسطين ، فقد كان بفلسطين ما مجموعه ٨٠٧ قرى ومدن عربية كانت قائمة في فلسطين سنة ١٩٤٥ م بقي منها قائماً سنة ١٩٦٧ م ما مجموعه ٤٣٣ قرية ومدينة (منها ٣٢٨ في الضفة الغربية وقطاع غزة ، و١٠٥ داخل الكيان الصهيوني) ، بحيث ان ما مجموعه ٣٧٤ قرية ومدينة عربية - أي نحو ٤٥٪ من مجموع المدن والقرى العربية بفلسطين - قد اختفى من الوجود بعد اقامة دولة الكيان الصهيوني . وقد تعرضت تلك القرى والمدن للهدم بعد تسليم أراضيها للمستوطنين اليهود لاستغلالها كأراض زراعية سهلية ، او تحويل ما كان منها جبلياً الى احراج غير مثمرة .

ولم تقتصر عمليات الاستيلاء على أراضي اللاجئين الفلسطينيين الذين أصبحوا خارج اسرائيل ، وانما تعدتها لتطبق ايضاً على أرض العرب الذين بقوا فيها . وكانت تتم عمليات الاستيلاء على أراضي هؤلاء عادة بعد احتلال مناطقهم مباشرة ، وبصورة تعسفية عنوة بواسطة الجيش ، وكذلك استولت المستعمرات الاسرائيلية على أراضي القرى العربية المجاورة لها ، وذلك باحاطتها بأسلاك شائكة وضمها الى اراضيها واقامة المستوطنات او استخدامها كأراض زراعية . وقد استغلت اسرائيل قوانين الطوارىء والأحكام العسكرية لتعلن مساحات شاسعة من الاراضي العربية مناطق أمن مغلقة ، وتمنع بالتالي أصحابها من البقاء فيها او العودة اليها تمهيداً لمصادرتها والاستيلاء عليها كما حدث في قرى اقرت وكفر برعم وكفر عنان والرامة والمجدل في مطلع الخمسينات .

كما فرضت حكومة العدو الاحكام العسكرية ومصادرة الاملاك والاراضي واهمال الشؤون المعيشية ، وحددت تنقل المواطنين العرب من منطقة الى اخرى ، وكان الحاكم العسكري الاسرائيلي يستخدم صلاحياته في نفي أي شخص الى أي مكان في اسرائيل ، أو فرض الاقامة الجبرية او الاعتقال الاداري دون ابداء الاسباب . واقيمت المحاكم العسكرية لهذا الغرض . وقد قوبلت صلاحيات الحكم العسكري هذه بمعارضة عنيفة ومتواصلة من جانب السكان العرب في اسرائيل .

وقد واجه الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة ألواناً من الاضطهاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي ، اذ عمدت السلطات الاسرائيلية الى تدمير الصناعات الوطنية الفلسطينية الناشئة وضيقت عليهم سبل العيش واضطر العمال الى العمل في الزراعة من اجل تأمين لقمة العيش في ظروف معيشية قاسية ، كما عمدت السلطات المحتلة الى محاربة البلديات العربية وقطع المخططات عنها ، وتدنت بذلك مستوى الخدمات الاجتماعية والصحية في المناطق العربية وعانى التعليم العربي ، بصورة خاصة ، من هذه السياسة ، وهكذا فإن اسرائيل قد مارست على الأقلية العربية الخاضعة لحكمها أبشع سياسة عنصرية حاقدة عرفها التاريخ الحديث .

- ممارسات اسرائيل العدوانية واعتداءاتها على الاراضي العربية :

نتج عن حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م هجرة حوالى تسعمائة الف فلسطيني عربي الى كل من سوريا ولبنان والاردن والى الضفة الغربية وغزة وقليل منهم هاجر الى العراق ومصر . وعاش الشعب الفلسطيني مرارة اللجوء

وبؤس العيش في المخيمات ، بعد ان فقد الكيان والهوية والارض والوطن ، وباتت فلسطين هاجساً يومياً مستمراً وأملاً بالعودة يوما ما . وعندما شعر الشعب العربي الفلسطيني بأن قضية فلسطين في الامم المتحدة تحولت الى قضية لاجئين المطلوب اغاثتهم او تعويضهم بدلاً من قضية شعب اغتصب وطنه وله حقوقه . وحاولت الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية نزع الصبغة السياسية عن القضية الفلسطينية ، ومحو الهوية السياسية للشعب الفلسطيني مستترة وراء عدد من المشاريع المشبوهة كمشروعات التوطين . ورفض الفلسطينيون كل هذه المشروعات المختلفة ، وتوجهوا نحو النشاط المسلح تعبيراً عن رفضهم الأمر الواقع والسياسة الاستسلامية وتأكيداً لحقهم في العودة الى أراضيهم ، خصوصاً وأن الدول العربية ، حرصاً منها على عدم انتهاك اتفاقيات الهدنة ، لم تقم بأي عمل حربي ضد اسرائيل ، واكتفت بعدم الاعتراف والمقاطعة الاقتصادية .

وارتكب اليهود في شهر ابريل ١٩٤٨ م مجزرة دير ياسين وقتلوا الابرياء من السكان من أهل القرية من النساء والاطفال وبلغ عددهم ٢٥٠ وألقوا بهم في الآبار المهجورة كما بقروا بطون الحبالى ومثلوا بالجثث ، وطافوا بالنساء في سيارات مكشوفة في شوارع القدس وشهروا بهن . وكان لهذه المجزرة اثر سيء في نفوس الفلسطينيين العرب ، لكن القوات الفلسطينية انتقمت لمجزرة دير ياسين من قافلة يهودية وقتلت من افرادها ٧٧ شخصاً وذلك بعد مجزرة دير ياسين بيوم . وبعد قيام دولة الكيان الصهيوني ارتكب اليهود **مذبحة الدوايمة** يوم ٢٨/١٠/١٩٤٨ م . فقتلت جميع المصلين في مسجد القرية كما قتلوا من اختبأ من الأهالي في مغارة كبيرة قريبة من القرية .

وقامت دولة العدو بانتهاك اتفاقيات الهدنة منذ عام ١٩٤٨ م وحتى عام ١٩٦٧ م وشنت هجمات عسكرية عبر خطوط الهدنة وبغزو أراضي الدول العربية المجاورة وبصورة متكررة وربما يومية . وقد بلغ عدد الاعتداءات التي قامت بها اسرائيل على الدول العربية المجاورة أكثر من ٦٣ ألف اعتداء . وقد قامت اسرائيل باعتداءاتها هذه ضاربة عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة نتيجة اعتمادها على البيان الثلاثي الصادر عن الدول الغربية الكبرى وهي الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا ، عام ١٩٥٠ م والذي يقضي بضمان حدود اسرائيل وكيانها ، والابقاء على الوضع الراهن بين الدول العربية وبينها .

وبدأت سلسلة من حوادث الحدود التي كانت في جوهرها محاولات فردية من جانب عدد من المزارعين الفلسطينيين للعودة الى أراضيهم المحتلة ، معرضين انفسهم بذلك لنيران الجيش الاسرائيلي من جهة ، والاعتقال من جانب السلطات العربية (في الضفة والقطاع) من جهة وذلك لعبورهم خطوط الهدنة .

وأخذت منذ سنة ١٩٥٠ م مجموعات فلسطينية صغيرة في الانطلاق من قطاع غزة وسوريا والضفة الغربية للقيام بهجمات خاطفة ضد أهداف اسرائيلية داخل الارض المحتلة . وأخذت هذه العمليات شكل حرب عصابات صغيرة ، تقوم مجموعاتها بزرع الالغام ونصب الكمائن . ونتيجة لهذه الأعمال قامت العصابات الصهيونية بغارات وحشية عنيفة ضد القرى العربية المجاورة .

وفي عام ١٩٥١ م هاجمت دولة الكيان الصهيوني مثلث العوجا المنزوع السلاح بموجب اتفاقية الهدنة مع مصر ، وطردت العديد من السكان العرب من بدو النقب ، ثم احتلت المثلث نهائياً سنة ١٩٥٥ م خرقاً للهدنة ، هذا بالاضافة الى الاعتداءات المتكررة على القرى الحدودية العربية ، كما حاولت اسرائيل تجفيف بحيرة الحولة في عامي ١٩٥١ م و١٩٥٣ م ولكنها اوقفت عملياتها بسبب ضغط الولايات المتحدة الا انها في عام ١٩٥٦ م نجحت في تجفيف

بحيرة الحولة واحتلت اسرائيل المنطقة المجردة من السلاح .

وفي عام ١٩٥٣ م قامت اسرائيل بمذبحة **قبية ونحالين** حيث فاجأ جنود العدو قرية قبية واهلها نائمون وقتلوا منهم ٦٦ فرداً واصيب ٧٥ بجروح ودمروا المساكن والمدارس والمساجد والكنائس .

وفي عام ١٩٥٤ م ، بدأت الحكومة المصرية بتقديم المساعدات والدعم الى المجموعات الفدائية العاملة في قواعد لها في قطاع غزة وشمال شرق سيناء ، ولم تتبع هذه المجموعات الفدائية أي تنظيم سياسي ، بل كان يشرف على تدريبها ضباط في الجيش المصري . فقامت اسرائيل بعدوان على معسكر البريج في قطاع غزة وقتلت عدداً من الأهالي وهم نائمون . كما قامت دولة اسرائيل بعدوان آخر على قطاع غزة في فبراير ١٩٥٥ م ذهب ضحيته ما يزيد على خمسين قتيلاً وعدد كبير من الجرحى ، ونتيجة لهذا العدوان ، ازداد عدد الهجمات الفدائية ضد أهداف داخل اسرائيل ، واستقطب العمل الفدائي الجماهير في غزة والضفة الغربية بقيادة الصاغ (الرائد) مصطفى حافظ . وعاشت اسرائيل حالة رعب حقيقي حتى وجدت الفرصة سانحة في العدوان الثلاثي ١٩٥٦ م لضرب الحركة الفدائية .

وفي عام ١٩٥٦ م وقبيل العدوان الثلاثي هاجمت اسرائيل مدينة غزة وقذفتها بالمدفعية فقتلت ما يزيد عن مئة وجرحت مثل هذا العدد او اكثر . كما قامت بمهاجمة خانيونس في شهر سبتمبر ١٩٥٦ م وقتلت عشرات وجرحت آخرين . كما قامت دولة الصهاينة بقتل ٢٧٥ شخصاً من المدنيين في مدينة خانيونس اثناء احتلالهم لقطاع غزة .

وفي نفس العام ١٩٥٦ م ، وفي ١٩٥٦/١٠/٢٩ م عشية العدوان الثلاثي على مصر ، قامت اسرائيل بارتكاب مذبحة ذهب ضحيتها ٥١ عربياً من قرية كفر قاسم وجرح ٣١ ، وتهدف هذه المجزرة الى تفريغ الارض المحتلة من العرب وحملهم على الهجرة منها الى الدول العربية المجاورة . ولكن الحظ لم يحالف السلطات الاسرائيلية هذه المرة ، ولم تحقق غايتها على الرغم من بشاعة المجزرة ووحشيتها ، وعلى الرغم من حرص السلطات الاسرائيلية على تسريب اخبارها الى اوساط السكان العرب لـ « تشجيعهم » على الرحيل . إلا ان هذه السلطات لم تعجز عن اللجوء الى اساليب اخرى لارهابهم وحملهم على مغادرة البلد ، كزرع المتفجرات في الاحياء السكنية والمنشآت العامة واجراء المناورات العسكرية قرب القرى لالحاق الأذى بسكانها ، وفرض منع التجول على قرى ومناطق بأكملها لفترات تطول او تقصر حسب مقتضيات الأمن وغيرها من أساليب القمع الرئيسية . ولكن مهما حاول العدو في اجبار الشعب الفلسطيني على ترك وطنه فإنه لم يفلح ابداً ، وارتبط الناس بالأرض وأدركوا خطأهم في الهجرة عام ١٩٤٨ م وظلوا صامدين .

وفي عام ١٩٥٨ م جرت انتفاضة شعبية في الناصرة وام الفحم احتجاجاً على الاجراءات الاسرائيلية التعسفية ضد المواطنين العرب ، إلا انها قوبلت بعنف من قبل السلطات الاسرائيلية أدت الى قتل وجرح العشرات من المواطنين العرب ونفي البعض الآخر ، وسجن واعتقال آخرون .

وفي مطلع عام ١٩٦٥ م انطلقت الثورة الفلسطينية بزعامة حركة فتح وجناحها العسكري العاصفة ونتيجة لنشاط الاعمال الفدائية في الارض المحتلة ، قامت اسرائيل بعدوان وحشي على قرية السموع العربية قرب الخليل في ١٣ نوفمبر ١٩٦٦ م بحجة مساعدة أهلها للفدائيين الفلسطينيين . وجرت مظاهرات عمت مدن الضفة طالبت

بتسليح أهالي القرى الحدودية وتدريبهم . واعتدت قبل ذلك في عام ١٩٦٥ على جنين وقلقيلية في غارة همجية وحشية .

وبعد عام ١٩٦٧ م واحتلال اسرائيل للجزء الباقي من فلسطين واجزاء أخرى من الوطن العربي ، بدأت اسرائيل توجه نشاطها الى الوجود الفلسطيني في الاردن ولبنان الذي استقر الوجود الفلسطيني فيه بموجب اتفاق القاهرة ١٩٦٩ م .

حريق المسجد الأقصى

مهدت اسرائيل لعملية حريق المسجد الأقصى ، مسرى الرسول الكريم ﷺ ، وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين بهدف القضاء على هذا المكان الاسلامي المقدس ، والقضاء أيضاً على مسجد الصخرة المشرفة المجاور للمسجد الأقصى بغية تشييد الهيكل اليهودي على تلك البقعة الإسلامية المقدسة ، متحدين بذلك مشاعر المسلمين قاطبة والرأي العام العالمي ، ضاربين عرض الحائط بكل القيم الدينية والمبادىء الإنسانية .

وصدرت عدة تصريحات من الزعماء الدينيين اليهود تحض اليهود على ضرورة الاستيلاء على أرض الحرم القدسيّ الشريف لإقامة الهيكل اليهودي عليها . وقامت السلطات الاسرائيلية بهدم العقارات العربية الملاصقة للحرم الشريف ، ثم قامت أيضاً بنسف جميع المباني العربية المجاورة له . واحتلت بالقوة باب المغاربة أحد أبواب الحرم الشريف . وسمحت لليهود المتعصبين لإقامة صلاتهم داخل ساحة الحرم الشريف ، وفتحت أبواب المسجد الاقصى أمام الزوار اليهود دون أخذ موافقة المسؤولين عن الأوقاف الاسلامية ، أو الإكتراث باحتجاجاتهم ومعارضتهم .

ومما لا شك فيه أن حريق المسجد الاقصى في ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٩ م كان حريقاً متعمداً ومقصوداً ومدبراً من قبل السلطات الاسرائيلية والعناصر الصهيونية والهيئات الاسرائيلية الدينية ، وهو أمر ليس بغريب على الصهاينة وجرائمهم التي لا تنقطع ضد الفلسطينيين والعرب والمسلمين .

وقد تباطأت السلطات الاسرائيلية في عملية اطفاء الحريق المتعمد كي تتوصل الى اهدافها المعادية للإسلام والمسلمين . وهب الفلسطينيون من سكان القدس وضواحيها لاطفاء الحريق بكل ما يملكون من وسائل وجهد . وهرعت سيارات الاطفاء التابعة لبلدتي رام الله والخليل لإطفاء الحريق . وقطعت شركة كهرباء القدس التيار الكهربائي بسرعة كي لا تتفاقم الاضرار . وتمكن الأهالي من اطفاء الحريق .

وعقد سماحة الشيخ حلمي المحتسب رئيس الهيئة الاسلامية بالقدس مؤتمراً صحفياً أعلن فيه عن اعتداء السلطات الاسرائيلية على الحرم القدسي الشريف بقيامها متعمدة بإضرام حريق فيه . ونشرت اللجنة الفنيّة التي انتدبتها الهيئة الاسلامية في القدس تقريراً مفصلاً عن الحريق بينت فيه ان الحريق مفتعل ومتعمد لأن الحريق لم يكن في موضع واحد .

وقد هزت تلك الفعلة الشنيعة النكراء العالم الاسلامي والضمير العالمي لأن القدس الشريف وحرم المسلمين الثالث يتبوآن المقام الرفيع من اهتمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . وكانت جريمة إحراق المسجد الاقصى ، وانتهاك حرمته خطراً جديداً على العالم الاسلامي برمته . فبادر الملك الحسن الثاني الى الدعوة لعقد أول مؤتمر قمة إسلامي في مدينة الرباط لدراسة الوضع القائم على اثر حريق المسجد الأقصى .

لجنة القدس

أقدمت اسرائيل عن طريق عناصر صهيونية منظّمة على إضرام حريق في المسجد الاقصى ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين في ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٩ م . وقد هزت تلك الجريمة النكراء مشاعر المسلمين ووجدانهم في كل اصقاع العالم الاسلامي ، لأنها جريمة اعتداء على حرمة الأديان السماوية ، وجريمة لا تقيم وزناً للحضارة ، ولا احتراماً للشعوب ومقدساتهم ومشاعرهم الدينية .

وقد أوجب هذا الفعل الشنيع على العالم الاسلامي ضرورة بلورة فكرة إنشاء منظّمة المؤتمر الاسلامي ، وإخراجها الى حيز الوجود لخدمة مصالح الأمة الاسلامية وتطلعاتها . فبادر الملك الحسن الثاني ، عاهل المغرب بتوجيه دعوة الى ملوك ورؤساء العالم الاسلامي للاجتماع في مدينة الرباط ، عاصمة المملكة المغربية للاتفاق على خطة عمل إسلاميّة موحدة تهدف الى الدفاع عن القدس الشريف وحماية بقاعه المقدسة ، ومعالمه الحضاريّة . فعقد أول مؤتمر قمة إسلاميّ في الرباط في الفترة بين ٩ ـ ١٢/٧/١٣٨٩ هـ / الموافق ٢٢ ـ ٢٥/٩/١٩٦٩ م . وقد شاركت فيه خمس وعشرون دولة إسلامية ، وحضرته منظّمة التحرير الفلسطينية بصفة مراقب . وأعلن المؤتمر في ختام اعماله : إدانة الحادث الإجرامي المعادي لمشاعر المسلمين وللإسلام . والمطالبة بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية التي احتلت في عام ١٩٦٧ م . وتأكيد عودة مدينة القدس الى وضعها السابق قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ م . وتأكيد تضامن الدول الاسلامية مع الدول العربية في صراعها مع العدو الاسرائيلي . ومساندة المؤتمر وتأييده الكامل للشعب الفلسطيني من اجل استعادة حقوقه المغتصبة ، وتحرير أرضه من براثن الصهيونية .

وقد أنشأ ملوك ورؤساء الدول الاسلامية في هذا المؤتمر منظّمة المؤتمر الاسلامي بموجب قرار صدر عن المؤتمر . وصدر ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي عن مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي الثالث الذي عقد بمدينة جدّة عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٧٢ م . ومنذ انشاء منظمة المؤتمر الاسلامي حظيت قضية فلسطين بمقام الصدارة من الاهتمام .

وقد تأسست لجنة القدس بتوصية من المؤتمر السادس لوزراء خارجية البلدان الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي المنعقد في جدة عام ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م . وقرر مؤتمر القمة الإسلامي العاشر المنعقد بمدينة فاس بالمغرب إسناد رئاستها الى جلالة الملك الحسن الثاني ، عاهل المغرب ، وتخويله كافة الصلاحيات لإتخاذ ما تراه اللجنة من اجراءات لتنفيذ البرنامج الذي تقره لتحقيق هدفها المتمثل في المحافظة على عروبة المدينة المقدسة ومعالمها الاسلامية والحضارية . وعقدت اللجنة أول اجتماع لها في يوليو ١٩٧٩ م بمدينة فاس تحت رئاسة الملك الحسن الثاني ، من اجل التخطيط للعمل السياسي والدبلوماسي من اجل وضع قضية القدس في إطارها العالمي كمدينة إسلاميّة مقدسة . وتلاحقت اجتماعات تلك اللجنة فيما بعد .

أهداف اللجنة

١ ـ دراسة الوضع في مدينة بيت المقدس .
٢ ـ متابعة تنفيذ القرارات المصادق عليها من قبل وزراء الخارجية للبلاد الإسلاميّة .
٣ ـ متابعة القرارات المصادق عليها حول مدينة القدس من مختلف الهيئات والمحافل الدولية .
٤ ـ الاتصال بالمنظمات الدوليّة التي قد تساعد على حماية القدس .

٥ ـ تقديم مقترحات للبلاد الأعضاء ولكل المنظمات المعنية بالأمر تتعلق بالخطوات المناسبة التي يجب اتخاذها لضمان تنفيذ القرارات لمجابهة التطورات الجديدة .

٦ ـ إعداد تقرير سنوي عن أعمالها يقدم الى مؤتمر وزراء الخارجية .

تشكيل اللجنة واجتماعاتها :

تشكل اللجنة من ممثلين عن خمسة عشر بلداً من بين الدول الاسلامية الأعضاء ينتخبون لمدة ثلاث سنوات من قبل مؤتمر وزراء الخارجية . وتجتمع اللجنة بدعوة من رئيسها ومن الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي .

هذا وهناك عدد من اللجان الأخرى التي انبثقت عن منظمة المؤتمر الاسلامي خاصة بالقضية الفلسطينية ، القضية المركزية للعالم الاسلامي ، ومن تلك اللجان :

١ ـ لجنة الخبراء الإسلامية لمواجهة خطر الاستعمار والاستيطان الصهيوني في فلسطين والاراضي العربية .

٢ ـ اللجنة الإسلاميّة لمراقبة تحركات العدو الصهيوني .

٣ ـ اللجنة الإسلامية السداسية حول فلسطين .

تدمير المؤسسات التعليمية :

لجأ العدو الصهيوني الى طرق وأساليب عدة في محاولة تجهيل الشعب الفلسطيني وإغلاق المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية ، هذا فضلاً عن منع المساعدات المالية للوصول الى المؤسسات التعليمية وكذلك التدخل في وضع المناهج وطرد الأساتذة وإبعادهم من اجل وضع العراقيل أمام المؤسسات التعليمية حتى تضطر إلى اغلاق ابوابها .

ومنذ قيام الانتفاضة والعدو يحاول جاهداً سد جميع ابواب التعليم أمام الشعب الفلسطيني حتى يحول بينه وبين اثبات ذاته والمحافظة على كيانه وعلى وجوده من خلال تعليمه . فأغلق العدو المدارس والجامعات وزج بالطلاب في المعتقلات والسجون وأبعد الاساتذة خارج البلاد ليعوق مسيرة التعليم الجامعي . ولكن الشعب الفلسطيني تصدى لجميع محاولات العدو وبدأ بمسيرة التعليم الشعبي في الأماكن العامة والمساجد بدلاً من اماكن الدراسة .

ولا بد هنا من الاشارة الى ما قامت به اسرائيل من تهديم للمؤسسات التعليمية العربية في مدينة القدس ، قلب فلسطين ، ومهبط الرسالات السماوية وملتقى الأديان ، بعد احتلالها كل المدينة المقدسة وجميع الأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧ م ، وبعد إعلان اسرائيل ضم مدينة القدس العربية . وضعت اسرائيل يدها على جميع المدارس العربية في القدس بعد إعلان ضم المدينة . وألغت برامج التعليم العربي وخططه ومناهجه وكتبه . وألغت مكتب التفتيش العربي ، وأعلنت لكل المعلمين العرب في القدس ولكل موظفي الجهاز التعليمي العربي في المدينة الالتحاق فوراً بالجهاز التعليمي الاسرائيلي . واستبدلت مناهج التعليم وخططه وكتبه ببرنامج التعليم المطبق على المدارس العربية في الارض امفلسطينية التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٤٨ م ، وهو البرنامج التعليمي الذي تشرف عليه اسرائيل وتوجهه طبقاً لأهدافها ومصالحها . ولما رفض المعلمون العرب وموظف الجهاز التعليمي العربي في القدس ذلك ، قامت اسرائيل وفتحت المدارس بالقوة ، ومدت اسرائيل يدها على جميع المؤسسات التعليمية العربية الأهلية في المدينة

وعمدت الى منع الطلاب العرب في القدس من الالتحاق بمدارس الضفة الغربية التي تطبق فيها برامج التعليم العربي الأردني المعدل والذي تدخلت فيه اسرائيل لأنها تحتل تلك المنطقة وتحاول فرض قوانينها وأنظمتها عليها .

وأخذت اسرائيل تفرض أسلوبها التعليمي بالقوة ، ومع هذا كله فإن أهالي القدس العرب رفضوا الواقع الاسرائيلي ، وازداد عدد المؤسسات التعليمية الأهلية التي ظلت لا تلتزم بتطبيق المناهج الاسرائيلية اليت تركز على دور اليهود في صنع الحضارة على مر حقب التاريخ ، وتمرك على اظهار الانجازات التي قامت بها اسرائيل في فلسطين وبشكل كبير من المبالغة والبعد عن الواقع والحقيقة ـ وتركز على تشويه صورة الحضارة العربية والإسلامية والتاريخ العربي والإسلامي ، وتشدد تلك المناهج على الحط من شأن العرب والمسلمين . وأصبح التعليم بالنسبة للعرب الفلسطينيين من أهالي مدينة القدس مشكلة معقدة ، وأصبحت تلك المشكلة تشغل بال كل العرب والمسلمين . وظلت الأسرة العربية في القدس تحافظ على كيانها وهويتها العربية رغم صعوبة الأمر وقساوة الظروف .

وأصبحت مشكلة التعليم بالنسبة لعرب مدينة القدس أكثر تعقيداً في مرحلة الدراسات الجامعيّة . فمنعت اسرائيل الطلاب العرب من الالتحاق بالكليات والمعاهد العربية في الضفة الغربية لاستكمال دراستهم الجامعية . وقامت باجراءات تعسفيَّة ضد الكليات الجامعية العربية الموجودة في القدس ، وكان من بينها إغلاق كلية أبو دبس عام ١٩٨١ م ، تلك الكلية التي هي نواة لجامعة القدس . وظلت اسرائيل تحرم الشباب العربي من التعليم الجامعي عن طريق فرض قوانين وأنظمة جائرة هادفة من وراء ذلك هجرة الشباب العربي الى خارج فلسطين ، أوقبولهم العمل في المؤسسات الاقتصادية الاسرائيلية .

الا ان المؤامرة الدولية والصهيونية على الوجود الفلسطيني في لبنان ادى الى قيام مذبحة تل الزعتر بين الفدائيين الفلسطينيين من جهة ، والكتائب واليهود من جهة اخرى وأدت هذه المجزرة الى قتل أعداد كبيرة من الفلسطينيين عام ١٩٧٦ م .

وكانت خيوط المؤامرة الدولية حول لبنان لتحويله الى دول طائفية ، تلتف حول الوجود الفلسطيني لاشراكهم حتى يتم القضاء عليهم ، فقامت اسرائيل بعدوان وحشي على جنوب لبنان في عام ١٩٧٨ م وانتهى بالفشل الذريع كما قامت اسرائيل بعدوان آخر على لبنان في عام ١٩٨٢ م وأبلى الفدائيون الفلسطينيون بلاءاً حسناً واحرزوا انتصارات كاسحة رغم كثافة الأسلحة التي قصفت مراكزهم ، إلا ان الله نصرهم وأيدهم فلم يتمكن الجيش الاسرائيلي من القضاء عليهم ، وخرجوا رافعي الهامات بكامل اسلحتهم من لبنان لقاء تعهدات دولية بعدم المساس بحقوق الفلسطينيين في المخيمات في لبنان .

ولكن هذه التعهدات ذهبت ادراج الرياح عندما قام الجيش الاسرائيلي في مخيمي صبرا وشاتيلا بمجزرة وحشية رهيبة ذهب ضحيتها حوالى سبعة آلاف شهيد ، وكان ذلك في ١٦ ـ ١٨ سبتمبر ١٩٨٢ م . وتسببت هذه المجازر بسقوط الآلاف من القتلى بعد اجتياح الجيش الاسرائيلي هذين المخيمين ومعه مليشيات الكتائب التي توفرت لها الحماية والتغطية الكافية لهذه العملية الرهيبة . وقد أثارت هذه الانباء المروعة موجات عارمة من السخط والتنديد العالمين بما فيها الكيان الاسرائيلي نفسه وتدل هذه المجزرة على حقد الصهاينة ضد الفلسطينيين .

كما قامت اسرائيل بهدم البيوت والمساجد والاستيلاء على الاراضي واقامة المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وسيناء وكذلك قامت بحرق المسجد الاقصى في عام ١٩٦٩ م ، وعقدت الدول

الاسلامية مؤتمر قمة لبحث الموضوع وتمخض عن تشكيل لجنة لتحرير القدس ، ولا زالت هذه الاجراءات الارهابية تمارس من قبل دولة العدو الصهيوني منذ احتلالها للاراضي العربية في عام ١٩٦٧ م وحتى يومنا هذا . وسنلقي الضوء في الفصل القادم على مراحل التوسع الصهيوني منذ عام ١٩٤٨ م وحتى يومنا هذا .

ولم تتوقف اسرائيل منذ قيامها عن ممارسة الارهاب وتقتيل الابرياء من الأهالي العرب والمسلمين ، فقد ضربوا مدرسة في بحر البقر في مصر ، وضربوا المفاعل الذري في العراق .

غارة على الفلسطينيين في تونس

وعلى اثر الخسائر الفادحة التي لحقت بالاسرائيليين في غزو لبنان عام ١٩٨٢ ، ونتيجة لصمود المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين لمدة ٨٨ يوماً أمام القوات الاسرائيلية ، قامت الطائرات الاسرائيلية في ١ تشرين الأول / اكتوبر ١٩٨٥ م بعدوان على مقر القيادة الفلسطينية في منطقة (حمام الشط) في تونس حيث مقر القيادة الفلسطينية .

وقد استخدمت الطائرات أحدث وأضخم أنواع القذائف والصواريخ مما تسبب في استشهاد وجرح عشرات من الفلسطينيين والتونسيين من الكوادر والنساء والأطفال ، كما القت الطائرات عدداً من الألغام في الطرق والمزارع حول المقر مضادة للأفراد اصابت عدداً من الأطفال والنساء .

وقد قطعت الطائرات من فلسطين المحتلة الى تونس مسافة ٢٤٠٠ كلم وهذا يستوجب مساعدة اثناء الطريق لا تتوفر لدى العدو الاسرائيلي مما يؤكد تواطؤ اميركا في هذه العملية ، وتقديمها مساعدة مباشرة من اساطيلها الضخمة الموجودة في البحر الابيض المتوسط التي زودت الطائرات الاسرائيلية بالوقود .

وقد قوبلت هذه الغارة الوحشية باستياء وشجب وادانة من الشعب التونسي الذي التف حول الشعب الفلسطيني وودع شهداءه في احتفال جماهيري ورسمي كبير .

كما لاقت هذه الغارة استنكار كافة الدول العربية والاسلامية التي أعربت عن إستيائها وإدانتها لهذا العمل الوحشي . وامتد السخط الى الرأي العام العالمي الذي تمثل في استنكار الدول الاوروبية لهذه العملية العدوانية على أرض دولة عربية مستقلة واستدعت كثير من تلك الدول سفراء دولة العدو الاسرائيلي وسلمتهم احتجاجاً رسمياً على تلك الغارة .

وقد قدم العدو الاسرائيلي للعالم دليلاً جديداً على وحشيته وممارسته كافة اشكال العدوان ضد العرب والمسلمين وانه عدو وحشي ذو طبيعة عدوانية ، لا تتوانى عن ممارسة العدوان ضد الشعب الفلسطيني داخل فلسطين وحولها وخارجها حتى ولو على بعد ٢٤٠٠ كلم من الارض الفلسطينية .

وتضاف هذه العملية العدوانية الى عمليات اسرائيل العدوانية على الدول العربية المحيطة بفلسطين وعملياتها ضد المفاعل الذري العراقي ، ولن تتوانى في المستقبل عن الاستمرار في عدوانها مما يستوجب يقظة المسلمين واعداد ما يستطيعون من قوة لدفع العدوان المستمر .

الباب الثالث

جهاد شعب فلسطين ١٨٨٠ - ١٩٨٢ م

الفصل الأول

جهاد شعب فلسطين ابان الحكم العثماني
(١٨٨٠ - ١٩١٨)

في الوقت الذي كان فيه الأوروبيون يضطهدون اليهود لسوء معاملتهم وإفسادهم في الأرض ، كان اليهود يعيشون في العالم الإسلامي في أمان ، ويتمتعون بالحرية والطمأنينة في معيشتهم وأعمالهم ومعتقداتهم في ظل تسامح الاسلام والمسلمين ، فلم يشهدوا أي ظلم أو اضطهاد طيلة عصور التاريخ الإسلامي ، ما داموا يعيشون بهدوء ولم يصدر عنهم أي عمل مناف لقوانين الدولة وشريعتها .

ولكنهم عندما كانوا يتمردون على الأمة الاسلامية ويتآمرون على المسلمين كانوا يلاقون التأديب والعقاب الذي يستحقونه . وعندما قامت الحركة الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بإرسال المهاجرين اليهود الى فلسطين ، ابتدأ عداء الشعب الفلسطيني يتصاعد ضد الصهاينة اليهود الذين جاءوا للإعتداء على أراضيهم وعلى مقدساتهم . ومن هنا بدأت المقاومة العربية الفلسطينية ضد اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين للإستيلاء على الأراضي وإقامة المستعمرات عليها ، من أجل تأسيس الدولة اليهودية على الأرض العربية الفلسطينية بمساعدة الإستعمار العالمي .

ومنذ وصول طلائع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، أصبح اليهود يتحدثون عن إقامة مملكة لهم في فلسطين تشجعهم على ذلك بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية . ولم يكن عدد اليهود في فلسطين قبل نهاية القرن التاسع الميلادي يزيد عن خمسين ألف نسمة ، كما قدرهم القنصل الأمريكي في القدس آنذاك . بينما تذكر المراجع الصهيونية ان إحتلال الصليبيين لفلسطين كان قد أنهى وجود اليهود فيها بالذبح والقتل ، حتى أنه لم يكن في فلسطين عام ١١٧٠ إلا يهودي واحد في مدينة اللد ، وآخر في حيفا واثنان في بيت لحم وأربعة في القدس . وعندما طهر المسلمون القدس ، وفلسطين من الصليبيين ، سمح صلاح الدين الأيوبي لليهود بالعودة إلى القدس لتأدية صلواتهم وممارسة عباداتهم فيها .

وحينما بدأت اهتمامات الدول الإستعمارية باليهود ومشروعاتهم كأسلوب من أساليب استغلالهم لتحقيق مصالح تلك الدول في العالم الاسلامي ، بدأ الاهتمام بشراء الأراضي منذ منتصف القرن الماضي . ولكن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني كان يقظاً ، فأصدر قانوناً عام ١٨٨٢ م منع فيه هجرة اليهود إلى فلسطين كما منعهم من شراء الأراضي فيها .

ولم يكن يملك اليهود في فلسطين عشية إنعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بـال عام ١٨٩٧ م سـوى تسعة عشر مستعمرة مساحتها ٤٥ ألف فدان بالإضافـة إلى عشرة آلاف فـدان من الأراضي غير المستقلة في منـاطق غربي نهر الأردن . وكذلك عشرين ألف فدان في مناطق شرقي نهر الاردن .

وبالرغم من القوانين والتعليمات الصارمة التي كان يصدرها السلطان عبد الحميد الثاني لمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ومنع بيع الأراضي لليهود ، إلا أن الهجرة اليهودية لم تتوقف ، وكذلك بيع الأراضي بسبب تدخل قناصل الدول الأوروبية لمصلحة اليهود ولاسيما بعد سقوط السلطان عبد الحميد الثاني الذي فقد عرشه بسبب رفضه التخلي عن فلسطين والقدس الشريف .

ولم يكد يسقط السلطان عبد الحميد حتى ازداد نشاط الدول الاستعمارية والحركة الصهيونية في تهجير اليهود الى فلسطين والإستيلاء على الأراضي ، وكانت ذروة نشاطهم في الحرب العالمية الأولى التي هزمت فيها تركيا . وأصدرت بريطانيا وعد بلفور عام ١٩١٧ م ، والذي يقضي باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

وكـان اليهود عنـد إصدار وعـد بلفـور لا يملكـون من الأراضي الفلسـطينيـة إلا ٢٪ فقط وقـدرت بحـوالي ١٦٢,٠٠٠ دونم عام ١٩١٨ م . ولم يكن عددهم آنذاك يزيد عن ٥٦ ألف يهودي أي أن نسبتهم لا تزيد عن ٤٪ من مجموع السكان بينما كانت نسبة العرب والمسلمين في حدود ٩٥٪ ، وكان الأجانب يشكلون ١٪ من نسبة مجموع السكان .

ولما عقدت الدول المتحالفة المنتصرة على المانيا وتركيا مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩ م ، أقرت ميثاق عصبة الأمم الذي تضمن « نظام الإنتداب » وهو نظام استعماري دخلت بموجبه فلسطين تحت الإنتداب البريطاني . وقد استطاعت بريطانيا الحصول على موافقة تلك الدول على أن يتضمن نظام الانتداب وعد بلفور الذي أصبح وثيقة دولية بموجب قرارات عصبة الأمم .

وهكذا أصبح الشعب الفلسطيني يواجه مؤامرة استعمارية صهيونية تدعمها الدول الكبرى ، تقضي بـالعمل على الإستيلاء على أرضه ووطنه ومقدساته ، وتسليمها لليهود الأجانب الوافدين من مختلف أقطار العالم .

ـ المقاومة الفلسطينية قبل وعد بلفور :

واجه الفلسطينيون العرب الهجمة الصهيونية الشرسة على بلادهم منذ بدايتها . وقد هاجم الفلاحون العرب عام ١٨٨٦ م مستعمرة بتاح تكفا (ملبس) اليهودية وذلك لأنهم اقاموا تلك المستعمرة على أراضي العرب في قرية الخضيرة وطردوا الفلاحين من ارضهم . كما قاموا بالهجوم على مستعمرات أخرى عام ١٨٩٢ م .

وقام وفد من وجهاء مدينة القدس عام ١٨٩٠ م بتقديم إحتجاج ضد رشاد باشا متصرف القدس الذي كان يساعد اليهود في الحصول على الأراضي . كما قدم وجهاء القدس احتجاجاً إلى رئيس الوزراء في الاستانة (استنبول حالياً) طالبوا فيه بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين وتحريم استملاكهم للأراضي فيها .

وأسس الفلسطينيون عام ١٨٩٧ م هيئة برئاسة مفتي القدس محمد طاهر الحسيني للتدقيق في طلبات نقل ملكية الأراضي ، مما أدى الى منع تسرب الأراضي إلى اليهود لسنوات طويلة . وكذلك قام الفلسطينيون بحملات احتجاج

في المدن الفلسطينية الأخرى مثل مدينة يافا .

وفي عام ١٩٨٢ م ، هاجم الفلسطينيون اليهود في مستعمرة بتاح تكفا (ملبس) مرة أخرى ، واستمروا في مقاومتهم لليهود بكل الوسائل المتاحة لهم بالعصي والسيوف والسكاكين وغيرها ، بالإضافة إلى ما قدموه من عرائض ضد المشروعات الصهيونية الرامية إلى تهجير اليهود وتمليكهم الاراضي في فلسطين . وشهد عام ١٨٩٧ م انعقاد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بال في سويسرا ، حيث وضع مخطط تهجير اليهود إلى فلسطين من مختلف أقطار العالم ، وكذلك مخطط للاستيلاء على أراضي العرب في فلسطين ، من اجل اقامة دولة يهودية فيها بعد طرد العرب منها .

وقام الأعضاء الفلسطينيون في البرلمان العثماني بالتعاون مع عدد من إخوانهم أعضاء البرلمان ، بحملة توعية تبين الخطر الصهيوني على فلسطين والمتمثل بالهجرة اليهودية واستملاك الأراضي . وقاموا عام ١٩٠٠ بحملة احتجاج واسعة وقدموا عرائض جماعية ضد شراء اليهود للأراضي .

وما أن صدرت قرارات ذلك المؤتمر حتى قام الفلسطينيون بحملة مضادة للقرارات الصهيونية ورفضوا تلك القرارات وأخذوا يواجهونها بالعمل مع اخوانهم المسلمين لدفع الحكومة العثمانية لإتخاذ موقف الحذر واليقظة والتصدي لمشروعات اليهود . وقد قام الفلسطينيون عام ١٩٠٠ بحملة احتجاجات واسعة قدموا فيها العرائض ضد تسليم الأراضي للمهاجرين اليهود . وازدادت هذه الحملة مع ازدياد عدد المهاجرين اليهود الوافدين إلى فلسطين في مطلع القرن العشرين الميلادي .

وقد استطاع النواب العرب داخل البرلمان العثماني أن يستصدروا قراراً من الصدر الأعظم ، يعلن فيه أنه لن يسمح لليهود باستيطان فلسطين ، وكذلك فقد أعلن وزير الداخلية التركي معارضته للأهداف الصهيونية في بيان رسمي عام ١٩١١ م .

واشتدت المقاومة الفلسطينية ضد المستعمرات اليهودية وضد الهجرة اليهودية . وقام الفلسطينيون بمظاهرات شعبية صاخبة وأخذوا يهاجمون المستعمرات اليهودية بصورة مستمرة ، وقد شارك في هذه المقاومة جميع أبناء الشعب الفلسطيني من سكان المدن والقرى والبدو . وأخذ الفلسطينيون في هذه الفترة يشكلون المنظمات لمنع بيع الأراضي لليهود ، ولمقاطعة البضائع اليهودية ، كما تشكلت عدة جمعيات لمكافحة الصهيونية في العديد من المدن الفلسطينية منها : جمعية الإخاء والصفا في القدس عام ١٩١٤ م ، وتأسست مثل هذه الجمعيات في عدد من المدن الفلسطينية مثل يافا وحيفا وغيرها من المدن الفلسطينية . إلى جانب عدد من المدن العربية والإسلامية مثل بيروت والقاهرة واستانبول .

كما قامت الصحف العربية في فلسطين والبلاد العربية بحملة واسعة ضد الحركة الصهيونية ، وطالبت العرب والمسلمين ، وكذلك الحكومة العثمانية بمنع تسرب الأراضي لليهود ، ومنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين . وقام عدد من المثقفين الفلسطينيين بإصدار عدد من الدراسات والنشرات التي تفضح أهداف الصهيونية مثل الدراسة التي نشرها الاستاذ يوسف الخالدي عام ١٩٠٩ م ، وكذلك الكتاب الذي نشره نجيب نصار عام ١٩١١ م .

وفي عام ١٩٠٨ م قام جماعة تركيا الفتاة بإنقلاب عسكري ضد السلطان عبد الحميد الثاني ، وإزدادت الأحوال سوءاً في فلسطين بسبب تهاون كبار الموظفين في تطبيق القوانين لمنع الهجرة وبيع الأراضي ، بل إن المتصرفين كانوا

يتعاونون مع قناصـل الدول الاجنبيـة ومع اليهـود لتسهيل مهمتهم في الحصـول على الاراضي وتهـريب المهاجـرين اليهود .

وبعد دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا وهزيمتها أمـام دول الحلفاء ، احتلت بـريطانيـا فلسطين بالاضافة الى عدد من البلاد العربية ، وأصبحت هي صاحبة الأمر بدلاً من الدولة العثمانية . وكانت بـريطانيـا قد أصدرت اثناء الحرب وعد بلفور الذي أعلنت فيه عن سياستها في تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، ودخلت المقاومة الفلسطينية على أثر ذلك في مرحلة جديدة .

الفصل الثاني

جهاد شعب فلسطين ضد الاستعمار البريطاني والصهيونية
(١٩١٨ - ١٩٣١ م)

- المقاومة السياسية والعسكرية في أعقاب الحرب العالمية الأولى :

عندما اذيع نص وعد بلفور السري أثناء الحرب العالمية الأولى ، بدأ العرب يشعرون بالمؤامرة الدولية للاستيلاء على بلادهم بتعضيد ومساندة الحكومة البريطانية التي بدأت تكشف عن وجهها في تأييد الحركة الصهيونية .

وقد أحضرت بريطانيا حاييم وايزمن زعيم الحركة الصهيونية إلى فلسطين في عام ١٩١٨ م ، لمحاولة إقناع العرب بوعد بلفور ، ولكن العرب مسلمين ومسيحيين رفضوا وعد بلفور وأخذوا يواجهون المخططات البريطانية التي كانت تعمل لإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

ومنذ عام ١٩١٩ م ، أخذت الحركة الوطنية الفلسطينية تزداد عنفاً على الصعيد السياسي والعسكري فقد قام الفلسطينيون بمهاجمة المستعمرات اليهودية والتجمعات الصهيونية ، كما قاموا بحملة احتجاجات ضد السياسة البريطانية والنشاط الصهيوني .

وقد عقد الفلسطينيون مؤتمرهم الأول عام ١٩١٩ م ، ووضعوا لأول مرة ميثاقاً وطنياً في هذا المؤتمر حددوا فيه برنامجهم السياسي الذي أكدوا فيه :

١ - رفض وعد بلفور . ٢ - إعتبار فلسطين جزءاً من سوريا وتسميتها سوريا الجنوبية والمطالبة بوحدة سوريا الكبرى . ٣ - استقلال فلسطين التام ضمن الوحدة العربية .

وبدأ الشعب الفلسطيني في هذه المرحلة بتكوين الجمعيات في العديد من المدن الفلسطينية لمحاربة الصهيونية ، ومنع الهجرة اليهودية إلى بلادهم ، ومنع بيع الأراضي الفلسطينية لليهود ، كما تشكلت ولأول مرة عام ١٩١٩ م جمعية عربية سرية في القدس عرفت باسم « الفدائية » وأخذت هذه الجمعية تعمل على الإعداد للثورة المسلحة . وقامت عام ١٩٢٠ م مجموعة من المسلحين الفلسطينيين بمهاجمة عدد من المستعمرات اليهودية قتلوا فيها عدداً من اليهود .

ثورة القدس عام ١٩٢٠ م :

استمر العرب في مقاومتهم للسياسة البريطانية المؤيدة للصهيونية ، وقاموا بمزيد من حملات الإحتجاج والمظاهرات التي إزداد إتساعها بعد تصريح الحاكم العسكري البريطاني بأن بريطانيا ستجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود . وقد سارت المظاهرات في كل المدن الفلسطينية ، ورفع الفلسطينيون الإحتجاجات وأرسلوا البرقيات إلى عدة جهات دولية وبريطانية يحتجون فيها على السياسة البريطانية .

وقد إزداد الجو توتراً على أثر القرار الذي إتُخذ في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ م ، والذي قرر فيه المجلس الأعلى للحلفاء انتداب بريطانيا على فلسطين ، كما قرر أن تتضمن معاهدة الصلح مع تركيا نص وعد بلفور . ومع ازدياد النقمة ضد السياسة البريطانية قامت مظاهرات في القدس ، وشن الثوار الفلسطينيون هجمات على المستعمرات اليهودية قتل فيها أحد أبرز الضباط العسكريين الصهاينة .

وفي هذه الأجواء المشحونة بالمرارة والحقد ضد السياسة البريطانية أُقيم احتفال النبي موسى في مدينة القدس ، ذلك الإحتفال الذي ينعقد مرة كل عام ، ويتجمع فيه اهالي فلسطين من جميع المدن والقرى ويحضرون في مسيرات ضخمة تحمل الأعلام والسيوف ، وتنشد الأناشيد الوطنية وتتوجه هذه المسيرات إلى مقام النبي موسى شرقي القدس للصلاة والإحتفال بهذا الموسم الوطني الذي وضعه القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي ، حتى يكون المسلمون في يقظة وحذر كي لا يفاجئهم الصليبيون بالغزو والسيطرة على المقدسات الإسلامية وذلك أثناء تجمعهم (أي الصليبيين) في عيد الفصح الذي يحتفلون به في ذلك الوقت .

وفي ٤ أبريل ١٩٢٠ م ، حدثت اصطدامات دموية بين العرب واليهود استمرت أُسبوعاً كاملاً سقط فيها عدد من القتلى من الجانبين بالإضافة إلى مئات الجرحى ، وقامت على أثر ذلك مظاهرات عنيفة ضد اليهود والإنجليز في سائر أنحاء فلسطين ، مما دفع الحكومة البريطانية إلى تشكيل لجنة عسكرية للتحقيق في أسباب الإضطرابات .

وفي ديسمبر عام ١٩٢٠ م ، انعقد المؤتمر الفلسطيني الثالث في حيفا الذي انتخب فيه الفلسطينيون لجنة تنفيذية لقيادة العمل الوطني ، وطالب المؤتمر بحكومة وطنية وتمثيل نيابي .

- ثورة يافا عام ١٩٢١ م :

استمرت الحكومة البريطانية في سياستها لفرض الوطن القومي اليهودي ، وتنفيذ وعد بلفور . وقد قامت في يوليو ١٩٢٠ م بإستبدال الحكم العسكري على فلسطين بإدارة مدنية لتتمكن من تنفيذ مخططاتها . وقامت بتعيين اليهودي هربرت صموئيل أو مندوب سام بريطاني على فلسطين ، وهو من أبرز أقطاب الصهاينة الانجليز .

وقد بدأ هربرت صموئيل بتعيين اليهود في الوظائف الكبيرة والمهمة ، وأعلن أن اللغة العبرية لغة رسمية مثل العربية والانجليزية ، وفتح أبواب الهجرة اليهودية على مصراعيها . ووضع القوانين التي تسمح لليهود بالاستيلاء على الاراضي ، ومنحهم الامتيازات للمشروعات الاقتصادية .

ولقد واجه الفلسطينيون هذه المخططات الصهيونية بكل ما يملكون من وسائل . وعندما جاء ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني إلى فلسطين عام ١٩٢١ م وبرفقته هربرت صموئيل ونزلوا في محطة غزة ، واجهه

الفلسطينيون بمظاهرات كبيرة في جميع المدن الفلسطينية .

وقد تطورت هذه المظاهرات إلى اصطدامات مسلحة في عدد من المدن الفلسطينية كان أشدها في مدينة يافا حيث سمح الإنجليز لليهود بالقيام بمظاهرات في تل ابيب توجهت الى مدينة يافا ، وقام الإنجليز بتسليح اليهود بعدد من البنادق مما أدى إلى مواجهة مسلحة بين الفريقين .

وقد تميزت هذه الصدامات في مدينة يافا بالعنف وسقوط اعداد كبيرة من القتلى والجرحى من العرب واليهود . وقد اتسع نطاق هذه الاشتباكات حتى شمل عدد كبير من المدن الفلسطينية . وهاجم العرب عدة مستعمرات يهودية مما دفع الإنجليز لإرسال قواتهم للتصدي للثوار العرب ، وقصفهم بالطائرات واستمرت هذه الإصطدامات نحو أسبوع سقط خلالها عشرات الشهداء والجرحى من الفلسطينيين العرب كما سقط أعداد كبيرة من القتلى والجرحى اليهود .

وشكلت بريطانيا لجنة هايكرافت للتحقيق في هذه الأحداث ، ورأت اللجنة أن الدافع لها هو « الشعور السائد في البلاد ضد اليهود وهو ناشيء عن خطة الحكومة فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي » . وقد كان من أهم نتائج هذه المقاومة الفلسطينية أن اضطرت حكومة الانتداب إيقاف تدفق الهجرة لبعض الوقت .

ـ التحرك السياسي الفلسطيني :

عقد الشعب الفلسطيني مؤتمره الرابع في القدس عام ١٩٢١ م ، وأصدر قرارات تدعو الى المطالبة بالحقوق الوطنية وإلى مقاومة الصهيونية . وانتخب لجنة تنفيذية جديدة ، وقرر تشكيل وفد لعرض القضية الفلسطينية على الحكومة البريطانية في لندن ، وإظهار ما تقوم به حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين من ظلم على الشعب الفلسطيني بسبب سياسة وعد بلفور المؤيدة للصهيونية .

وشكلت اللجنة التنفيذية الوفد الفلسطيني الذي سافر عن طريق الاسكندرية حيث أجرى مشاورات مع الوطنيين المصريين ، كما أجرى اتصالات مع الوطنيين السوريين في جنيف ، وعقد معهم المؤتمر العربي الفلسطيني الذي اتخذ قرارات متعددة منها : اتحاد سوريا ولبنان وفلسطين ، وتأليف حكومة مدنية مسؤولة أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب وإلغاء الانتداب البريطاني في الحال ، وجلاء الجيوش البريطانية والفرنسية وإلغاء وعد بلفور .

وفي لندن اتصل الوفد برجال الحكومة البريطانية المسؤولين ، وتبادل الرسائل مع المستر تشرشل وزير المستعمرات ، وكان موضوع المفاوضات مع الحكومة البريطانية هو المطالبة بحكومة وطنية ، ورفض انشاء وطن قومي لليهود ، ورفض صك الإنتداب وما تضمنه من سياسة صهيونية لتشجيع الهجرة اليهودية وتمليك الأراضي لليهود ، وتحويل فلسطين إلى وطن قومي يهودي .

وقد استطاع الوفد أن يقنع كثيراً من المسؤولين البريطانيين بوجهة نظره العادلة ، وكان من نتائج تلك الزيارة أن قرر مجلس اللوردات البريطاني في ٢١ يونيو ١٩٢٢ م ، رفض الموافقة على مشروع صك الإنتداب لمناقضته للوعود المقطوعة للعرب ، ولأنه لا يتفق مع رغبات الأهالي ، كما طالب مجلس اللوردات الحكومة البريطانية أن تعيد النظر في سياستها ازاء فلسطين ، بالرغم من مشاركة اللورد بلفور في الاجتماع ودفاعه عن وعده المشؤوم ، ولكن نظراً لأن

صاحب القرار في بريطانيا هو مجلس العموم ، لذلك لم تلتفت الحكومة إلى قرارات مجلس اللوردات ، واستمرت في سياستها المعلنة في وعد بلفور .

وفي ٢٤ يوليو ١٩٢٢ م صادق مجلس عصبة الأمم على نظام الإنتداب على فلسطين ، وأدمج وعد بلفور بصك الانتداب الذي اعترف زوراً وبهتاناً بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين ، وبضرورة إعادة إنشاء وطنهم القومي فيها . واعترف الصك بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى ادارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الإقتصادية والإجتماعية وغير ذلك من الأمور التي تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود ، كما تضمن الصك تسهيل هجرة اليهود وحشدهم في الأراضي الأميرية الخاضعة لسلطة حكومة الإنتداب .

وقد احتج الوفد الفلسطيني في لندن على قرارات الإنتداب ، كما قامت إضرابات ومظاهرات في جميع المدن الفلسطينية إحتجاجاً على تلك القرارات ، وتلقى الوفد برقية من اللجنة التنفيذية تدعوه إلى قطع المفاوضات مع الحكومة البريطانية والعودة إلى بلاده .

واستمرت الحكومة البريطانية في سياستها الموالية للصهيونية عام ١٩٢٢ م ، فأصدرت الكتاب الابيض الذي أكدت فيه حق الشعب اليهودي في التواجد في فلسطين وزيادة الهجرة اليهودية ، كما نشرت حكومة الإنتداب البريطانية « دستور فلسطين » دون الرجوع إلى الفلسطينيين أصحاب الأرض الاصليين ، وقررت تشكيل مجلس تشريعي يضم العرب واليهود تحت سيطرة حكومة الإنتداب .

وفي هذه الأجواء ، عقد المؤتمر الفلسطيني الخامس في نابلس يوم ٢٢ أغسطس ١٩٢٢ م ، وألقى فيه الوفد العائد من لندن تقريره عن نتائج مباحثاته في لندن ، وبحث المؤتمر جميع الأوضاع الناتجة عن موقف الحكومة البريطانية ، وسياسة الانتداب ووعد بلفور ، ودستور فلسطين والمجلس التشريعي واتخذ قرارات أهمها رفض دستور فلسطين ، ومقاطعة انتخابات المجلس التشريعي . كما وضع المؤتمر أول « ميثاق وطني » للحركة الوطنية الفلسطينية ، وأقسم جميع الأعضاء على الإلتزام به قائلين : « نحن ممثلي فلسطين أعضاء المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس نقسم أمام الله والأمة والتاريخ أن نواصل المساعي المشروعة لتحقيق الإستقلال والإتحاد العربي ورفض الوطن اليهودي والهجرة الصهيونية » .

نداء اللجنة التنفيذية برفض الانتداب
في ١٩٢٢/٦/٢٠ م

الى الأمة الكريمة :

فلسطين عربية وستبقى عربية رغم المعاهدات الأوروبية الظالمة التي أثبت لنا الزمن عند التصفية قصاصات ورق بالية .

إن مستقبل فلسطين رغم تصريح بلفور ومعاهدة سان ريمو ،

ان المعاهدات والإتفاقات والتصاريح المبنية على الباطل تذوب بتأثير أنفاس الوطنية الحقة الصادقة .

جاء في نظام جمعية الأمم المادة ٢٢ ما يلي : « إن بعض الطوائف التي انفصلت بعد الحرب عن الامبراطورية العثمانية قد وصلت الى درجة في معالم الوطنية يجب الإعتراف لها معها بالإستقلال مبدئياً على أن تقدم لها دولة منتدبة الارشادات الادارية والمساعدات المالية بينما تصبح بحالة يمكنها معها الإستغناء عن ذلك . ويجب أن يكون اختبار هذه الطوائف للدولة المنتدبة أساساً معتبر » .

فإذا داست جمعية الأمم قرارها هذا بتصديقها على صك إنتداب فلسطين في ١٥ تموز سنة ١٩٢٢ م ، وهو يناقض هذا القرار أصلاً وفرعاً ، فتعلم أن جمعية الأمم هي هيئة يهون عليها إلغاء تصديقها على صك الإنتداب وهو ظلم كما داست قرارها برجليها وهو حق . والذي يدوس الحق بقوة الباطل أولى أن يدوس الباطل بقوة الحق .

لهذا فإذا قلنا ان إتمام تصديق عصبة الأمم لصك الإنتداب في الخامس عشر من شهر تموز المقبل هو ضربة كبرى على القضية ، فلا نعني أنه يكون ضربة معينة ، بل ضربة تزيد الأحياء حياة والأموات موتاً . فإذا كان العالم بأسره يشهد لنا اليوم بالحياة ، فيجب ان يكون لنا من مصيبة تصديق الانتداب حياة جديدة .

جاء في الأمثال الانجليزية (إنما المصاعب مدارس النجاح) ، ولا ينطبق هذا المثل الصحيح على أمة كانطباقه على فلسطين فإن مصيبة تصريح بلفور وضعت فينا حياة جديدة ، ومصيبة معاهدة سان ريمو ربطتنا بالعروة الوثقى . فإذا حلت علينا مصيبة عصبة الأمم فيجب أن تزيد حركتنا انتظاماً واتحادنا توثيقاً .

فإذا لم تصدق جمعية الأمم صك إنتداب فلسطين فذلك أحرى بها وتكون قد رفعت عنا مصيبة كبرى كان يمكن أن تؤخر قضيتنا لا ان تميتها . وإن خاب الظن فيها وصدقت عليه فيجب أن تنقل تلك المصيبة إلى صالحنا ، فلنلفظ الصك لفظ النواة ، ونثابر على دفاعنا الوطني المقدس بهمة أعلى وعزم أمضى وإرادة أصلب .

فإلى درء هذه المصيبة قبل حلولها بالطرق المشروعة ، ندعو لجاننا وجمعياتنا وممثلينا داخل البلاد وخارجها . ولنذكر الأمة بمبدأ حركتنا الوطنية وهو (الحق الصريح لا ينال إلا بالطرق المشروعة) ، فلنسر عليها ، والله والحق والعالم بجانبنا .

لسان العرب ـ ٢٦٤ ـ ١٩٢٢/٦/٢١ م

سكرتير اللجنة التنفيذية
جمال الحسيني

وقد ناشد المؤتمر الشعب الفلسطيني مقاطعة إنتخابات المجلس التشريعي فاستجاب الشعب للنداء . وقاطع الانتخابات التي اختفت بسبب إضراب المناطق وتعطل الدستور .

وفي يونيو عام ١٩٢٣ م ، عقد الفلسطينيون مؤتمرهم السادس لتنظيم الحركة الوطنية وللإستماع إلى الوفد الفلسطيني الثاني الذي ذهب إلى أوروبا لحضور مؤتمر الصلح والدفاع عن قضية فلسطين وعرض مطالب الشعب الفلسطيني ، واتخذ المؤتمر عدة قرارات وطنية ، كما قرر إرسال وفد ثالث إلى لندن لعرض قضية فلسطين على الرأي العام البريطاني والمسؤولين البريطانيين . ولم تتمكن الحركة الوطنية الفلسطينية من عقد مؤتمرها السابع إلا عام ١٩٢٧ م والذي لم تخرج قراراته عن مجمل قرارات المجالس الوطنية السابقة .

واستمر الشعب الفلسطيني يواجه سياسة الإنتداب البريطاني بالتحرك السياسي وبالعنف حتى انفجرت ثورة البراق عام ١٩٢٩ م .

- ثورة البراق عام ١٩٢٩ م :

البراق هو الدابة التي نقلت الرسول محمد ﷺ من مكة الى بيت المقدس ليلة الاسراء والمعراج . « وحائط البراق » هو الحائط الغربي للمسجد الأقصى الذي يعتقد المسلمون ان الرسول ﷺ قد ربط البراق فيه . ويعتقد اليهود ان هذا الحائط جزء من هيكل سليمان القديم وهذا غير صحيح لأنه من الثابت تاريخياً ان هيكل سليمان قد دمر نهائياً اكثر من مرة على يد الفرس واليونان والرومان وغيرهم ولم يبق منه أي اثر . وبالرغم من ذلك فقد سمح المسلمون لليهود بزيارته والصلاة والبكاء عنده ، ولذلك يسمى عند اليهود « حائط المبكى » .

وحائط البراق ملك للمسلمين وهو وقف من الأوقاف الاسلامية اعترف به صك الإنتداب ، وقرار اللجنة التي شكلتها عصبة الأمم للنظر في أمر أثر المشاكل التي أحدثها اليهود بسببه ، إذ كانوا دائماً يحاولون الإستيلاء عليه بدلاً من شكر المسلمين على تسامحهم وتركهم يؤدون صلواتهم عنده .

وقد حاول اليهود مساء يوم ١٥ اغسطس ١٩٢٩ م الاستيلاء على حائط البراق وساروا بحشود ضخمة يهتفون « الحائط حائطنا » . وفي اليوم التالي وبعد صلاة الجمعة حيث صادف عيد المولد النبوي خرج المسلمون في مظاهرة عنيفة نحو حائط البراق ، وقاموا بهجمات على عدة مواقع في مدينة القدس ، وعم التوتر جميع انحاء فلسطين ، فقامت أعمال عنف ضد اليهود في مدينة الخليل أدت الى ذبح (٦٠) منهم وطرد الباقين من المدينة ، وكذلك حصل في مدينة صفد حيث قتل وجرح نحو (٥٠) يهودياً ولاقى عدد من اليهود نفس المصير في عدة مدن عربية مثل نابلس وحيفا وعكا ويافا وبيسان .

وكانت القوات البريطانية تتدخل باستمرار إلى جانب اليهود لحمايتهم وتسليحهم وتشجيعهم على محاربة الفلسطينيين العرب . وقد زجت حكومة الإنتداب بعدد كبير من الشبان العرب داخل السجون وحكمت بالإعدام على عشرين منهم ، نفذت الحكم في ثلاثة منهم (فؤاد حجازي ، ومحمد جمجوم وعطا الزير) وأصبح هؤلاء الثلاثة رمزاً للشجاعة والبطولة .

كما قامت حكومة الإنتداب بفرض غرامات كبيرة على المدن والقرى الفلسطينية ، ولكن لم تؤثر بجميع تلك

الاجراءات في عزيمة الشعب الفلسطيني ولم تفت في عضده ، وظل يقاوم سياسة حكومة الانتداب الظالمة والمتواطئة مع اليهود .

وقد شكلت بريطانيا لجنة تحقيق برئاسة والترشو وعضوية ثلاثة من نواب البرلمان البريطاني ، وقدمت تقريرها عام ١٩٣٠ م وأكدت اللجنة أن سبب الإضطرابات تعود إلى خيبة أماني العرب السياسية والوطنية وخوفهم على مستقبلهم الإقتصادي وخشيتهم من سيطرة اليهود عليهم سياسياً بسبب الهجرة وانتقال الأراضي ولاعتقادهم أن قرارات حكومة فلسطين تتأثر بالإعتبارات السياسية لمصلحة اليهود .

واثر صدور تقرير لجنة شو ، شكلت اللجنة التنفيذية الفلسطينية وفداً للسفر إلى لندن وقد وصل الوفد في ٣٠ مارس ١٩٣٠ م وقدم لرئيس الوزراء البريطاني وإلى وزير المستعمرات مذكرة تتضمن مطالب العرب في وقف الهجرة ومنع انتقال الأراضي ، ولكن الحكومة البريطانية رفضت هذه المطالب .

ـ المؤتمر الاسلامي :

على أثر ثورة البراق التي اندلعت شرارتها بسبب محاولة اليهود الإستيلاء على حائط البراق ، والذي أصدرت عصبة الأمم تقريرها في ديسمبر ١٩٣٠ م وفيه اعتراف بملكية المسلمين للحائط ، وفي ٧ ديسمبر ١٩٣٠ م انعقد في المسجد الأقصى في القدس ليلة الإسراء والمعراج المؤتمر الاسلامي برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني الذي أصبح مفتي فلسطين ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، والذي سيقود الحركة الوطنية في السنوات القادمة .

وكان الغرض من هذا المؤتمر هو ايجاد كتلة عربية اسلامية تقف سداً منيعاً أمام مطامع اليهود في البلاد المقدسة . وقد حضر الزعماء المسلمون من ٢٢ قطراً من الأقطار الاسلامية على اختلاف شعوبها ولغاتها .

وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات هامة منها « تنمية التعاون بين المسلمين ، وحماية المصالح الإسلامية ، وصيانة المقدسات والبقاع المشرفة من كل تدخل وسيطرة ، والبدء بانشاء جامعة بيت المقدس تسمى « جامعة المسجد الأقصى » وجمع التبرعات لحماية المسجد الأقصى ، وإنشاء شركة لإنقاذ الأراضي الفلسطينية ، ومقاطعة جميع المصنوعات الصهيونية في جميع الأقطار الإسلامية ، وتنبيه علماء المسلمين ورؤساء حكوماتهم إلى الخطر الصهيوني على فلسطين ومقدسات المسلمين فيها وعلى البلاد الاسلامية التي تجاورها ، والإحتجاج ضد الهجرة الصهيونية والسماح ببيع الأراضي ، والمطالبة بحق تقرير المصير لفلسطين ، واستنكار كل أنواع الإستعمار وإعتبار كل مسلم يساعد السلطات الاستعمارية عدواً للإسلام والمسلمين » .

وقد شكر المؤتمر نصارى فلسطين وشرق الأردن على عواطفهم التي أبدوها نحو المؤتمر ، وأنهى المؤتمر الاسلامي أعماله بانتخاب لجنة تنفيذية برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني مُفتي فلسطين وعضوية ٢٥ من زعماء وعلماء العالم الإسلامي .

ـ سمات النضال في هذه المرحلة :

١ ـ اتسم النضال في هذه المرحلة منذ وعد بلفور وحتى ثورة عام ١٩٢٩ م ، بتركيز المقاومة الفلسطينية على محاربة الصهيونية ، ومطالبة حكومة الإنتداب البريطاني بوقف الهجرة اليهودية ، ومنع تمليك الأراضي لليهود فالقيادة

الفلسطينية ظلت تعتبر أن عدو الشعب الفلسطيني الأول هم اليهود ، وكانت تأمل دائماً أن يتراجع الانجليز عن تأييد الحركة الصهيونية .

٢ ـ كان النضال السياسي في هذه المرحلة هو السمة المميزة بالرغم من إنفجار الثورات العسكرية المتكررة والإصطدامات والإشتباكات التي كانت تحدث في جميع أنحاء فلسطين ، ولم تكن تلك الثورات والإشتباكات تنطلق من تنظيم ثوري فعال . وقد إستطاعت المقاومة الفلسطينية في هذه الفترة أن ترسل العديد من الوفود للتحرك السياسي والإعلامي على الصعيد العربي والإسلامي والدولي ، كما شاركت في العديد من المؤتمرات العربية التي كانت تدعو إلى الوحدة العربية خاصة وحدة سوريا ـ كما كانت تدعو إلى محاربة الاستعمار لاسيما الاستعمار البريطاني والفرنسي .

٣ ـ كان عنوان النضال في هذه المرحلة محاربة وعد بلفور ، ومنع إقامة الوطن القومي اليهودي ، وكذلك المطالبة بإنهاء الإنتداب البريطاني ، وتمكين الشعب الفلسطيني من تشكيل حكومته الوطنية المستقلة .

٤ ـ اتسمت هذه المرحلة بعقد المؤتمرات الفلسطينية المتعددة وإنتخاب اللجنة التنفيذية المنبثقة عن هذه المؤتمرات والتي كانت تمثل جميع إتجاهات الشعب الفلسطيني وتقود نضاله السياسي .

الفصل الثالث

جهاد شعب فلسطين قبيل الحرب العالمية الثانية
(١٩٣١ - ١٩٣٩)

لم تتوقف سياسة حكومة الانتداب البريطاني عن الاستمرار في تنفيذ سياستها التي ترمي إلى تهويد فلسطين وإقامة الوطن القومي اليهودي . ولم يكن المندوب السامي الجديد المستر ارثر واكهوب أقل حماساً لتنفيذ وعد بلفور ، فقد أهمل المندوب السامي الجديد توصيات اللجان البريطانية التي أوصت بمنع انتقال الاراضي مثل توصيات المستر سمبسون وأخذ يعلن عن حماسه في تأييد الصهيونية ، وقد استطاعت حكومة الانتداب البريطاني في الثلاثينات أن تقدم منجزات كبيرة في دعم الحركة الصهيونية وخاصة في زيادة عدد المهاجرين اليهود والمساحات الكبيرة من الاراضي الفلسطينية التي ملكتها لليهود .

فعلى صعيد الهجرة ارتفع عدد المهاجرين اليهود الذين دخلوا فلسطين ارتفاعاً هائلاً فبعد ان دخل ٤٠٧٥ يهودي عام ١٩٣١ م ، استطاعت الصهيونية بحماية السلطات البريطانية ادخال ٢٩٧٢٧ يهودياً عام ١٩٣٦ م ، وقد ارتفع عدد اليهود في فلسطين من ١٧٤,٦٠٦ عام ١٩٣١ م الى ٣٨٤٠٧٨ عام ١٩٣٦ وقفزت نسبتهم من ١٦,٩٪ عام ١٩٣١ م الى ٢٨,١٪ عام ١٩٣٦ م . وبلغ مجموع اليهود الذين دخلوا فلسطين منذ عام ١٩٣١ م حتى عام ١٩٣٨ م ٢٢١٠٧٥ يهودياً .

كما انتقل ٣٣٤ ألف دونم من الأرض إلى اليهود منذ توصية تقرير سمبسون بوقف انتقال الارض إلى اليهود عام ١٩٣٥ م حتى عام ١٩٣٦ م بالاضافة الى زيادة ٧٥ مستعمرة اقيمت على الاراضي الفلسطينية في هذه الفترة .

وكان رد الشعب الفلسطيني على هذه الممارسات هي الاعداد المنظم للثورة المسلحة ، وتوجيه النضال إلى العدو الرئيسي وهو الاستعمار البريطاني الذي أثبت من تصرفاته خلال الفترة السابقة أنه هو عدو الشعب الفلسطيني الأول وان الصهيونية لا تعدو أن تكون اداة من أدواته يستعملها لتحقيق أغراضه الاستعمارية .

وتميزت هذه الفترة بظهور نشاط لمختلف قطاعات الشعب الفلسطيني فظهر الطلاب كعنصر سياسي جديد وعقدوا مؤتمرهم الأول في سبتمبر عام ١٩٢٩ م وقرروا في هذا المؤتمر المطالبة بالغاء وعد بلفور ووقف الهجرة اليهودية وتشكيل حكومة وطنية وتمثيل نيابي ، كما طالبوا بارسال وفد الى أوروبا لاطلاع الشعب البريطاني على الممارسات السيئة التي يقوم بها رجال حكومته في فلسطين .

كما بدأ النشاط النسائي الذي عقد اول مؤتمر له في القدس في اكتوبر ١٩٢٩ م وحضر المؤتمر أكثر من ثلاثمائة سيدة ، وقد طلب وفد يمثل المؤتمر الى المندوب السامي إلغاء وعد بلفور ووقف الهجرة اليهودية وتنحية نورمان بنتويش النائب العام فوراً لتحيزه للصهيونيين .

وبدأ كذلك نشاط الشباب الذين عقدوا في ديسمبر ١٩٣٢ م مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني الأول ووضعوا فيه ميثاق العمل الوطني للشباب ، تضمن الإقرار بوحدة الأمة العربية والعمل من أجل استقلالها ورفض الاستعمار ومقاومته ورفض بيع الاراضي لليهود .

وقد بدأت كذلك الحركة العمالية في تنظيم نفسها فعقدت مؤتمرها الأول في القدس في يناير ١٩٣١ م وتأسست جمعيات عمالية في عدد من المدن الفلسطينية مثل « جمعية العمال العربية » التي ضمت (٤٧٠٠) عضواً . وكرد على الجمعيات الصهيونية ضد العمال العرب التي كانت تطردهم من المشاريع اليهودية ، تألفت في القدس ويافا وحيفا عام ١٩٣٤ م جمعيات عمالية عربية لمواجهة عمليات الجمعيات الصهيونية . وتطور التنظيم العمالي في فلسطين بحيث أصبح يشارك في الحركة الوطنية بصورة منظمة كرد فعل في ذكرى وعد بلفور عام ١٩٣٤ م عندما أضرب عمال المواصلات اضراباً شاملاً على صعيد فلسطين كلها .

أما على صعيد العمل السياسي فقد شهدت هذه الفترة ظهور الاحزاب السياسية التي أخذت تنظم نفسها للمساهمة في الحركة الوطنية ضد الاستعمار البريطاني والصهيونية ومن أهم تلك الأحزاب :

١) حزب الأحرار العربي ، تأسس في حيفا عام ١٩٣٠ م .
٢) حزب الاستقلال العربي ، تأسس في القدس عام ١٩٣٢ م .
٣) حزب الدفاع الوطني ، تأسس في القدس عام ١٩٣٤ م .
٤) حزب الاصلاح ، تأسس في القدس عام ١٩٣٥ م .
٥) حزب الكتلة الوطنية ، تأسس في نابلس عام ١٩٣٥ م .
٦) الحزب العربي الفلسطيني ، تأسس في القدس عام ١٩٣٥ م .

وقد ساهمت الأحزاب الفلسطينية في بعث الحركة الوطنية الفلسطينية من مراقدها وتشكلت « لجنة الاحزاب الفلسطينية » ، وقد اجتمعت هذه اللجنة في ٢١ اكتوبر عام ١٩٣٥ م وتقدمت بمذكرة الى حكومة الانتداب البريطاني تطالب فيها بتأليف حكومة وطنية وتمثيل نيابي ، بالإضافة الى المطالبة بوقف الهجرة نهائياً ومنع بيع الاراضي لليهود .

وهكذا نظم الشعب الفلسطيني نفسه وشاركت جميع قطاعاته في الحركة الوطنية وأخذوا يواجهون سياسة الانتداب البريطاني في دعم الحركة الصهيونية ، ويقاومون تهويد وطنهم بمختلف الوسائل .

وتعتبر هذه السنوات من ١٩٣٠ الى ١٩٣٩ م من السنوات التي شهدت أروع انواع الجهاد والبطولة والتضحية التي قدمها الشعب الفلسطيني في مواجهة بريطانيا أكبر دولة استعمارية في ذلك الوقت بالاضافة الى الصهيونية العالمية .

وقد اتخذ الجهاد في هذه الفترة عدة أشكال ، وعبر عن نفسه من خلال المظاهرات والاضرابات

والاحتجاجات ، بالاضافة الى المؤتمرات الوطنية والصدامات بمختلف الوسائل مع السلطات البريطانية ، وأخيراً الثورات المسلحة .

وقد كان التركيز في النشاط السياسي للشعب الفلسطيني منصباً على محاربة الهجرة اليهودية ومنع انتقال الأراضي لليهود ، وقد تأسس عام ١٩٣٢ م « صندوق الأمة » لشراء الاراضي والحيلولة دون انتقالها الى اليهود . كما قام المجلس الاسلامي الأعلى ورجال الدين ، باصدار الفتاوى بتحريم بيع الارض لأي شخص يشتبه انه سيعيد بيعها لليهود . واعتبر كل من يفرط بأرضه خائناً لدينه ووطنه وأمته ، كما شجع رجال الدين الناس على تسجيل اراضيهم وقفاً على ورثتهم حتى لا تستطيع بريطانيا من نقلها الى الصهاينة .

وقد قام الشعب الفلسطيني بمواجهة السلطات البريطانية بمختلف الوسائل فانفجرت عام ١٩٣١ م في نابلس مظاهرات ضخمة دعا فيها الخطباء علناً الى مقاطعة حكومة الانتداب ، والتسلح لمواجهة الخطر الاستعماري والصهيوني . ووقع صدام بين المتظاهرين والقوات البريطانية أدى الى وقوع العديد من الجرحى ، كما قامت القوات البريطانية باحباط اضراب سائقي سيارات الأجرة ، وقمع اضراب نظمه عرب فلسطين للاحتجاج على تسليح سكان المستعمرات اليهودية .

وفي عام ١٩٣٢ م قدمت « اللجنة التنفيذية للمؤتمر النسائي العربي الأول » مذكرة الى اللجنة الدائمة للانتداب في جنيف أشارت فيه الى شكاوى الفلاحين الفلسطينيين وعجز حكومة الانتداب عن حمايتهم . ودعت المذكرة الى الغاء وعد بلفور وصك الانتداب والى اقامة حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي منتخب وصولاً الى الاستقلال التام ضمن اتحاد فيدرالي عربي .

ـ انتفاضة عام ١٩٣٣ م :

وفي ٢٢ مارس ١٩٣٣ م ، أعلنت القيادة الفلسطينية بصورة واضحة ان حكومة الانتداب البريطاني هي العدو الحقيقي للشعب الفلسطيني ، وقد اذاع موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية بياناً عبر فيه عن خيبة امله في حكومة الانتداب ويأسه من امكان تصديها للهجرة او بيع الأراضي . واعتبر الحكومة (الخصم الحقيقي) وطالب الشعب الفلسطيني ان يعد نفسه للاعمال الجريئة وهي دعوة للقتال .

وعقد في ٢٦ مارس من العام نفسه ، مؤتمر كبير في حيفا حضره نحو ٦٠٠ شخص من القيادات الفلسطينية والوجهاء من مختلف أنحاء فلسطين . وقرر المجتمعون اعتبار حكومة الانتداب مسؤولة عما يجري في فلسطين من هجرة وبيع أراضي ، وتهيئة البلاد للوطن القومي اليهودي ، كما قرر المؤتمر مقاطعة البضائع البريطانية والصهيونية ، والامتناع عن دفع الضرائب .

وقد وصلت ممارسات حكومة الانتداب الى قمتها في ادخال (٥) آلاف مهاجر يهودي عام ١٩٣٣ م وطالبت المنظمات اليهودية بـ (٢٤) ألف تأشيرة دخول للأشهر الستة التالية ، كما طالب المؤتمر الصهيوني المنعقد في براغ في اغسطس ١٩٣٣ م ، الحكومة البريطانية بفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية غير محددة حتى يمكن تحويل فلسطين الى وطن قومي يهودي

وكرد على هذه الاجراءات البريطانية الصهيونية قررت اللجنة التنفيذية العربية في اجتماع لها عقدته في القدس

في ٢٥ سبتمبر ١٩٣٣ م القيام بمظاهرات في جميع انحاء فلسطين .

وعقد الشعب الفلسطيني في مختلف المدن الفلسطينية الاجتماعات الشعبية ، ولبى دعوة القيادة الفلسطينية الى التظاهر ، فقامت المظاهرات في مختلف المدن الفلسطينية تنادي بعدم التعاون مع الانجليز وعدم تنفيذ القوانين الحكومية ، وتطالب بوقف الهجرة اليهودية وبيع الاراضي ، كما تطالب بالاستقلال للشعب الفلسطيني والغاء الانتداب البريطاني .

وفي القدس تظاهر يوم ١٣ اكتوبر ١٩٣٣ م خمسة آلاف عربي ، وشارك في المظاهرات عدد من النساء واصطدم المتظاهرون مع القوات البريطانية وسقط اكثر من (٤٠) جريحاً من الطرفين . كما قامت في ٢٧ من الشهر نفسه بقرار من اللجنة التنفيذية مظاهرة كبيرة في مدينة يافا اشترك فيها اربعة آلاف عربي على رأسهم رئيس اللجنة التنفيذية الشيخ موسى كاظم الحسيني ، وشارك النساء في المظاهرة بعد صلاة الجمعة وتوجهوا الى مبنى الحكومة وطالبوا بوقف الهجرة اليهودية وبيع الاراضي ، كما هتفوا بسقوط الاستعمار البريطاني . وقد شارك في هذه المظاهرة وفود من سوريا وشرق الاردن . ولكن قوات الجيش والبوليس تصدت للمتظاهرين بقوات كبيرة وفتحوا عليهم النيران مما دفع المتظاهرين الى الاشتباك مع القوات البريطانية بالأيدي والعصي مما أدى الى قتل وجرح ١٢ من البريطانيين ، وسقوط ٤٣٠ شهيداً واكثر من ٢٠٠ جريح من المتظاهرين العرب بالاضافة الى اعتقال العشرات من المواطنين ، وقد جرح في هذه المظاهرات رئيس اللجنة التنفيذية الشيخ موسى كاظم الحسيني وظل يعاني من جراحه حتى توفاه الله متأثراً بجراحه في ٢٦ مارس عام ١٩٣٤ م .

وانتقلت المظاهرات حسب الخطة الموضوعة ، الى مدينة حيفا حيث هاجم ٢٠٠ متظاهر محطة السكة الحديد واقتحموها . والشيء نفسه حصل في مدينة نابلس حيث اقتحم المتظاهرون وعددهم ثلاثة آلاف متظاهر محطة السكة الحديد وفرع بنك باركليز البريطاني ، كما قام الطلبة باضراب في المدارس .

وعادت المظاهرات الى القدس مرة أخرى ووقعت صدامات في يومي ٢٨ و٢٩ اكتوبر ١٩٣٤ م ، مع القوات البريطانية ، وأطلق الثوار الفلسطينيون النار على مركز بوليس القدس . وقامت مظاهرات في كل من صفد والناصرة وطولكرم ووقعت صدامات دامية مع القوات البريطانية . وفي جنين اضرمت الجماهير النار في مبنى الحكومة واستولت على اسلحة رجال الشرطة ، ونسف المتظاهرون في طولكرم خط السكة الحديد المار بالبلدة . وفي عدة أماكن من المدن الفلسطينية قطعت خطوط التليفون وتوقف السفر بين المراكز الرئيسية في البلاد ، وعزلت القدس عن الاتصال مع العالم الخارجي وأضربت الصحف اليومية .

وقد قام العرب والمسلمون بالاعلان عن تأييدهم لجهاد اخوانهم الفلسطينيين ومطالبتهم بحقوقهم الوطنية ، ومقاومتهم للاستعمار البريطاني والصهيونية . فشاركت وفود من سوريا وشرق الاردن في مظاهرة يافا ، وفي دمشق قامت مظاهرة كبيرة واصطدم المتظاهرون مع قوات الشرطة الفرنسية حيث استشهد وجرح العديد من السوريين . وفي بغداد والموصل في العراق قامت مظاهرات تعلن عن تأييدها للشعب الفلسطيني وتهتف بسقوط الاستعمار البريطاني والصهيونية .

وفي عمان قامت مظاهرات استمرت أربعة ايام هاجم المتظاهرون فيها الجنرال البريطاني « جلوب » باشا قائد

الجيش الاردني ورموه بالحجارة وخطموا سيارته ، كما رجموا بالحجارة المعتمد البريطاني الكابتن كوكس . كما دخل من شرق الأردن الى فلسطين نحو الفي بدوي مسلح لمساندة الثوار الفلسطينيين .

وفي مصر وتونس والحبشة والهند عقدت مؤتمرات اعرب فيها العرب والمسلمون عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني في جهاده ضد الاستعمار والصهيونية .

وبالرغم من قمع المظاهرات بواسطة قوات ضخمة من الجيش البريطاني ، إلا ان الحركة الوطنية استمرت في استعدادها لجولات قادمة . وقد عقد الشباب مؤتمراً لهم عام ١٩٣٤ م وتصدوا فيها للهجرة اليهودية وشكلوا فصائل من الشباب والكشافة لحراسة شواطىء فلسطين لمنع تسلل المهاجرين اليهود اليها .

كما انعقد مؤتمر علماء فلسطين الأول في القدس في يوم الجمعة ٢١ شوال عام ١٣٥٣ هـ الموافق ٢٥ يناير ١٩٣٥ م بدعوة من مفتي فلسطين الأكبز ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى الحاج أمين الحسيني حضره نحو اربعمائة من القضاة ورجال الافتاء وائمة المساجد والوعاظ والمدرسين ورجال الدين من سائر انحاء فلسطين وانتخب الحاج امين الحسيني رئيساً للمؤتمر باجماع الحاضرين .

وقد أصدر المؤتمر فتوى دينية بتحريم بيع أي شبر من اراضي فلسطين لليهود ، واعتبار البائع والوسيط مارقين من الدين خارجين عن زمرة المسلمين لا يحل دفنهم في مقابر المسلمين . كما صدر عن المؤتمر قرارات تطالب حكومة الانتداب البريطاني بوقف الهجرة اليهودية ومع بيع الاراضي لليهود .

وقد أدت هذه القرارات الى انقاذ عشرات الألوف من الدونمات التي كانت معرضة لخطر الاستيلاء من قبل اليهود عليها ، كما قام عدد كبير من أصحاب الاراضي بوقف أراضيهم وقفاً ذرياً على ذرياتهم لا يجوز بيعه .

وقد عقد مؤتمر العلماء بفلسطين الثاني عام ١٩٣٦ م ، واتخذ قرارات مختلفة عن الهجرة والاراضي والمطالبة بالحقوق الفلسطينية .

- ثورة الشيخ عز الدين القسام ١٩٣٥ م :

بدأ الشيخ عز الدين القسام جهاده في شمال فلسطين بتعبئة المسلمين بالمساجد ، وحث الناس في المدن والقرى على الجهاد في سبيل الله . وكانت الأجواء في فلسطين في غاية التوتر بسبب ممارسات حكومة الانتداب البريطاني ضد العرب في فلسطين ومعالاتها للحركة الصهيونية وتطبيق سياسة وعد بلفور والوطن القومي على حساب الشعب الفلسطيني .

وقد زاد في تكهرب الأجواء اكتشاف شحنة كبيرة من الأسلحة والذخائر وردت من بلجيكا في شهر اكتوبر ١٩٣٤ مخبأة في براميل من الاسمنت ونقلت من ميناء يافا الى تل أبيب . وقد أدّى اكتشاف هذه الاسلحة الى اعلان الاضراب العام ، وانتشار القلق والتوتر بين الفلسطينيين . وفي الوقت الذي زادت فيه اعداد العاطلين عن العمل من العمال العرب ، ارتفعت معدلات الهجرة بشكل مخيف سيما بعد ظهور الحركة النازية الالمانية المعادية لليهود التي ادت الى تهجير اعداد كبيرة منهم هرباً من النازية ، وقد ارتفع معدل الهجرة من ٤٠٧٥ مهاجر يهودي دخل البلاد عام ١٩٣١ الى ٦١٨٥٤ يهودياً دخلوا البلاد عام ١٩٣٥ . وبذلك ارتفع عدد اليهود في فلسطين من ١٧٤,٦٠٦ يهودياً

عام ١٩٣١ م الى ٣٥٥,١٥٧ يهودياً عام ١٩٣٥ م . كما قامت بريطانيا منذ عام ١٩٣٠ م وحتى عام ١٩٣٥ بتمليك اليهود اكثر من ٣٣٤ الف دونم من الارض .

كان الشيخ القسام يتابع ممارسات حكومة الانتداب البريطاني ويتابع مقاومة الشعب الفلسطيني الجبارة لهذه الدولة البريطانية العظمى . وقد قرر الشيخ القسام بثاقب فكره وبعد نظره ان يتبع اسلوباً جديداً في محاربة الاستعمار البريطاني والصهيونية .

وقد اعتمد الشيخ القسام على التنظيم السري للشباب على التربية الاسلامية التي تربطهم بالقرآن والسنة وتغرس في نفوسهم حب الجهاد والتضحية ، وتوجههم للاقتداء بأبطال المسلمين ، وتشجعهم لدراسة تاريخ الصحابة والقادة المسلمين امثال خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص ، ومحمد القاسم وعقبة بن نافع وموسى بن نضير ، وطارق بن زياد وصلاح الدين الايوبي .

وقد قضى الشيخ القسام ثلاث سنوات وهو يفكر ويضع المخططات لتنظيمه المسلح ثم ابتدأ نشاطه في شمال فلسطين حيث كان يقيم في حيفا ، وحيث النقمة على حكومة الانتداب والصهيونية على اشدها بسبب الاجراءات التي قامت بها الحكومة لطرد ثلاثة آلاف اسرة وهم سكان ٢٢ قرية في سهل مرج ابن عامر ، و١٥ شخص اخرين طردتهم من اراضي وادي الحوارث ومثلهم من اراضي الحولة وغيرها .

وكان مجال التحرك الجماهيري للشيخ القسام المساجد في المدن والقرى والمدارس والجمعيات والتجمعات العمالية مثل المدرسة الاسلامية في حيفا حيث كان يعمل مدرساً ، وجمعية الشبان المسلمين بحيفا والتي انضم اليها عام ١٩٢٦ م وانتخب رئيساً لفرعها هناك ، ومسجد الاستقلال في حيفا حيث افاد من وجوده كإمام وخطيب للمسجد ، وفي قرى شمال فلسطين حيث كان يتحول فيها بصفته مأذوناً شرعياً ، والتجمعات العمالية ، حيث كان يقابل الفلاحين والعمال المطرودين من اعمالهم من حكومة الانتداب ومن المشروعات اليهودية .

وقد وضع خطة عمل تقوم على خط سياسي واضح يتضمن المبادىء التالية :

١ ـ بريطانيا هي العدو الاول للعرب والمسلمين ، وهي أصل البلاء الذي حل ببلادهم ، وبذلك فإن مهمة المجاهدين الأولى هي محاربة الاستعمار البريطاني في فلسطين .

٢ ـ الحركة الصهيونية هي وليدة الاستعمار البريطاني واداته وبريطانيا هي رأس الصهيونية هي الذنب فإذا قطع الرأس مات الذنب .

٣ ـ الثورة الشعبية المنظمة هي الوسيلة لمنع اقامة دولة يهودية في فلسطين .

٤ ـ تعبئة الشعب روحياً وعسكرياً بواسطة خطباء المساجد والادباء والشعراء .

٥ ـ تدريب اعداد كبيرة من الشعب على استعمال السلاح قبل بدء الثورة .

٦ ـ شراء الأسلحة ، ورعايه ابناء الشهداء ودفع الاعانات للمتضررين من اشتراكات الاعضاء وتبرعاتهم .

وقد حدد الهدف من الثورة بأنه تحرير فلسطين من الاستعمار البريطاني والصهيوني واقامة دولة فلسطينية مستقلة .

كما حدد القسام وسائل احراز النصر التي بدونها لا يمكن تحقيق اهداف الثورة وهي :

١ ـ وحدة اداة الثورة . ٢ ـ اقامة تنظيم ثوري مؤمن ومحكم وقادر على القيام بأعباء الجهاد . ٣ ـ تعبئة وتنظيم جماهير الشعب لامداد الثورة بالامكانيات . ٤ ـ التخطيط العلمي في العمل السياسي والعسكري . ٥ ـ الوضوح الفكري متمثلاً في الخط السياسي الذي مر ذكره . ٦ ـ تهيئة الظروف المناسبة لانطلاق الثورة ونجاحها .

ولتحقيق تلك الأهداف شكل القسام في عام ١٩٣٥ م خمس لجان لتقوم بالمهمات التالية :

١ ـ لجنة الدعوة او الدعاية والاعلام . ٢ ـ لجنة التدريب العسكري . ٣ ـ لجنة التموين . ٤ ـ لجنة الاستخبارات . ٥ ـ لجنة العلاقات الخارجية .

وبالرغم من البداية المبكرة لتنظيم الشيخ القسام إلا انه رفض البدء في الثورة في هبة البراق عام ١٩٢٩ م ، لأن الاعداد للثورة لم يكن كافياً اضافة الى ان الظروف لم تكن مؤاتية .

وفي عام ١٩٣٥ ، رأى الشيخ القسام ان الظروف اصبحت تسمح ببدء الثورة بسبب اتساع التنظيم والحصول على كمية من السلاح قدرت بألف قطعة ، علاوة على تأييد الجماهير لفكرة الكفاح المسلح وقد بدأ رجال القسام يقومون بعملياتهم العسكرية ضد القوات البريطانية في مثلث (جنين ـ نابلس ـ طولكرم) فقاموا باغتيال عدد من الضباط الانجليز واستشرت دوريات القسام المسلحة في الريف الفلسطيني حيث التأييد الكامل للثورة ، وخاصة في قضاء جنين حيث الجبال والغابات التي يستطيع الثوار الاختباء بها عن اعين وانظار القوات والطائرات البريطانية .

وفي ١٢ توفمبر من عام ١٩٣٥ ج غادر الشيخ القسام مدينة حيفا مع ٢٥ رجلاً من انصاره المسلحين متوجهين الى ضواحي جنين لدعوة الفلاحين في تلك المنطقة لحمل السلاح في وجه البريطانيين والصهيونيين ، ولكنهم فوجئوا اثناء عملهم بدورية للبوليس البريطاني فحدث اصطدام عرضي من قبل بعض افراد تنظيم القسام ادى الى تنبيه السلطات البريطانية الى وجود عصابات مسلحة . وسارعت قوات الجيش والبوليس البريطاني الى تطويق المنطقة وعزلها وتضييق الخناق على الثوار .

وبعد قتال طويل ، طلبت قوات الجيش البريطاني من القسام وجماعته الاستسلام فرفضوا ، وأصروا على القتال حتى الاستشهاد في سبيل الله ، ودارت بين الطرفين معركة غير متكافئة بسبب عدم استعداد جميع التنظيم لهذه المفاجأة وبسبب تطويقهم بقوات ضخمة واستمرت المعركة حتى فجر يوم ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ م ، وأسفرت عن استشهاد الشيخ البطل عز الدين القسام ، وعدد من رفاقه وجرح عدد آخر وتمكن البعض من الانسحاب ليكمل الدرب على طريق القسام في الثورة المسلحة .

وقد انتشر خبر استشهاد القسام بسرعة البرق في جميع انحاء فلسطين ، وكان لاستشهاده اعمق الأثر في النفوس ، واصبح رمزاً للتضحية والفداء وتشيع جثمانه في حيفا في مظاهرة وطنية كبرى هتفت بسقوط الانجليز والوطن القومي اليهودي . وكان استشهاد القسام وتنظيمه الذي تركه وراءه من اهم عناصر انطلاق الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ م .

الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ م :

لم تكد تمضي خمسة شهور على ثورة الشيخ عز الدين القسام حتى عادت الأجواء لتنذر بثورة عارمة اكبر من الثورات التي مرت من قبل . وقد كانت هناك اسباب تدفع الشعب الفلسطيني للقيام بهذه الثورة ومن أهم هذه الاسباب :

١ - استمرار تدفق الهجرة بشكل لم تعهده البلاد من قبل ويفوق طاقة استيعابها مما ادى الى مزيد من البطالة بين العمال العرب . ومما زاد الأمر سوءاً ان مجلس العموم البريطاني رفض في مارس ١٩٣٦ م الموافقة على الحد من الهجرة اليهودية وقد بلغ عدد المهاجرين اليهود في هذا العام ٢٩,٧٢٧ يهودياً وارتفع عدد اليهود في فلسطين الى ٣٨٤٠٧٨ يهودياً . وقد ادى ارتفاع معدلات الهجرة بهذا الشكل المخيف الى تخوف اهل فلسطين من ان يصبحوا اقلية في بلادهم اذا استمرت الهجرة بالتدفق بهذا الشكل خاصة بعد وصول الحزب النازي المعادي لليهود الى الحكم في المانيا .

٢ - استمرار سياسة حكومة الانتداب في عملية تسهيل تملك اليهود للأراضي في فلسطين ، وهو أمر رفضه الفلسطينيون ، ومن أجله ثاروا على الإنجليز وعلى الصهاينة الذين تحميهم حكومة الانتداب وتملكهم الأراضي الحكوميّة وغير الحكوميّة .

٣ - تدهور الاوضاع الاقتصادية نتيجة بطالة العمال والفلاحين و بسبب تدهور الصناعة العربية التي كانت تصادف عقبات كثيرة من جراء ما تتخذه الحكومة من اجراءات ضدها في الوقت الذي تقدم كل التسهيلات والحماية الجمركية للصناعات والبضائع اليهودية .

٤ - فشل الشعب الفلسطيني في الحصول على حقوقه الوطنية في حكومة مستقلة ، ومجلس نيابي خاصة بعد الرفض الواضح لمجلس العموم البريطاني لهذه المطالب في مارس ١٩٣٥ م .

وقد استعد الشعب الفلسطيني لمواجهة طويلة مع القوات البريطانية والصهيونية وكان تنظيم الشيخ القسام المسلح يزداد قوة ونشاطاً بين الجماهير لتعبئتهم وحثهم على الثورة التي لم تكن بحاجة إلا الى شرارة لتشتعل في كل مكان من فلسطين .

وقد ابتدأت الثورة باصطدامات بسيطة وقعت في شهر ابريل ١٩٣٦ م بسبب تحرش اليهود بالعرب بتحريض من الانجليز ، أدت الى قيام مظاهرات احتجاج في يافا يوم ١٧ ابريل أدت الى قتل سبعة من اليهود وجرح ثلاثين آخرين ، واستشهد اثنان من العرب وجرح خمسة عشر من رصاص الجيش البريطاني الذي كان يدافع عن اليهود ويقاتل العرب بقسوة بالغة .

وقد أدت هذه الاصطدامات الى قيام مظاهرات في المدن الفلسطينية الأخرى ووقعت مجابهات فيها بين

المتظاهرين والقوات البريطانية التي كانت تستعمل اقسى انواع القمع ضد المتظاهرين .

وفي ٢٠ ابريل تظاهر أهل يافا احتجاجاً على الاعتداءات المسلحة التي يقوم بها اليهود ضد المدنيين من النساء والاطفال ، ولكن القوات البريطانية قامت هذه المرة بقمعه بقسوة ، مما أدى الى اضراب فلسطين كلها اضراباً عاماً احتجاجاً على العدوان اليهودي البريطاني ضد الشعب الفلسطيني ، وقد استمر هذا الاضراب حوالى ستة اشهر ، واعتبر اطول اضراب يقوم به شعب عبر التاريخ

تنظيم الشعب للمقاومة :

بدأ الشعب الفلسطيني ينظم نفسه من خلال لجان قومية في جميع المدن وكثير من القرى الفلسطينية . ففي ٢٠ ابريل تشكلت في مدينة نابلس لجنة قومية قررت اعلان الاضراب في البلاد كلها الى ان تعلن الحكومة البريطانية موافقتها على مطالب الشعب الفلسطيني وتشكلت بعد ذلك اللجان القومية في كل من حيفا ويافا وغزة وبقية المدن وكانت هذه اللجان تقوم بتنظيم الشعب والاشراف على الاضراب والاهتمام بشؤون الشعب كما تشكل الحرس الوطني الذي كانت مهمته حراسة الاضراب والناس في المدن والقرى .

وازاء تطور الاوضاع في البلاد ، تداعت الجماهير والاحزاب الفلسطينية الى تأليف قيادة وطنية موحدة لقيادة الثورة ، ونتيجة للمشاورات والاتصالات بمختلف القوى والأحزاب ، تم تشكيل « اللجنة العربية العليا » في ٢٥ ابريل برئاسة مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني ، واصبحت اللجنة العربية العليا هي قيادة الشعب الفلسطيني التي تمثل جميع قطاعاته واحزابه وقواه الوطنية .

وقد حددت الحركة الوطنية اهدافها في نقاط محددة دعت الجماهير للثورة والتضحية لتحقيقها وهذه الاهداف هي :

١ ـ منع الهجرة اليهودية منعاً باتاً .

٢ ـ منع بيع الاراضي لليهود .

٣ ـ تشكيل حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي .

وفي ٨ مايو ١٩٣٦ م ، انعقد في القدس برئاسة الحاج أمين الحسيني المؤتمر العام للجان القومية الذي قرر اعلان العصيان العام والامتناع عن دفع الضرائب اعتباراً من ١٦ من الشهر نفسه . وقد تكرر عقد المؤتمرات والاجتماعات لتنظيم المقاومة والاستمرار في الاضراب فعقد في ١٠ مايو « مؤتمر الطلبة » في مدينة يافا . وفي اليوم التالي انعقد اجتماع موسع لممثلي اللجان القومية في القرى وكانت قرارات جميع المؤتمرات ، اللجان تؤيد استمرار الاضراب والدعوة الى مقاومة حكومة الانتداب البريطاني حتى تلبي مطالب الشعب الفلسطيني في وقف الهجرة وبيع الاراضي ، واستقلال فلسطين ضمن اطار الوحدة العربية .

وقد قامت « اللجنة العربية العليا » بتشكيل عدة دوائر لتسيير اعمال المقاومة السياسية والادارية ، وارسلت عدة وفود الى الاقطار العربية والاقطار الاسلامية وكذلك ارسلت وفداً الى انجلترا للدفاع عن القضية الفلسطينية

وكسب التأييد العربي والاسلامي والدولي للشعب الفلسطيني في جهاده ضد سياسة حكومة الانتداب البريطاني والصهيونية .

وبالرغم من هذه الأجواء التي تنذر بالانفجار في كافة انحاء فلسطين ، قامت حكومة الانتداب باستهتار وتحد سافر للشعب الفلسطيني بالاعلان عن السماح بادخال ٤٥٠٠ مهاجر يهودي الى فلسطين مما ادى الى القيام بمظاهرات عنيفة احتجاجاً على هذا القرار ، قابلتها القوات البريطانية بالحديد والنار واستعملت ضدها مختلف انواع الاسلحة فاستشهد وجرح عدد كبير من المتظاهرين واعتقلت القوات البريطانية مئات من المواطنين المدنيين المجردين من السلاح .

وعلى اثر هذه الممارسات الوحشية اعلن المجاهدون بقيادة عبد القادر الحسيني الجهاد المقدس ضد بريطانيا ، وبدأت الثورة في كل مكان من فلسطين حيث الاضراب العام ، والعصيان المدني الذي نفذه الشعب تنفيذاً لتعليمات اللجنة العربية العليا منذ ١٦ مايو .

وقد نفذت بعض العمليات العسكرية في ٢١ مايو حيث القيت عدة قنابل على دار الحكومة في نابلس كما القيت قنابل في ١٢ مايو على مركز البوليس في القدس ، وفي ٢٤ مايو ١٩٣٦ م ، انتشرت المجموعات المسلحة في الجبال للقيام بالكفاح المسلح ضد القوات البريطانية التي استخدمت الطائرات في ملاحقتهم ، وقد هاجمت مجموعة من الثوار معسكراً للجيش البريطاني واستولوا على اسلحته التي كان الثوار بأمس الحاجة اليها في معاركهم ضد الاستعمار البريطاني .

وقد تطورت الثورة وانتشرت واتسع نطاقها ، واطلق المجاهدون في ١١ يونيو ١٩٣٦ م النار على المندوب السامي البريطاني وحاولوا اغتيال مفتش الشرطة البريطاني . وخاض المجاهدون معارك طاحنة مع القوات البريطانية التي استعملت كل ما تملك من دبابات وطائرات وأسلحة حديثة ، وقد استطاع المجاهدون ان يقعوا في القوات البريطانية ٢٨ ما بين قتيل وجريح وذلك في شهر يوليو .

وفي ٢٧ يوليو ١٩٣٦ م ، خاض المجاهدون معارك طاحنة بمناسبة مرور مائة يوم على الاضراب ، فهاجموا القوات البريطانية في جميع انحاء البلاد في معارك سميت معارك المائة يوم ، وشارك الشعب الفلسطيني في معاركه هذه عدد من اخوانه المجاهدين حضروا من العراق وسوريا ولبنان وشرق الاردن .

وقد قام المجاهدون بشل حركة المواصلات في البلاد وقطع خطوط التليفون والبرق واخراج القطارات عن الخط ، ومنع حركة السير على الطرق العامة ، ووقعت محاولات عديدة لاتلاف خط انابيب البترول بين حيفا والعراق ، واستطاعوا اغلاق ميناء يافا ، كما قاموا بتفجير انابيب النفط ، وجوبهت هذه الأعمال بالعنف والقسوة من القوات البريطانية .

وازاء تصاعد الثورة وعجز القوات البريطانية والصهيونية عن مواجهتها ، استقدمت بريطانيا اربع فرق عسكرية اخرى لمواجهة المجاهدين الفلسطينيين ، واصبح عدد القوات البريطانية في فلسطين نحو ٧٢ ألف جندي بالاضافة الى ١٥ ألف مقاتل صهيوني من قوات الهاغانا وخمسة آلاف من الشرطة ، كما قامت بتعيين الجنرال ديل قائداً عاماً لقواتها وهو من اكفأ القادة العسكريين الانجليز . وبذلك اصبحت بريطانيا تخوض حرباً شاملة ضد الشعب

الفلسطيني وكأنها في جبهة كبيرة من جبهات الحرب العالمية تقاتل دولة عظمى .

ولجأت القوات البريطانية الى استعمال الاساليب الوحشية ضد المدنيين من الفلاحين والنساء والاطفال . ففرضت حكومة الانتداب الاحكام العرفية واعطت لنفسها حق مراقبة الصحف والمطبوعات وتوقيف واعتقال وابعاد أي شخص يشتبه به ، ومصادرة الأموال وفرض الغرامات الفردية والجماعية واقامة محاكم عسكرية .

وقد قامت حكومة الانتداب بهدم بيوت الثوار بل قامت بهدم منطقة واسعة من مدينة يافا تتكون من ٢٢٠ منزلاً ، كما قامت باتلاف مزروعات القرويين وفرض الغرامات الكبيرة على قرى بأكملها ، وقامت باعتقال المئات من المواطنين المدنيين الذين كانوا يتعرضون لأقسى انواع التعذيب لكي يدلوا باعترافات عن اماكن الثوار .

ولعل مما يلاحظ ، ان السلطات الاسرائيلية تسير على نفس النهج الذي مارسته سلطات الانتداب البريطاني ولكن بصورة اشد واقصى فكانوا شر خلف لشر سلف .

ولما وجدت بريطانيا ان الثورة تزداد قوة واتساعاً لجأت الى الاستعانة بالملوك العرب لاقناع الفلسطينيين بوقف الثورة مقابل التعهد بتنفيذ مطالبهم الوطنية . ونتيجة للاتصالات التي تمت بين بريطانيا والملوك العرب من جهة وبينهم وبين اللجنة العربية من جهة اخرى ، اصدر كل من الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية والملك غازي ملك العراق ، والامير عبدالله أمير شرق الاردن ، بياناً مشتركاً في ٩ اكتوبر ١٩٣٦ م ، دعوا فيه الى حل الاضراب ووقف الثورة « والاعتماد على النيات الطيبة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي اعلنت انها ستحقق العدالة » .

وعقدت اللجنة العربية العليا مؤتمراً عاماً في القدس في ١٠ اكتوبر ١٩٣٦ م ، حضره ممثلو اللجان القومية ، فقرر المؤتمر بعد اطلاعه على نداءات الملوك والامراء العرب قبول نصيحتهم .

وقد أصدرت « اللجنة العربية العليا » في ١٩٣٦/١٠/١١ بياناً الى الشعب الفلسطيني تدعوه فيه الى وقف الاضراب ، والعودة الى الهدوء والتوجه الى المعابد لاقامة الصلاة على ارواح الشهداء .

وبمجرد ان سمع الشعب الفلسطيني نداء قيادته بوقف الاضراب التزم الجميع بتعليمات القيادة التزاماً كاملاً حتى ان الحكومة البريطانية ، اعلنت انه لم تقع اي حادثة تذكر بعد بيان القيادة الفلسطينية بينما لم تستطع هي ان توقف الثورة التي استمرت ١٧٦ يوماً بكل جيوشها الجرارة وجبروتها ، تلك الثورة التي اعتبرها البعض اعجوبة من العجائب نظراً للفارق الواسع بين قوى بريطانيا العظمى والصهيونية العالمية من جهة ، وقوى الشعب الفلسطيني البسيطة من جهة أخرى .

لقد قدم الشعب الفلسطيني خيرة ابنائه من الشهداء في هذه الثورة التي استمرت ما يقرب من ستة أشهر . فقد بلغ عدد الشهداء اكثر من الف شهيد وجريح . واودع السجن عدة آلاف منهم حكموا بأحكام مختلفة بما فيها حكم الاعدام ، وقامت السلطات البريطانية بنسف اكثر من حوالى الف منزل ومحل سكن في المدن والقرى وشرد منها اكثر من ستة آلاف نسمة من سكانها العرب .

وعلى العموم ، فقد شارك في هذه الثورة كل قطاعات الشعب الفلسطيني من رجال الدين والطلبة والمدرسين والاطباء والمهنيين والمهندسين والمحاضرين والصيادلة والباعة والشرطة واوقع الثوار في صفوف الجيش البريطاني اكثر

من ١٥٠ ألف بين قتيل وجريح ، كما قاموا بنسف (٤٨) جسراً وقطعوا الاسلاك الكهربائية والتلفونية (٣٠٠ مرة) وعطلوا القطارات ٢٢ مرة ونسفوا خطوط السكة الحديد (١٣٠ مرة) بالاضافة الى الخسائر المادية الضخمة التي اصابت ممتلكات اليهود والانجليز .

كما شارك العرب والمسلمون اخوانهم الفلسطينيين في جهادهم ضد الاستعمار والصهيونية وكان الاردنيون اول من تحرك لنصرة اخوانهم الفلسطينيين ، فأضربوا معهم عند ابتداء الاضراب وجمعوا الاعانات وعقدوا المؤتمرات وارسلوا المذكرات والاحتجاجات الى وزارة الخارجية البريطانية ، وطالبوا الامير عبدالله امير شرق الاردن التدخل لدى الحكومة البريطانية لاجابة مطالبة الفلسطينيين . كما شارك عدد من الاردنيين في المعارك ضد البريطانيين والصهاينة .

وفي سوريا حيث وقف الشعب موقفاً مشرفاً من ثورة فلسطين تشكلت لجان لجمع التبرعات والاعانات للفلسطينيين ، وقامت الهيئات الرسمية والوطنية بتقديم الاحتجاجات على المظالم التي تمارسها بريطانيا ضد الشعب الفلسطيني ، كما شارك عدد من المجاهدين السوريين في الثورة الفلسطينية .

وكان موقف العراق من ثورة فلسطين موقفاً مجيداً ، اذ قام العراقيون بأقصى ما يستطيعون من نجدة اخوانهم الفلسطينيين مادياً وأدبياً وسياسياً ، وشكلوا لجنة للدفاع عن فلسطين ، وشارك عدد من العراقيين في القتال الى جانب اخوانهم الفلسطينيين .

وقامت المملكة العربية السعودية بتقديم كل عون مستطاع لمساعدة عرب فلسطين ضد الاستعمار البريطاني والصهيونية ، وكذلك مصر التي كانت في صراع متواصل ضد الاستعمار البريطاني . وقد شارك عدد من المجاهدين المصريين اخوانهم الفلسطينيين في جهادهم ضد بريطانيا في فلسطين .

وفي الهند ، قام المسلمون بمظاهرات تأييد لاخوانهم الفلسطينيين ، وعقدوا مؤتمراً في دلهي في ١٦ نوفمبر ١٩٣٦ برئاسة سليمان الندوي اسموه : « مؤتمر فلسطين » وحضره ما يزيد عن ٣٥ ألف شخص واستمر المؤتمر ثلاثة ايام اتخذوا فيه عدة قرارات عنيفة ضد الانجليز وشكروا المسيحيين العرب على وطنيتهم ووحدتهم مع اخوانهم المسلمين في مقاومة الاستعمار والصهيونية ، وناشدوا ملوك المسلمين ان يساعدوا فلسطين في محنتها وشجب الزعيم الهندي نهرو سياسة بريطانيا في فلسطين والتي ترمي الى اضطهاد العرب من اجل ايواء اليهود .

وقام المسلمون في عدد من البلاد الاسلامية بالتعبير عن تأييدهم للمجاهدين الفلسطينيين بالمظاهرات والاحتجاجات وتشكيل اللجان وجمع التبرعات ، وبالرغم من وقوع غالبية الدول الاسلامية تحت سيطرة الدول الاستعمارية التي كانت تحول دون مساعدة الشعوب الاسلامية لاخوانهم عرب فلسطين .

مشروع تقسيم فلسطين ١٩٣٧ م :

في ٧ أغسطس ١٩٣٦ م ، اصدرت الحكومة البريطانية قراراً بتشكيل لجنة خاصة برئاسة ايرل بيل ، للتحقيق في اسباب الثورة الفلسطينية ، ورفع التوصيات اللازمة . وسافرت اللجنة الملكية في ١١ نوفمبر ١٩٣٦ م ، الى فلسطين ، فقابلها الشعب الفلسطيني باستياء بالغ وقررت اللجنة العربية العليا مقاطعة لجنة التحقيق الانجليزية غير انها وافقت اخيراً على مقابلة لجنة التحقيق بضغط من الدول العربية . ففي ١٢ يناير ١٩٣٧ م ، قابل اعضاء اللجنة

العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني لجنة التحقيق ، وقدموا اليها مطالب الشعب الفلسطيني وهي :

١ ـ الغاء الانتداب .
٢ ـ انكار شرعية وعد بلفور الذي يتعارض مع حقهم في تقرير المصير .
٣ ـ اقامة حكم وطني مستقل .
٤ ـ وقف الهجرة وبيع الاراضي وقفاً تاماً وفورياً .

وانتهت اللجنة الملكية من أعمالها وقدمت تقريرها في ٧ يوليو ١٩٣٧ م ، الذي عزت فيه أسباب الثورة إلى رغبة العرب في نيل استقلالهم ، ورفضهم انشاء الوطن القومي اليهودي على ارضهم وازدياد الهجرة اليهودية ، وعدم ثقة العرب بالحكومة الانجليزية .

وأوصت اللجنة بتحديد الهجرة بـ ١٢ ألف مهاجر في الخمس سنوات المقبلة ، كما اكدت اللجنة ان الفلسطينيين قادرين على حكم انفسهم كالسوريين والعراقيين ، كما اشارت اللجنة الى وحدة المسلمين العرب في مواقفهم الوطنية .

ولكن اللجنة الملكية أوصت بحل نهائي لقضية فلسطين بتقسيمها الى ثلاث مناطق هي :

١ ـ منطقة يهودية تقام عليها دولة يهودية .
٢ ـ منطقة القدس وتبقى تحت الانتداب البريطاني .
٣ ـ منطقة عربية تضم الى امارة شرق الاردن .

واعلنت الحكومة البريطانية قبولها لمشروع التقسيم وعزمها على تنفيذه ، ولكن اللجنة العربية العليا وكذلك الدول العربية والاسلامية ، قررت رفض مشروع التقسيم واصدر علماء الدين فتاوى دينية بتكفير كل مسلم يقبل التقسيم . وارسلت اللجنة العربية العليا وفوداً جديدة الى لندن وغيرها من البلدان العربية والاسلامية للدفاع عن حقوق عرب فلسطين ، واخذ الفلسطينيون يعيدون تنظيم صفوفهم للعودة الى الثورة المسلحة .

استئناف الثورة حتى عام ١٩٣٩ م :

منذ صدور توصيات اللجنة الملكية القاضية بتقسيم فلسطين وإعلان الحكومة البريطانية على موافقتها على المشروع واصرارها على تنفيذه ، مارست الحكومة البريطانية اجراءات تعسفية قاسية ضد الشعب الفلسطيني لتحطيم معنوياته ودفعه لقبول مشروع التقسيم ومنعه من العودة إلى الثورة المسلحة ، وحاربت حكومة الانتداب القيادة الفلسطينية التي التف الشعب حولها ، فحاولت إلقاء القبض على المفتي الحاج امين الحسيني في ١٧/٧/١٩٣٧ م إلا انها فشلت فقد تمكن من الهرب الى لبنان سراً ، وقامت الحكومة الانجليزية بحل اللجنة العربية العليا واعتقلت معظم اعضائها ونفتهم الى جزر سيشل وروديسيا وعزلت المفتي من جميع مناصبه . كما قامت الحكومة البريطانية بتعزيز قواتها المسلحة في فلسطين حتى وصلت الى ٤٠ ألف شرطي و١٨ ألف جندي صهيوني ممن دربتهم وسلحتهم ليكونوا نواة جيش الدولة اليهودية التي تعمل بريطانيا على انشائها وقامت بريطانيا كذلك بتعيين الجنرال ويفل قائداً عاماً لتلك القوات وشكلت المحاكم العسكرية التي اعطتها صلاحية الحكم بالاعدام على اي عربي يحمل اي نوع من السلاح حتى ولو كان طلقة فارغة .

ولكن هذه الاجراءات لم تؤثر على الثوار الفلسطينيين الذين لم يلقوا السلاح بل قاموا بعملياتهم العسكرية حتى بعد انهاء الاضراب مباشرة عندما اغتالوا في ٣٠ ابريل ١٩٣٧ م مساعد البوليس في حيفا وقتلوا في ٢٣ اغسطس حاكم لواء جنين وكذلك قتلوا حاكم لواء الجليل في ٢٦ سبتمبر من العام نفسه .

وفي ١٤ اكتوبر ١٩٣٧ م خرج المفتي سراً الى لبنان وقام الثوار بعدة عمليات عنيفة في انحاء متفرقة من فلسطين ضد القوات البريطانية والصهيونية وذلك ايذاناً باستئناف الثورة المسلحة .

وشكل الفلسطينيون قيادة جديدة في دمشق سموها « اللجنة المركزية للجهاد » وذلك في اعقاب حل اللجنة العربية العليا واعتقال وتشريد اعضائها وتقوم اللجنة المركزية للجهاد بقيادة وتوجيه الثورة في فلسطين التي اصبحت تتصاعد أقوى من ذي قبل .

واستطاع الثوار الفلسطينيون فيما بين شهري مايو واكتوبر ١٩٣٨ م ان يحتلوا احتلالاً كاملاً عدداً من المدن الفلسطينية الكبيرة مثل الخليل وبئر السبع وطبريا ونابلس واطلقوا سراح جميع المعتقلين والمسجونين في سجون تلك المدن . كما استطاعوا ان يحرروا قطاعات كبيرة من المناطق الفلسطينية التي لم يعد باستطاعة البريطانيين الوصول اليها . كما قام الثوار بالاستيلاء على اموال الادارة البريطانية المودعة في البنوك ونتيجة لهذا النجاح الساحق للثوار قامت بريطانيا باستبدال المندوب السامي ارثر واكهوب ، بالسير هارولد مكمايكل وكذلك استبدلت قائد القوات البريطانية الجنرال ويفل بالجنرال هايننغ في محاولة من بريطانيا بالقضاء على الثورة ولكن الثورة كانت تزداد قوة بفضل تأييد الجماهير لها والتزام الشعب بنداءاتها حتى ان جميع افراد الشعب قد لبسوا الكوفية والعقال بدلاً من الطربوش عندما اخذت السلطات البريطانية تلاحق الثوار الذين كانوا يلبسون الكوفية والعقال ، مما جعل تلك السلطات تقف عاجزة عن ملاحقة الثوار وإلا استدعي الأمر اعتقال جميع ابناء الشعب .

وامام ضغط الثوار قامت الحكومة البريطانية بزيادة قواتها ثلاثة الاف جندي حتى أصبح مجموع قواتها مع الشرطة والقوات اليهودية ٨١ ألف جندي ولجأت إلى الاعمال التعسفية فقامت باعتقال ٢٠٠٠ عربي في الاسبوع الاول من شهر اكتوبر ١٩٣٨ م ، وحكمت على ١٤٨ بالاعدام بتهمة حيازة السلاح واعدمت الشيخ فرحان السعدي وهو صائم وكان عمره ٩٣ سنة . وفرضت حكومة الانتداب البريطاني غرامات كبيرة على المدن والقرى التي تقع تحت سيطرتها ، واخذت تفرض منع التجول في كل مكان كما قامت بنسف عدد كبير من البيوت بلغ خمسة الاف بيت وقتلت ما يقرب من ثلاثة الاف شهيد وجرحت حوالى سبعة الاف ، ولكن هذه الاجراءات لم تزد الشعب الفلسطيني الا اصراراً على الكفاح ضد بريطانيا والصهيونية وتمكن الثوار في شهر نوفمبر من احتلال مدينة القدس القديمة والسيطرة عليها بعد طرد البوليس والقوات البريطانية منها اثناء وجود وزير المستعمرات البريطاني المستر مالكولم ماكدونالد الذي رأى بنفسه سقوط القدس القديمة بأيدي الثوار الفلسطينيين وقوة الثورة في فلسطين مما جعله يعلن في خطاب له عقب عودته الى لندن : « ان فلسطين اسوأ بلد في العالم وان مركز المندوب السامي والقائد العام أسوأ وأتعب مركزين في الامبراطورية وان قمع الثورة ليس بالسهولة المتصورة » .

ولم يكن الفلسطينيون العرب وحيدين في معركتهم بل شاركهم اخوانهم العرب اذ سرعان ما تدفق مئات المجاهدين لنجدتهم من شرق الاردن وسوريا ولبنان والعراق الذي قام ملكه الشاب الملك غازي بن فيصل بمؤازرة الثورة الفلسطينية حتى بلغ به الأمر ان اقام محطة اذاعة في قصره (قصر الزهور) في بغداد ، كان يذيع منها بيانات

الثورة والمقالات التي تؤيد الثورة الفلسطينية ، مما أدى الى سخط الانجليز عليه والتآمر على حياته . كما قامت السلطات البريطانية بإغلاق الحدود بين فلسطين والدول العربية المجاورة .

وقامت المظاهرات والاضرابات في عدد من بلدان العالمين العربي والاسلامي تأييداً للشعب الفلسطيني وثورته من اجل تحقيق اهدافه الوطنية العادلة .

مؤتمر بلودان :

كما قامت لجنة الدفاع عن فلسطين في سوريا بالدعوة الى عقد مؤتمر عربي عام عقد في ٨ سبتمبر ١٩٣٧ م ، في بلودان قرب دمشق حضره عدد من الوفود الشعبية من سوريا وفلسطين ولبنان وشرق الاردن والعراق ، ومصر والسعودية واتخذ المؤتمر قرارات تؤكد ان فلسطين جزء لا ينفصل عن الوطن العربي ، وترفض قرار التقسيم وانشاء دولة يهودية والاصرار على الغاء الانتداب ووعد بلفور وعلى استقلال فلسطين واقامة حكومة دستورية نيابية والمطالبة بوقف الهجرة وبيع الاراضي .

الغاء مشروع التقسيم لعقد مؤتمر لندن :

وازاء قوة الثورة الفلسطينية وعجز الحكومة البريطانية عن اخمادها ، فقد اعلنت الحكومة البريطانية في ٩ نوفمبر ١٩٣٨ م بأن اقتراح التقسيم بشأن فلسطين غير عملي لذلك فإن بريطانيا ستواصل الاضطلاع بمسؤوليتها في حكم فلسطين بأجمعها . ويعتبر هذا الاعلان انتصاراً للثورة الفلسطينية وهزيمة لبريطانيا العظمى التي لجأت الى وسائل جديدة لتمرير سياستها الاستعمارية التي تقضي باقامة وطن قومي يهودي على الارض العربية الفلسطينية . لذلك لم تلبث ان دعت الحكومة البريطانية الدول العربية وعرب فلسطين والوكالة اليهودية لحضور اجتماع يعقد في لندن وعقد المؤتمر في لندن في ٧ فبراير ١٩٣٩ وفشل في الوصول الى تسوية ترضي الاطراف المختلفة . وعندها اصدر وزير المستعمرات البريطاني المستر / ماكدونالد الكتاب الابيض الثالث لعام ١٩٣٩ م ، والذي يتعهد بمنح الاستقلال لفلسطين بعد عشر سنوات وحظر بيع الاراضي في بعض مناطق فلسطين وتقييده في مناطق اخرى ووقف الهجرة بعد ادخال ٧٥ الف يهودي الى فلسطين خلال خمس سنوات قادمة ورفض الصهيونيون والعرب الكتاب الأبيض ثم عاد العرب فوافقوا عليه اعتقاداً منهم ان بريطانيا ستقوم بتنفيذ وعدها باستقلال فلسطين خاصة وان اجواء الحرب العالمية الثانية قد لاحت في الأفق . فأوقف العرب الثورة في انتظار نتائج الحرب .

الفصل الرابع

القضية الفلسطينية ابان الحرب العالمية الثانية
وفي اعقابها (١٩٣٩ - ١٩٤٨ م)

في اوائل سبتمبر ١٩٣٩ م ، نشبت الحرب العالمية الثانية وكانت بريطانيا احد اطرافها الرئيسية من دول الحلفاء (الولايات المتحدة الامريكية ، فرنسا ، روسيا) ضد دول المحور (المانيا النازية وايطاليا واليابان) . . وتطلع العرب للحصول على حقوقهم الوطنية في نهايتها بينما تطلع الصهاينة الى إقامة دولة يهودية في فلسطين كما قال بن غوريون اول رئيس لحكومة اسرائيل : « اذا كانت الحرب العالمية الأولى قد جاءت بوعد بلفور ، فإن الحرب العالمية الثانية ستأتي بالدولة اليهودية » .

وبدلاً من ان تقدر الحكومة البريطانية للشعب الفلسطيني موقفه هذا بتوقف الثورة ، فتطلق سراح المعتقلين ، وتفرج عن المسجونين ، راحت تعتقل المئات ممن شاركوا بالثورة وساقت المئات إلى السجون وحكمت بالإعدام على ٤٧ مجاهداً وبالسجن المؤبد على ٣٦ آخرين وبالسجن بأحكام مختلفة على مئات اخرى .

وشددت الحكومة البريطانية قبضتها على جميع أنشطة الشعب من جمعيات وأحزاب ونوادي وصحف ومجلات وركزت جهودها على نزع السلاح من المواطنين حتى لا يفكروا بالعودة الى الثورة فطوقت القرى والمدن باعداد ضخمة من القوات البريطانية وفتشت البيوت بيتاً بيتاً وكانت اثناء عملياتها تقوم بضرب النساء والاطفال والشيوخ ونهب الأموال واتلاف المؤن والاثاث واحرقت المزروعات واقتلعت الاشجار وقتلت الماشية ونسفت بعض المنازل وفرضت غرامات مالية كبيرة على السكان وحكمت بالاعدام على من وجدت عنده اي قطعة من السلاح حتى بلغ الأمر بها ان حكمت على ثلاثة شبان في قضاء طولكرم لأنها عثرت على طلقات نارية في حيازتهم ونفذت بهم الحكم .

وقد أدت هذه الاجراءات الى سكون الثورة الفلسطينية والنشاط الفلسطيني حتى عام ١٩٤١ م . ولكن الأمر لم يطل حتى عاد الفلسطينيون عام ١٩٤٢ م إلى نشاطهم بصورة سرية وبدأوا يتحفزون لاستئناف نشاطهم السياسي فوضعوا الحكومة البريطانية امام خيارين اما السماح لهم بنشاطهم الوطني بصورة علنية ورسمية ، واما ان يستمروا في تنظيماتهم السرية التي ستقود الى ثورة قد تمتد الى خارج فلسطين فاختارت الحكومة البريطانية الخيار الأول وهو السماح لهم بالعمل السياسي المعتدل وفي ظل قيادات معتدلة ، إذ لم تسمح للقيادات الوطنية المعروفة المنفية في الخارج من العودة الى فلسطين .

مؤتمر بلتيمور الصهيوني عام ١٩٤٢ م :

في اثناء الحرب العالمية الثانية ، أدركت الصهيونية العالمية أن بريطانيا العظمى اخذت تتراجع في مكانتها الدولية وأن الولايات المتحدة الامريكية هي الدولة الكبرى التي سيكون لها المركز الأول والثقل الكبير في العالم في السنوات القادمة ولذلك خططت الحركة الصهيونية للارتباط بالدولة الأقوى وهي الولايات المتحدة الامريكية سيما وانها سيكون لها التأثير الأقوى على مجريات الأمور في العالم خاصة في منطقة الشرق الأوسط .

وعقد الصهاينة مؤتمرهم في فندق بلتيمور في نيويورك في مايو ١٩٤٢ م ، اعلنوا عن أهدافهم بانشاء جيش يهودي له رايته الخاصة ويعتبر هذا المؤتمر نقطة تحول للصهيونية الى الارتباط بالسياسة الامريكية والعمل ضمن مخططاتها ، ولذلك تنافس الحزبان الامريكيان الرئيسيان (الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري) على تأييد الصهيونية ووضع كل من الحزبين موضوع تنفيذ المخططات الصهيونية ضمن برنامجه الانتخابي كمنهج ثابت للسياسة الامريكية واصبح الزعماء الامريكيون يؤيدون الحركة الصهيونية بصورة مستمرة ويسعون لاقامة الدولة اليهودية في فلسطين لتكون اداة من ادوات السياسة الامريكية الاستعمارية ضد العالمين العربي والاسلامي .

وقد وجه روزفلت رسائل عديدة الى الزعماء الامريكيين اليهود في مجلس النواب والشيوخ الامريكيين ووعد بانشاء دولة يهودية في فلسطين نظير اعادة انتخابه رئيساً للجمهورية غير أن الملك عبد العزيز آل سعود عندما التقى به في مطلع عام ١٩٤٥ م ، في قناة السويس طلب اليه ان لا يصدر اي قرار يضر بالفلسطينيين فأكد الرئيس الامريكي للعاهل السعودي ذلك .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه الى قيام الادارة الامريكية بتوجيه اجهزة الاعلام المختلفة بدعاية واسعة لمشروع انشاء دولة يهودية في فلسطين وانعكس التأييد الامريكي على موقف الصهاينة اليهود في فلسطين بأن تحولوا ضد الحكومة البريطانية فقامت العصابات الصهيونية بعمليات ارهابية ضد الانجليز في فلسطين وذلك من اجل اجبار الانجليز على الغاء الكتاب الابيض وانشاء الدولة اليهودية .

واتخذ الارهاب الصهيوني ضد الانجليز أشكالاً متعددة من خطف وقتل وتعذيب وحرق لبعض الضباط والجنود الانجليز ، كما قاموا بالاستيلاء على مخازن أسلحة الجيش البريطاني ومستودعاته وسلبوا اموال الحكومة ، ونسفوا سكك الحديد والجسور وطرق المواصلات وكان من افظع عملياتهم نسف فندق الملك داود في القدس والذي قتل فيه عشرات الجنود والضباط والموظفين الانجليز . ولم تتخذ بريطانيا موقفاً معادياً لليهود كما اتخذت من العرب بل قابلت هذا الموقف بكثير من اللامبالاة وقليل من العقوبات وهذا الموقف نابع من تأييدهم للصهيونية بالدرجة الأولى ومجاملة الولايات المتحدة الامريكية من جهة اخرى لحاجتها الى مساعداتها المالية .

وازداد التدخل الامريكي بصورة مباشرة ، عندما تولى السلطة الرئيس الامريكي هاري ترومان بعد وفاة روزفلت ، فقد طلب ترومان رسمياً من الحكومة البريطانية السماح لمئة الف يهودي بالهجرة الى فلسطين . ومن سخرية الأقدار ان ترومان يطلب هذا الطلب بهجرة مئة الف يهودي الى فلسطين بينما يرفض السماح لأربعة آلاف يهودي بالهجرة الى امريكا في اعقاب الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٦ م .

وازاء هذا الطلب اتفقت الحكومتان الانجليزية والامريكية على تشكيل لجنة تحقيق مشتركة لدراسة الاوضاع

السياسية والاقتصادية في فلسطين ودرس حالة اليهود في البلدان الاوروبية واصدرت اللجنة توصياتها بالسماح بهجرة مئة الف يهودي الى فلسطين ، وقد حظي هذا القرار باعجاب ترومان بينما لاقى المعارضة والاستنكار والشجب والاحتجاج من جانب العرب والمسلمين . وقامت مظاهرات في العالم الاسلامي استنكاراً لهذا القرار ونتيجة لهذا القرار عقد ملوك ورؤساء الدول العربية مؤتمراً لهم في انشاص في مصر في ٢٧ ، ٢٨ مايو ١٩٤٦ م اكدوا فيه على عروبة واستقلال فلسطين . كما عقد مجلس جامعة الدول العربية دورة استثنائية في بلودان في سوريا في ٨ يونيو ١٩٤٦ م . ووجهت الجامعة مذكرات الى كل من بريطانيا وامريكا تستنكر هذا القرار وتشكلت الهيئة العربية الفلسطينية .

كما طالبت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالاتصال بالحكومة البريطانية طالبة منها اجراء مفاوضات معها بشأن فلسطين فرحبت الحكومة البريطانية بذلك ووجهت الدعوة لدول الجامعة العربية الى مؤتمر يعقد في لندن في نوفمبر ١٩٤٦ م ، كما وجهت الحكومة البريطانية دعوة مماثلة الى الوكالة اليهودية لمفاوضاتها في مؤتمر بريطاني مستقل ، وعرضت الدول العربية على الحكومة البريطانية اشراك الهيئة العربية العليا لفلسطين ممثلة عن الفلسطينيين فرفضت وهذا هو موقف الدول الكبرى وخاصة امريكا من اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيل الفلسطينيين في أي تسوية للقضية ولاسيما المؤتمر الدولي .

وعقدت عدة اجتماعات وتقدم العرب بمشروع عربي ورفضته الحكومة البريطانية لأنه يدعو لاستقلال فلسطين التام وقدمت مشروعاً آخر بديلاً ولكن عرب فلسطين والوفود العربية رفضت هذا المشروع وتمسكت بالمشروع العربي . وانتهى مؤتمر لندن الذي عقد مرة ثانية في فبراير ١٩٤٧ م ، بفشل ذريع ونتيجة لذلك رفعت بريطانيا قضية فلسطين برمتها الى هيئة الامم المتحدة .

القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة :

قررت الحكومة البريطانية بعد فشل مؤتمر لندن ان ترفع القضية الفلسطينية الى الامم المتحدة لأسباب عديدة منها :

١ - انها (أي بريطانيا) قد نفذت التزاماتها نحو الصهيونية ووضعت فلسطين في ظروف تسمح باقامة الوطن اليهودي حسب وعد بلفور ، فأصبح عدد اليهود حوالى ستمائة الف بينما كانوا عند دخول بريطانيا الى فلسطين لا يتجاوز الخمسين الف . كما وأصبح لهم جيش يزيد عدده عن ستين الف مقاتل مدرب ومسلح ومجهز بأحدث التجهيزات واصبح لليهود « وكالة يهودية » هي بمثابة حكومة قادرة على تسيير يهود البلاد اضافة الى امتلاك اليهود ٦٪ من مجموع مساحة فلسطين يمكنهم ان يقيموا عليها دولة تكون نقطة انطلاق للاستيلاء على مزيد من الاراضي بالقوة .

٢ - **إن** بريطانيا ارادت أن تتحمل هيئة الأمم المتحدة مسؤولية اقامة دولة يهودية في فلسطين وان لا تتحمل هذه الجريمة الانسانية النكراء بمفردها .

٣ - **إن** كثرة الضغوط الامريكية على بريطانيا لادخال مئة الف من المهاجرين اليهود وعدم قدرة البلاد على الاستيعاب

وعدم قدرتها على مواجهة ثورة فلسطينية جديدة جعلها تتخلص من هذه الضغوط بتحويل القضية الى هيئة الأمم المتحدة .

٤ ـ ان بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية تعرف أن تركيبة هيئة الامم المتحدة تسمح لها بالضغط على الدول الاعضاء لاصدار قرار في صالح الصهيونية .

وجهت الحكومة البريطانية دعوة إلى الجمعية العامة للامم المتحدة لعقد دورة خاصة من أجل مناقشة الوضع في فلسطين . وقد عقدت الدورة في ٢٨ ابريل ١٩٤٧ م ، وحضرتها الوكالة اليهودية ممثلة اليهود و« الهيئة العربية العليا » ممثلة للشعب الفلسطيني ، وكان موضوع النقاش مستقبل الحكم في فلسطين . وطلبت الدول العربية اضافة البند التالي الى جدول الأعمال « انهاء الانتداب على فلسطين واعلان استقلالها » ولكن هذا الطلب رفض .

وقد عينت الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ١٥ مايو ١٩٤٧ م ، لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين « لدراسة مشكلة فلسطين وتقديم المقترحات التي تراها مناسبة لحلها » . وقد تشكلت اللجنة من دول محايدة يمثلون كندا واستراليا والسويد وهولندا واورغواي وغواتيمالا والهند ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وايران .

وقررت الهيئة العربية العليا مقاطعة اللجنة الخاصة بالأمم المتحدة لأن مهمتها لا تتضمن بحث استقلال فلسطين ، ولا تشكيل اللجنة لم يكن يشير الى امكانية صدور توصية لمصلحة العرب . كذلك ما ان وصلت اللجنة الى القدس في ١٧ يونيو ١٩٤٧ م ، حتى اضربت البلاد احتجاجاً على مهمتها . ولكن الدول العربية لم تقاطع اللجنة وقدمت لها مذكرة جماعية باسم ممثلي الحكومات العربية اعربوا فيها عن استنكارهم للجان التحقيق التي ارسلت لدراسة القضية الفلسطينية واوردوا الحجج التي تؤكد حق الشعب الفلسطيني في ارضه ، وفندوا مزاعم الصهيونية وطالبوا بقيام حكومة مستقلة فيها العرب واليهود بالحقوق والواجبات الدستورية .

وبعد ان انتهت اللجنة من تحقيقاتها رفعت تقريرها الى الامم المتحدة في ١٩٤٧/٨/٣١ م ، وبتضمن توصيات من اهمها : انهاء الانتداب واعلان استقلال فلسطين بعد فترة انتقالية تتولى ادارة البلاد فيها الأمم المتحدة والمحافظة على الاماكن المقدسة وحل مشكلة اليهود في اوروبا . وقدمت اللجنة مشروعين لحل القضية الفلسطينية هما :

١ ـ مشروع تقسيم فلسطين الى دولتين واحدة عربية وأخرى يهودية مع وحدة اقتصادية وعرف بمشروع الأكثرية .

٢ ـ مشروع الدولة الاتحادية (الفيدرالية) وعرف بمشروع الاقلية وهو يدعو الى اقامة دولتين : دولة عربية واخرى يهودية يجمع بينهما اتحاد فيدرالي .

ولما كان مشروع الأكثرية الذي يقضي بتقسيم فلسطين يحقق اهداف الصهيونية ويتوافق مع السياسة الامريكية ، لذلك فقد قامت الولايات المتحدة الامريكية والحركة الصهيونية بضغوط كبيرة على عدد من الدول الأعضاء لقبول هذا المشروع ، وعلى الرغم من المعارضة العربية فإن الجمعية العامة للأمم المتحدة اتخذت قراراً في ١٩٤٧/١٢/٢٩ م ، يقضي بتقسيم فلسطين وذلك بموافقة ٣٣ صوتاً ضد ١٣ صوتاً وامتناع ١٠ عن التصويت .

ومن المعروف عامة أن أصوات الأمم المتحدة تأييداً لقرار التقسيم قد تم الحصول عليها بالضغط الامريكي والصهيوني وسياسة القوة . فقبل التصويت ببضعة ايام ، بدا أن مشروع التقسيم قد لا يظفر بأغلبية الثلثين المطلوبة لأصوات المقترعين ، ولكن التأجيلات المتعددة اتاحت للصهيونيين وللولايات المتحدة الأمريكية فرصة الضغط على

الصين واثيوبيا واليونان وهايتي وليبيريا والفلبين وكانت جميعها تعتزم رفض مشروع التقسيم ، فرضخت هذه الدول للضغوط ما عدا اليونان والتي قاومت الضغط .

وقد انتقد كثير من الساسة الامريكيين سياسة الضغط التي مارستها الولايات المتحدة الامريكية لانجاح مشروع التقسيم في فلسطين واعتبروا ذلك الاسلوب من أسوأ الصفحات في تاريخ السياسة الامريكية .

ولدى القاء نظرة سريعة على الواقع الجغرافي والسكاني في فلسطين يتضح لنا بشكل واضح مدى المهزلة التي قامت بها الدول بالموافقة على مشروع التقسيم . فبالاضافة الى ان مبدأ منح الوافدين اليهود حق اقامة دولة لهم على اراضي العرب السكان الاصليين ، هناك موضوع عدد السكان اليهود وما يملكونه من اراضي لا تسمح لهم باقامة دولة ولا بحقوق سيادة على الارض .

فمن حيث عدد السكان اليهود عام ١٩٤٧ م ، فقد كانوا اقل من ثلث عدد سكان فلسطين وكان عشر هؤلاء جزءاً من السكان الأصليين المنتمين الى البلاد والباقين وافدين غرباء . ولم يناصر يهود فلسطين الأصليين التقسيم كما لم يؤيدوا اقامة دولة يهودية وكان الصهاينة يكرهونهم ويتهكمون عليهم .

ويلاحظ ايضاً ان الدولة اليهودية المقترحة ستضم سكاناً مجموعهم حوالى مليون نسمة (١,٠٠٨,٨٠٠) نسمة منهم (٥٠٩,٧٨٠) يهودياً و(٤٤٩,٠٢٠) عربياً أي ان عدد العرب يساوي عدد اليهود تقريباً ومن المضحك ان منطقة بئر السبع جنوب فلسطين اوصت اللجنة بضمها الى الدولة اليهودية وكانت تضم حوالى الف يهودي فقط بينما كان يسكنها (١٠٣,٨٢٠) عربياً ، أي ان نسبة اليهود فيها اقل من ١٪ من عدد السكان ، وهذا يبين الى أي مدى كان تحيز اللجنة وظلمها .

ولم يكن اليهود يملكون في فلسطين من الاراضي حتى ٣٠ يونيو ١٩٤٧ م ، سوى (١,٨٠٢,٣٨٦) دونماً بما فيها ٢٠٠ ألف دونم كانت حكومة الانتداب قد اجرتها لليهود ، أي ان اليهود لم يكونوا يملكون إلا حوالى (٦٪) من أراضي فلسطين .

وهكذا اقتضت عدالة الدولة الاستعمارية أن يمنح لليهود الذين يشكلون حوالى ١/٣ السكان ولا يملكون إلا حوالى ٦٪ من الارض ، أن يمنح اليهود في الدولة اليهودية المقترحة بمشروع التقسيم ١٤,٥٠٠ كيلو متر مربع أي ٥٧٪ من مساحة ارض فلسطين اي عشرة اضعاف المساحة التي يمتلكونها مقابل ١١ الف كيلو متر مربع اي ٤٣٪ من الاراضي الفلسطينية للعرب الذين يشكلون ٢/٣ عدد السكان ومعظم تلك الأراضي جبلية وصحراوية .

المقاومة الفلسطينية لقرار التقسيم :

لقد صمد الفلسطينيون في وجه بريطانيا العظمى والصهيونية العالمية لمدة ثلاثين عاماً منذ دخول بريطانيا فلسطين واصدارها وعد بلفور ، وظلوا يحاربون تلك الدول الكبرى بكل ما لديهم من امكانيات ولم يتركوا وسيلة الا استخدموها للدفاع عن وطنهم وأراضيهم ومقدساتهم ، فكان جهادهم مضرب المثل لكل الشعوب المكافحة من اجل حريتها واستقلالها .

وبفضل جهادهم الطويل وإيمانهم ، حفظ الفلسطينيون وحدة وطنهم وحالوا دون تقسيمه ومنعوا تهويده ، حتى

تمكنت الدول الكبرى مجتمعة على تجريده من سلاحه وإصدار القرارات الدولية لسلبه حقه في وحدة وطنه واستقلاله .

وقد اعترف الاصدقاء والأعداء ببطولة الشعب الفلسطيني بمن فيهم حاييم وايزمن الزعيم الصهيوني الذي ذكر في مذكراته « ان مقاومة الفلسطيني العنيفة ومواقف السيد امين الحسيني هي التي أخرت تنفيذ البرنامج اليهودي في فلسطين الى عام ١٩٤٨ م ، بينما كان مقرراً له ان يتحقق في عام ١٩٣٤ م ، على الأكثر .

لقد عارض الشعب الفلسطيني قرار التقسيم وشاركه في ذلك الشعب العربي والحكومات العربية والاسلامية لأن ذلك القرار يخالف ميثاق الأمم المتحدة كما يخالف حقوق الانسان وحق تقرير المصير ، ولقد اجتاحت فلسطين المظاهرات الصاخبة التي نددت بمشروع التقسيم وأدانت القوى التي وافقت على المشروع .

وقد قام الشعب الفلسطيني بالاعداد لمحاربة مشروع التقسيم بعدة وسائل منها :

اولاً : جباية المال : انشأ الفلسطينيون مؤسسة مالية تابعة للهيئة العربية العليا سميت بيت المال العربي ، لإيجاد موارد للحركة الوطنية تجبى عن كل فلسطيني بصورة دائمة للمساهمة في الثورة ومتطلباتها ساعة تجهيز السلاح والذخيرة والمؤن والاسعافات والاحتياجات الاخرى للثوار . ولقد كان اقبال الشعب عظيماً على التبرع بأموالهم خاصة العمال والفلاحين والنساء اللائي كن يتبرعن بحليهن ، بالرغم من اوضاعهم الاقتصادية السيئة بسبب تحمل الشعب مشاق الجهاد وتكاليفه لمدة ثلاثين عاماً .

ثانياً : الاتصالات والعلاقات : قام الفلسطينيون بتكليف لجان للاتصال بالعالمين العربي والاسلامي لشرح القضية الفلسطينية وطلب المعونات للثورة . وقد قامت الوفود باتصالاتها مع الشعوب العربية والاسلامية في مختلف اقطارها وبالمهاجرين الفلسطينيين والعرب في امريكا وغيرها وساهم الجميع مساهمات مالية لدعم حركة الجهاد الفلسطيني .

ثالثاً : التسليح والاعداد للمعركة : قام القائد المجاهد عبد القادر الحسيني اثر عودته إلى القاهرة من سجون بريطانيا في العراق منذ مطلع عام ١٩٤٦ م ، بشراء السلاح هو واخوانه المجاهدين الذين حضر بعضهم من فلسطين خصيصاً لمساهمته في شراء السلاح وتهريبه سراً الى فلسطين بالتعاون مع عدد من الضباط الاحرار والشبان المؤمنين المصريين وازدادت عملية التسليح اثر وصول المفتي الحاج امين الحسيني الى القاهرة في صيف عام ١٩٤٦ م ، وقيامه على رأس الهيئة العربية العليا في جمع السلاح والذخائر وتنظيم المجاهدين واعداد الشباب الفلسطيني للدفاع عن وطنهم فلسطين .

وبالرغم من ملاحقة السلطات البريطانية لكل من يشتبه به أنه يعمل في هذا الميدان إلا أنهم استطاعوا ان يحصلوا على كمية من السلاح من الصحراء المصرية والليبية من مخلفات الحرب العالمية الثانية . وكان في معظمه رديئاً بسبب دفنه في الرمال مما كان يستدعي اعادة اصلاحه وصيانته في اماكن خاصة اقيمت سراً . وكذلك استطاع المجاهدون الفلسطينيون ان يقيموا مصنعاً لتعبئة الذخائر في دمشق ومستودعات ومصانع للصيانة في صيدا وبيروت ودمشق والعريش وفي داخل فلسطين .

رابعاً : التشكيلات العسكرية : قامت القيادة الفلسطينية بتنظيم واعداد المجاهدين داخل فلسطين وخارجها وتعاونت الهيئة العربية العليا مع اللجان القومية والمنظمات الفلسطينية في فلسطين على اعداد المجاهدين الفلسطينيين

وتدريبهم وتنظيم تشكيلاتهم ووحداتهم ووسائل تموينهم وتعيين اهدافهم وخططهم العسكرية وشكلت قوة « الجهاد المقدس » بقيادة القائد عبد القادر الحسيني ، وكان رجال الجهاد المقدس من الثوار الذين خاضوا أشرف المعارك ضد القوات البريطانية في ثوراتهم المتلاحقة . كما تشكلت قوة « جيش الانقاذ » من المجاهدين العرب الذين سبق لهم ان شاركوا اخوانهم الفلسطينيين في جهادهم ضد بريطانيا والصهيونية . وكان هناك داخل فلسطين « اللجان القومية الفلسطينية التي كانت تشرف على تدريب وتسليح الشباب واعداده للجهاد .

ولقد استطاعت هذه التشكيلات الثلاث ان تقوم بعبء المقاومة ضد القوات البريطانية وضد الجيش اليهودي المدرب والمسلح بأحدث الأسلحة ، منذ صدور قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ م ، حتى انسحاب قوات الانتداب البريطاني في ١٥ مايو ١٩٤٨ م .

وعلى اثر صدور قرار التقسيم قامت المظاهرات والاضرابات في العديد من المدن العربية والاسلامية وصدرت بيانات من الدول العربية شديدة اللهجة ترفض التقسيم وتدعو الى مقاومته . وكان الفلسطينيون اكثر الناس اظهاراً للنقمة واستعداداً للتضحية من أجل وطنهم ومقدساتهم . فأضربت فلسطين اضراباً شاملاً وقامت المظاهرات في مدنها وقراها واصطدم المتظاهرون بقوات الجيش والبوليس البريطاني واطلقت عليهم النار . وسقط منهم العديد من الشهداء والجرحى .

واغتنمت قوات « الهاغاناه » اليهودية الفرصة فقامت بمظاهرات ابتهاجاً بصدور قرار التقسيم ، واعتدى اليهود في هذه المظاهرات على الأسر العربية في الأحياء المشتركة ، ووقعت صدامات دامية بين العرب واليهود ، وشارك اليهود في فرحتهم الانجليز والامريكيون واعلن الرئيس الامريكي ترومان الذي اعلن انه على استعداد لبذل كل ما يستطيع من عون لانشاء الدولة اليهودية وسادت الدول العربية موجة من الحماسة والفرحة والتأييد لمشروع التقسيم وكأن الحروب الصليبية قد بدأت من جديد ضد العالم الاسلامي .

وعلى اثر تطور الاوضاع في فلسطين بسبب صدور قرار التقسيم قام القائد عبد القادر الحسيني والقائد الشيخ حسن سلامة وآخرون من كبار المجاهدين في سوريا ولبنان بالدخول سراً الى فلسطين حيث بدأوا ينظمون المجاهدين ، واتخذوا الاجراءات الضرورية للبدء في العمل وقسموا فلسطين الى مناطق عسكرية لكل منطقة قائدها .

وبالرغم من قلة ورداءة أسلحة المجاهدين الفلسطينيين وبالرغم من تسليح الجيش اليهودي بأحدث الأسلحة والاعتدة التي زودته بها بريطانيا وغيرها من الدول الاستعمارية إلا ان المجاهدين الفلسطينيين استطاعوا ان يحافظوا على بلادهم ويمنعوا تقسيمها طيلة خمسة شهور كاملة قبل دخول الجيوش العربية لنجدتهم .

وقد كان عدد المجاهدين الفلسطينيين الذين يحملون السلاح لا يتجاوز الخمسة الاف مقاتل مقابل ٨٠ ألف مقاتل يهودي مسلحين بأحدث الأسلحة ويعملون بحماية قوات الانتداب البريطاني التي لم تنسحب إلا في ١٥ مايو ١٩٤٨ م ، ومع ضآلة وقلة عدد المجاهدين وامكانياتهم إلا انهم استطاعوا ان ينزلوا بالجيش اليهودي الصهيوني ضربات قاصمة وقاتلت اليهود من شارع الى شارع حتى سيطرت على كثير من المواقع الاستراتيجية ، كما قامت بنسف شارعين رئيسيين في قلب الأحياء اليهودية في القدس كرد على اعمال الارهاب اليهودية ضد المدنيين العرب . واستطاع المجاهدون الفلسطينيون ان يقوموا بعملية تعتبر من اروع العمليات العسكرية عندما تمكنوا من نسف الوكالة

اليهودية التي كانت تحاط بكل وسائل الحماية . كما قامت قوات المجاهدين بالسيطرة على طريق القدس - تل ابيب وبذلك قطعت الامدادات عن مئة الف يهودي من سكان القدس الجديدة وكانوا يطوقون في الوقت نفسه القدس القديمة التي استسلمت وخرج اليهود من اماكنهم مستسلمين .

وفي هذه الأثناء بدأ المجاهدون الفلسطينيون يحتاجون الى الذخائر والسلاح فتوجهوا الى دول الجامعة العربية يطلبون منها ما قررته لهم من سلاح وذخائر في اجتماعاتها التي قررت فيها ضرورة اعتماد الفلسطينيين على انفسهم وتقوم الدول العربية بتسليحهم ومساندتهم للقيام بواجب الدفاع عن فلسطين ، وان تقدم لهم الخبراء العسكريين ، وان لا تتدخل الجيوش العربية النظامية .

وكانت اللجنتان العسكرية والسياسية التابعتان لجامعة الدول العربية قد قررتا تخصيص خمسة آلاف قطعة سلاح ومليون جنيه لدعم المجاهدين الفلسطينيين ولكن الضغوط الاستعمارية حالت دون تنفيذ تلك القرارات .

وفي اثناء معركة القسطل وهي أهم المعارك التي خاضها المجاهدون الفلسطينيون في القدس ، توجه قائد المعركة عبد القادر الحسيني الى مصر لطلب السلاح والذخيرة من اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية ، ولكن لم يتمكن من الحصول على أي امداد بالرغم من تدخل أمين عام الجامعة العربية فعاد الى القسطل حيث ظل يقاتل مع المجاهدين بما تبقى لديهم من ذخائر حيث استشهد واحتل اليهود القسطل بعد ان استعملوا الطائرات والمدفعية الثقيلة التي لم يكن يملك العرب منها شيئاً .

ونتيجة للمقاومة العربية الفلسطينية الشديدة ، لجأ اليهود الى ارتكاب المجازر لارهاب الناس واجبارهم على ترك مدنهم وقراهم فارتكب اليهود مذبحة دير ياسين بقيادة مناحيم بيغن ، الذي قال عن المذبحة انها هي السبب في قيام دولة اسرائيل . وقد كانت المذابح ضد المدنيين العزل من السلاح هي اسلوب الصهاينة المفضل في الانتقام من الفلسطينيين فاستمرت اسرائيل في ارتكاب المذابح بدءاً من دير ياسين ومروراً بمذابح كفر قاسم والدوايمة وانتهاء بمجزرة مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت عام ١٩٨٢ م .

وقد ترتب على هذه المذابح طرد الفلسطينيين من مدنهم وقراهم الذين لم يكونوا قادرين على الدفاع عنها بسبب قلة السلاح والذخائر ولأن الجيوش العربية قد تسلمت امر الدفاع عنهم وعن وطنهم ولكنها مع الأسف لم تستطع ان تقوم بمهمتها لأسباب سبق ذكرها .

الفصل الخامس

جهاد شعب فلسطين بعد قيام الكيان الاسرائيلي
(١٩٤٨ - ١٩٨٢ م)

منظمة التحرير الفلسطينية :

حاول الفلسطينيون بكل الوسائل الممكنة منذ قيام الكيان الاسرائيلي ، أن يقوموا بواجبهم لتحرير وطنهم المغتصب ، ولكنهم كانوا يصطدمون دائماً بأوضاع اجتماعية واقتصادية وسياسية تحول دون ذلك ، ولقد وجد الفلسطينيون في الأحزاب والجماعات السياسية والوطنية في الدول التي يقيمون فيها متنفساً لهم للعمل الوطني لعلهم من خلال برامج تلك الأحزاب يستطيعون تحقيق اهدافهم الوطنية في تحرير فلسطين ، سيما وان تلك الأحزاب كانت تتخذ من القضية الفلسطينية هدفها الأول في برنامجها السياسي .

وفي نهاية الخمسينات بدأت الفئة المثقفة الفلسطينية تتحدث علناً عن ضرورة بعث الكيان الفلسطيني وتشكيل القيادة الفلسطينية التي تركزت ضمن اطار الجامعة العربية ، ولم يعد لفلسطين اي صفة مميزة لكيان وقيادة لا ضمن الجامعة العربية ولا ضمن النشاط الرسمي العربي في المحافل الدولية .

وقد ظهر بين صفوف الفلسطينيين تنظيمات سرية تنادي بضرورة بعث الكيان الفلسطيني وتشكيل حركة فلسطينية ثورية لممارسة الكفاح المسلح ضد الاحتلال الصهيوني . وبدأت تظهر مجلات ونشرات تنادي باستقلالية العمل الوطني الفلسطيني وتدعو الشباب الى العمل لتحرير فلسطين بعيداً عن الوصاية الرسمية للدول العربية .

وعندما بدأت تتضح هذه الدعوات التي ظهرت في اماكن تجمعات الفلسطينيين المنتشرة في العالم اخذت الدول العربية تفكر جدياً في وضع اطار رسمي يوجه النشاط الفلسطيني .

وهكذا كان يتجاذب النضال الفلسطيني في مطلع الستينات تياران مميزان : الأول : التيار الفلسطيني الشعبي وكان ابرز من كان يمثله حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، وهي حركة وطنية كانت تصدر مجلة « فلسطيننا » عام ١٩٥٩ م ، وتنشر الفكر الوطني الثوري الذي يدعو الى بعث الكيان الفلسطيني والقيام بالكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير فلسطين . كما كانت تدعو الى استقلالية العمل الفلسطيني بعيداً عن الارتباط بالحكومات العربية او الاحزاب العربية وان كانت لا تمانع بالتعاون معها لتصعيد الكفاح المسلح . والثاني : التيار الرسمي الذي تمثله بعض الحكومات العربية التي كانت تدعو الى بعث الكيان الفلسطيني وتنظيم الفلسطينيين ضمن اطار الدول العربية كما فعل

ذلك الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٩ ، اذ أسس بعض القوات العسكرية الفلسطينية تحت اشراف الهيئة العربية العليا ، كما قامت مصر بتشكيل « مجلس تشريعي » ومجلس تنفيذي في قطاع غزة عام ١٩٥٨ م ، وظل هذا الامر يعتمد على اجتهاد كل دولة عربية الى ان استطاعت تلك الدول في فبراير ١٩٦٠ م ان تصدر من خلال مجلس الجامعة العربية قراراً يقضي باعادة تنظيم الشعب العربي الفلسطيني وابراز كيانه شعباً موحداً لا مجرد لاجئين .

ولكن الخطوة الأكثر جدية عقب وفاة المرحوم احمد حلمي عبد القادر رئيس حكومة عموم فلسطين وتعيين المرحوم الاستاذ احمد الشقيري عام ١٩٦٣ م مندوباً لفلسطين في الجامعة العربية ثم تكليفه عام ١٩٦٤ م من قبل مؤتمر القمة العربي ليقوم باتصالاته مع الدول العربية لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره .

واستطاع احمد الشقيري ان يضع توصية مؤتمر القمة موضع التنفيذ فقام باتصالاته مع حكومات الدول العربية وعقد اجتماعات مع التجمعات الفلسطينية في كل مكان وتوّجت هذه التحركات بعقد مؤتمر عام انبثقت عنه منظمة التحرير الفلسطينية .

قيام منظمة التحرير ١٩٦٤ م :

في ٢٨ مايو ١٩٦٤ م ، اجتمع في القدس مؤتمر عام ضم ممثلين عن الفلسطينيين في مختلف تجمعاتهم ضم عدداً من وجهاء الفلسطينيين ونخبة من مثقفيهم ، كما ضم رؤساء واعضاء البلديات والغرف التجارية والصناعية وقد انتخب في هذا المؤتمر احمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وشكل المؤتمر مجلس للصندوق القومي الفلسطيني واختار رئيساً له ، ووضع المؤتمر ميثاقاً قومياً فلسطينياً ونظاماً أساسياً للمنظمة ، واعتبر ذلك المؤتمر والمجلس الوطني الفلسطيني الأول الذي تقرر ان يجتمع دورياً واصبح بمثابة البرلمان الفلسطيني في المنفى كما واصبحت اللجنة التنفيذية بمثابة الحكومة الفلسطينية في المنفى .

وتشكل هيكل تنظيمي لمنظمة التحرير الفلسطينية كما يلي :

١ - مجلس وطني بمثابة برلمان الشعب الفلسطيني .
٢ - لجنة تنفيذية لقيادة الشعب الفلسطيني وهي بمثابة حكومة فلسطينية .
٣ - الأجهزة والمؤسسات والدوائر وهي بمثابة وزارات مثل :
أ) الدائرة السياسية بمثابة وزارة الخارجية .
ب) دائرة الاعلام .
ج) دائرة الشؤون التربوية والثقافية .
د) دائرة شؤون الوطن المحتل .

أما أهم المؤسسات فهي :
أ) الهلال الأحمر الفلسطيني .
ب) مركز الابحاث .
ج) مركز التخطيط .

٤ ـ جيش التحرير الفلسطيني وهو الجيش النظامي .
٥ ـ الصندوق القومي وهو المالية العامة المسؤولة عن الايرادات والنفقات .

وهكذا ظهرت منظمة التحرير الفلسطينية الى الوجود من خلال قرارات مؤتمر القمة العربي ومجلس الجامعة العربية ولقيت تأييداً من قطاعات متعددة من الشعب الفلسطيني والحكومات العربية .

حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) :

أما على الصعيد الشعبي ، فقد استطاعت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح أن تستقطب الشباب وتنظيمه في خلايا سرية وتوصلت في عام ١٩٦٥ ، إلى تجهيز قوات عسكرية داخل فلسطين المحتلة وخارجها واستطاعت تفجير الثورة المسلحة في ليلة ١/١/١٩٦٥ م حينما قام الجناح العسكري لحركة فتح (العاصفة) بأولى عملياته العسكرية ضد المنشآت الصهيونية في فلسطين المحتلة ، وأصدر البيان العسكري الأول باسم « قوات العاصفة » الذي جاء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . اتكالاً منا على الله . . .

واستمرت حركة فتح تمارس نشاطها العسكري من خلال قوات العاصفة ونشاطها السياسي من خلال تنظيمها السري بين الجماهير حتى استقطب تأييد الشعب الفلسطيني على اختلاف اتجاهاته وقواه الوطنية ونتيجة لتصاعد العمليات العسكرية التي قامت بها قوات العاصفة وتطورها اصبح اليوم الأول من يناير عام ١٩٦٥ م ، هو اليوم الوطني الفلسطيني الذي يعتبره الفلسطينيون بداية انطلاقة ثورتهم الفلسطينية على طريق تحرير فلسطين . وهكذا اصبحت منظمة التحرير الفلسطينية هي الشكل الرسمي لتمثيل الشعب الفلسطيني ، وحركة التحرير الوطني الفلسطني (فتح) وباقي فصائل المقاومة التي تشكلت على الساحة الفلسطينية هي الاطار الشعبي للنضال الفلسطيني .

لم تستطع اسرائيل ان تحتمل اعادة ظهور الكيان الفلسطيني ممثلاً بمنظمة التحرير الفلسطينية . كما لم تستطع احتمال العمليات العسكرية الفعالة التي كانت تقوم بها قوات (العاصفة) الجناح العسكري لحركة التحرير الفلسطيني « فتح » واصبحت اسرائيل تمر بأزمات متلاحقة لاسيما عندما انخفض معدل الهجرة اليهودية بسبب انعدام الأمن . وزادت البطالة ولذلك بدأت اسرائيل تفكر بالتحرك للقيام بأعمال ارهابية لتدفع الأمور باتجاه الحرب التي تكسب من ورائها المساعدات من الحكومة الامريكية والمؤسسات الصهيونية في الخارج .

وقد قامت اسرائيل بغارات عدوانية على الحدود الاردنية فهاجمت مدينة جنين وقلقيلية عام ١٩٦٥ ، ومشروع مياه نهر الاردن عام ١٩٦٦ م ، كما قامت في العام نفسه بتدمير قرية السموع احدى قرى مدينة الخليل ، بحجة ان اهل القرية يساعدون الفدائيين الفلسطينيين من قوات العاصفة .

وعلى اثر الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة وتوتر الوضع العام في المنطقة أصدرت الحكومة المصرية قراراً بسحب القوات الدولية من سيناء واغلقت خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية التي بدأتها منذ عدوان ١٩٥٦ م ، واغتنمت اسرائيل هذه الفرصة وقامت اسرائيل بعدوانها في ٥ يونيو ١٩٦٧ م ، الذي استطاعت فيه ان تحتل سيناء حتى قناة السويس وهضبة الجولان السورية وما تبقى من فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة) بما فيها القدس الشريف وبذلك اصبحت كل فلسطين تحت الاحتلال الاسرائيلي .

ونظراً لهذه الهزيمة المنكرة للجيوش العربية والتي لم تكن متوقعة من أحد ، وقف العرب والمسلمون مذهولين أمام هذه الكارثة التي أدت إلى إحتلال كل فلسطين وخاصة القدس بالاضافة إلى مساحات في سيناء والجولان اضعاف مساحة فلسطين وكل هذا تم في ايام معدودات .

وقد أدت نتائج الحرب إلى تغيير جذري في أفكار جماهير الشعب العربي وخاصة الفلسطينيين الذين ازداد إيمانهم بالحرب الشعبية وأقبلوا بالتالي على الانخراط في صفوف « قوات العاصفة التابعة لحركة فتح » ، تلك القوات التي قامت بدور مؤثر في معارك عام ١٩٦٧ م والتي اغتنمت فرصة وقوف الحرب وراحت تجمع ما تستطيع تجميعه من اسلحة خلفتها الجيوش وراءها في المعركة . وبعد ان اعدت قوات العاصفة نفسها من جديد ودربت وجهزت ونظمت العناصر الجديدة من الشباب الذي اقبل عليها بحماسة وايمان ، انطلقت تقاتل اسرائيل بصورة اشد واقوى واوسع مدى من السنتين الماضيتين (١٩٦٥ ـ ١٩٦٧) . وتوجهت انظار الجميع الى حركة « فتح » والى ابطال « قوات العاصفة » الذين اصبحوا هم الوحيدين الذين يقومون بالكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني بالاضافة الى عدد من فصائل المقاومة الأخرى الذين ساروا على الطريق نفسها .

وازاء الحاح الجماهير الفلسطينية ومطالبتها بضرورة دخول منظمات المقاومة في اطار منظمة التحرير ، ومطالبة تغيير القيادة للمنظمة التي لم تستطع ان تمارس الكفاح المسلح طيلة السنين الماضية فقد استقال احمد الشقيري بعد الحرب في ٢٤ ديسمبر ١٩٦٧ م ، وعهدت الى السيد يحيى حمودة احد اعضاء اللجنة التنفيذية برئاسة المنظمة .

المقاومة الفلسطينية بعد حرب ١٩٦٧ م :

كان من أهم نتائج حرب ١٩٦٧ م ، توحيد الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال الاسرائيلي والذين بلغ عددهم حوالى مليون ونصف مليون فلسطيني .

وقد استطاع هؤلاء الفلسيطينيون ان ينسقوا مواقفهم ضد الاحتلال الاسرائيلي ، فبدأوا مقاومتهم السلمية ورفضوا فيها الاحتلال واجراءاته القانونية والسياسية التي أدت إلى ضم القدس إلى اسرائيل ومحاولة تهويد المناطق المحتلة ، كما رفضوا التعاون مع سلطات الاحتلال واصبحوا يؤيدون العمل الفدائي والمقاومة المسلحة التي بدأوا يجهزون انفسهم لممارستها بالتعاون مع قوات العاصفة .

وبعد وصول القوات الاسرائيلية الى نهر الاردن الذي اصبح يفصل بينها وبين القوات الاردنية المنسحبة من الضفة الغربية بدأ الفدائيون الفلسطينيون ينظمون انفسهم على شكل مجموعات مسلحة على الضفة الشرقية لنهر الاردن في مواجهة القوات الاسرائيلية وبدأوا يقومون بعمليات عسكرية متواصلة ضد المستعمرات الاسرائيلية وضد القوات والمؤسسات الاسرائيلية في جميع انحاء فلسطين .

وقد اثبت المجاهدون الفلسطينيون أنهم قادرون على مواجهة الجيش الاسرائيلي الذي كان ضباطه يعلنون بغرور بالغ انه الجيش الذي لا يقهر . واستطاعت المقاومة الفلسطينية أن تثبت أن بالامكان مواجهة هذا الجيش بل وهزيمته اذا وجد العزم والإيمان وبذلك استطاعت المقاومة أن ترفع معنويات الجماهير وأن تثبت للعالم أن الشعب الفلسطيني صاحب قضية عادلة ولا يمكن أن يستسلم ، وهذا أدى إلى خيبة أمل لدى اليهود الذين ظنوا أن انتصارهم في حرب اكتوبر ١٩٦٧ هو بداية الامن والاستقرار وبدأوا يزدادون قلقاً ولم يسمح لهم المجاهدون الفلسطينيون بأن يذوقوا طعم

الأمن والامان والاستقرار في فلسطين المحتلة .

معركة الكرامة ١٩٦٨ م :

ونفد صبر الاسرائيليين من شدة الغارات الفدائية ومن اتساع عمليات المجاهدين الفلسطينيين العسكرية وبدأت تستعمل كل ما لديها من اسلحة فقصفتهم بالطائرات والمدافع الثقيلة والبعيدة المدى ولاحقتهم بقوات كبيرة وأخذت تنتقم بوحشية من المدنيين في داخل فلسطين وتعتقل الشباب وتنسف البيوت وتفرض منع التجول وتقوم بالتفتيش عن الاسلحة وتفرض الغرامات وكانت تقوم بكل ذلك بصورة أشد مما كانت تقوم به حكومة الانتداب التي نظمتهم ودربتهم وعلمتهم على الاعمال الوحشية .

واخيراً قررت السلطات الاسرائيلية ان تخترق نهر الاردن ، وتتوجه الى منطقة مخيم الكرامة للاجئين الفلسطينيين الذي كان يقع في الضفة الشرقية لنهر الاردن حيث كان هناك قواعد مكثفة للفدائيين تمتد على مسافة عشرات الكيلومترات ، وحشدت اسرائيل بقيادة وزير الدفاع موشي دايان خمسة عشر الف جندي بكامل معداتهم من طائرات ودبابات وحاملات جنود ومدفعية ثقيلة . كما حشدت صحفيين من مختلف أنحاء العالم ليشهدوا انتصاراً تاريخياً ضد الفدائيين الفلسطينيين بعد انتصار عام ١٩٦٧ م ، وأعلن دايان انه سيتوجه بنزهة عسكرية ليقضي على قواعد المخربين ـ على حد قوله ـ ويحضرهم أسرى الى اسرائيل .

وتقدمت القوات الاسرائيلية في ٢١ مارس ١٩٦٨ م ، بشن هجوم على منطقة الكرامة ، امتد بعد ذلك الى مسافة خمسين كيلومتراً وشمال منطقة واسعة يتواجد فيها المجاهدون الفلسطينيون بأعداد كبيرة وشاركت في الهجوم الطائرات النفاثة وطائرات الهيلوكوبتر .

وأصدرت القيادة العامة لقوات العاصفة ولأول مرة أمراً بمواجهة القوات الاسرائيلية ، بالرغم من انها لم تكن مجهزة بأسلحة كافية لتلك المواجهة لأنها قوات فدائية وليست جيشاً رسمياً ، وكان هدف القيادة العامة الفلسطينية ان تكسر الحاجز النفسي الذي سببته هزيمة عام ١٩٦٧ م والتي ظن البعض ان الجيش الاسرائيلي لا يقهر .

وبدأت المواجهة بين جيش ضخم مجهز بأحدث الأسلحة وبين مجموعات الفدائيين الذين لا يملكون إلا الأسلحة الخفيفة وبدأ الفدائيون يتصدون لقوات العدو الاسرائيلي بأجسادهم المحاطة بالمتفجرات وبدأ العدو يحس انه ليس في نزهة فزادت الاستغاثات لطلب مزيد من النجدات بعد ان اوقع الفدائيون الفلسطينيون خسائر جسيمة في القوات الاسرائيلية ، وانقضت الساعات التي كانت مقررة لاحضار الاسرى الفلسطينيين ، وبدأت تتوافد جثث القتلى والجرحى وافتتحت المستشفيات ومنع الصحفيون من الذهاب الى ارض المعركة وقام رجال الجيش الاردني البواسل بفتح نيران مدافعهم ضد المعتدين مشاركين اخوانهم الفدائيين الفلسطينيين في معركتهم الحاسمة ، وبدأت تتفجر دبابات العدو من قنابل الفدائيين ومدفعية الجيش الاردني . كما بدأت الخسائر تزداد في صفوف الجيش الاسرائيلي مما اضطر موشي دايان يأمر بانسحاب القوات الاسرائيلية التي فرت هاربة من وجه المجاهدين المؤمنين الذين كانوا يهتفون في وجه المعتدين « الله اكبر » ويقفزون على دباباتهم يدمرونها واحدة تلو الأخرى .

وبعد انسحاب القوات الاسرائيلية مهزومة من معركة الكرامة انتشر خبر النصر الذي حققه الفدائيون الفلسطينيون على الجيش الذي لا يقهر ، وقامت المظاهرات في المخيمات الفلسطينية في كل مكان تعرب عن فرحتها

بهذا النصر الذي كان نقطة تحول كبرى بالنسبة للعمل الفدائي الذي اقبل عليه الشباب من كل صوب ينخرطون فيه للمشاركة في الثورة الفلسطينية لتحرير فلسطين .

فتح تقود منظمة التحرير الفلسطينية :

تصاعدت العمليات العسكرية ضد العدو الاسرائيلي بعد معركة الكرامة واقبلت قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني على المشاركة في صفوف الثورة في مختلف الميادين العسكرية والتنظيمية والسياسية والاعلامية والمالية والطبية وانهالت التبرعات على حركة فتح والفدائيين الفلسطينيين واصبح بمقدور حركة المقاومة ان تجند مزيداً من الشباب في صفوفها وان تحصل على مزيد من الأسلحة والمعدات كما استطاعت تبعاً لذلك أن توسع نشاطها العسكري الى كل بقعة في فلسطين وحتى « تل ابيب » كما استطاعت أن تنقل نشاطها السياسي والاعلامي إلى الآفاق العربية والدولية خاصة بين الدول الاسيوية والافريقية والدول الاسلامية والدول الصديقة وانتقلت القضية الفلسطينية من قضية لاجئين إلى قضية شعب ثائر يطالب بحقوقه الوطنية المشروعة .

ونظراً لتطور اوضاع الساحة الفلسطينية بسبب نشاط فصائل المقاومة الفلسطينية وخاصة حركة التحرير الفلسطيني « فتح » اخذت الجماهير تضغط باتجاه دخول فصائل المقاومة الى منظمة التحرير الفلسطينية لذلك عقد المجلس الوطني الفلسطيني الرابع في ١٠ يوليو ١٩٦٨ م ، الذي قرر تطوير المجلس الوطني المقبل وتعديل الميثاق الوطني الفلسطيني والنظام الأساسي بحيث يتناسب مع تطورات العمل الفلسطيني . وقد تمت هذه التغيرات في المجلس الوطني الفلسطيني الخامس الذي عقد في اول فبراير ١٩٦٩ م ، حيث شاركت في هذا المجلس فصائل المقاومة الفلسطينية المقاتلة . وانتخب المجلس لجنة تنفيذية جديدة برئاسة ياسر عرفات الناطق الرسمي باسم حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ومشاركة عدد من فصائل المقاومة الفلسطينية الأخرى وبذلك اصبحت منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني التي تحظى بالتأييد الجماهيري الكامل من الجماهير الفلسطينية وفصائل المقاومة وكذلك من الجهات الرسمية والحكومية .

وبدأت المنظمات والاتحادات والجمعيات الشعبية الفلسطينية تعلن عن تأييدها لمنظمة التحرير وتعتبر نفسها قاعدة من قواعد المنظمة ، كاتحاد الطلاب واتحاد المعلمين واتحاد المرأة واتحاد العمال واتحاد المهندسين وغيرها من الاتحادات الفلسطينية وشاركت منظمة التحرير الفلسطينية في جميع الاجتماعات الرسمية لجامعة الدول العربية والمنظمات العربية والدولية بصفتها الممثل الرسمي للشعب الفلسطيني .

واخذت المقاومة الفلسطينية تطور عملياتها داخل فلسطين المحتلة وتوقع في العدو الاسرائيلي خسائر كبيرة بالافراد والممتلكات ومن هذه العمليات :

عملية سافوي ٥ مارس ١٩٧٥ م :

اقتحم ثمانون من مجاهدي حركة فتح مساء ٥ مارس ١٩٧٥ م فندق سافوي في شمال تل ابيب وكان اولئك المقاتلون قد توجهوا بحراً الى شواطىء تل ابيب بقوارب مطاطية وتمكنوا من النزول الى الشاطىء سراً والتوجه نحو الفندق ، وتمكنوا من السيطرة عليه واحتجزوا اعداداً من الرهائن داخله وطالبوا باطلاق سراح عشرة من اخوانهم المقاتلين الاسرى المحتجزين في السجون الاسرائيلية ، وتسفيرهم بطائرة تابعة للأمم المتحدة الى القاهرة او دمشق .

وقام اولئك المقاتلون بتوزيع منشورات حول الفندق باسم حركة (فتح) توضح اهـداف النضال الفلسـطيني وأهداف تلك العملية واغتنم العدو فرصة وجود الفدائيين ودفع بقوات ضخمة باتجاه الفندق لاقتحامه والقاء القبض على الفدائيين الثمانية .

ودارت معركة عنيفة بين الفدائيين والجيش الاسرائيلي حتى انتهت ذخائر الفدائيين واضطروا إلى تفجير الفندق بمن فيه واستشهد منهم ستة داخل الفندق ، واستشهد اخر وهو يقاتل خارج الفندق واسر احدهم بسبب نفاذ ذخيرته واصابته بجرح بالغ .

وقد أوقع الفدائيون الفلسطينيون خسائر كبيرة بقوات العدو الاسرائيلي لم يعلن عنها بسبب التعتيم الاعلامي على العملية ومنع التجول حول الفندق وعدم السماح لمراسلي وكالات الانباء ورجال الاعلام من الاقتراب من ارض المعركة .

وتعتبر هذه العملية من أهم العمليات العسكرية لأنها اثارت شعور الاسرائيليين بعدم الأمن والاستقرار بسبب تمكن الفدائيين من الوصول الى تل ابيب بالرغم من الاحتياطات الأمنية الكبيرة التي كانت تحيط بالمنطقة من رادارات حديثة وحراسة مشددة والتي لم تمنع اولئك الفدائيين بسبب شجاعتهم ومستوى تدريبهم من التغلب عليها .

عملية الشهيدة دلال المغربي ١٩٧٨ م :

لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي تمكنت مجموعة فدائية بقيادة دلال المغربي من فتح جبهة عسكرية شمال فلسطين المحتلة امتدت ٨٠ كيلومتر في منطقة تعتبر من اهم مناطق العدو الصهيوني حيوية وأهمية .

دلال المغربي فتاة فلسطينية ولدت خارج وطنها في بيروت عام ١٩٥٨ م وانتظمت في صفوف قوات العـاصفة التابعة لحركة فتح في قسم الفتيات واصبحت قائدة مجموعة . وقد ظلت دلال المغربي تضغط على القيادة الفلسطينية للقيام بواجبها اتجاه وطنها فلسطين الى ان سمح لها ان تقوم بقيادة عسكرية سميت عملية الشهيد « كمال عدوان » التي انطلقت يوم ١١ مارس ١٩٧٨ م من شواطىء لبنان الى شواطىء فلسطين حيث وصلوا بمركب الى عرض البحر بين حيفا وتل ابيب وهناك نزل الفدائيون وعددهم ١٣ بمراكب مطاطية صغيرة نقلتهم الى الشـاطىء وهم في كامـل اسلحتهم .

قام الفدائيون باغراق مراكبهم دونما أي تفكير بالعودة كما فعل طارق ابن زياد في الأندلس . . وبدأوا سيرهم نحو هدفهم في تل ابيب في جو ممطر عاصف ، فصادفوا في طريقهم مجموعة من الجنود في سيارة فقتلوهم واستولوا على السيارة وواصلوا سيرهم حتى صادفوا سيارة باص تحمل ٢٥ راكباً اسرائيلياً فاستولوا عليها وحجزوا الركاب . وأخذوا يدمرون ويستولون على كل سيارة كانت تمر على الطريق بين حيفا وتل ابيب فدمروا ست سيارات وقتلوا من فيها ثم تابعوا سيرهم حتى لحقوا بباص آخر يقل ٦٠ راكباً فأوقفه الفدائيون ووثبوا عليه وتبادلوا مع الركاب اطلاق النار الى ان استسلم جميع الركاب فأخذوا اسلحتهم واحتجزوهم .

وبعد ساعات وصلت اخبار العملية العسكرية الى القيادة الاسرائيلية فأصيبت بالذهول وقـامت بتجنيد ستـة آلاف جندي لمواجهة ثلاثة عشر فدائياً اخذوا يتصدون لكل سيارة عسكريـة تواجههم ويـدمرونها الى ان وصلوا الى مدينة نتانيا القريبة من تل ابيب . وهناك قامت قوات الجيش الاسرائيلي بقطع الطريق على المجموعة الفدائية حتى لا

تتمكن من دخول تل ابيب . وهناك وقعت المواجهة بين أربعمائة جندي إسرائيلي بالاضافة الى ستة آلاف جندي يطوفون ويحرسون المنطقة المحيطة بالعملية واخلت السلطات الاسرائيلية الثلاثة عشر مستشفى وفرضت حظر التجول في المنطقة .

وخاض الفدائيون الفلسطينيون معركة غير متكافئة اذ كان الواحد منهم يواجه حوالى اربعين من قوات العدو المسلحة بأحدث الأسلحة الحديثة الثقيلة والخفيفة بالاضافة الى الدبابات وطائرات الهيلوكوبتر . واستمرت المعركة ٤٥ دقيقة قدم فيها الفدائيون اروع انواع التضحية والبطولة والفداء بقيادة دلال المغربي قائد المجموعة التي استطاعت ان توقع في الأعداء ٤٢ قتيلاً و٨٥ جريحاً بالاضافة الى تدمير ١٣ سيارة عسكرية وخسائر كبيرة في الممتلكات واخيراً اضطرت الحكومة الاسرائيلية ان تعطي اوامرها لتدمير الباص بمن فيه من الفدائيين واليهود . مما ادى الى استشهاد جميع افراد المجموعة وعلى رأسهم الشهيدة دلال المغربي التي اصبحت احدى النساء العربيات المسلمات اللائي خلدهن التاريخ . وهكذا انتهت عملية الشهيد كمال عدوان بقيادة دلال المغربي ١٩٧٨/٤/٢ م ، تلك العملية التي ارعبت سلطات الاحتلال الاسرائيلي والتي وصفها عزرا وايزمن وزير الدفاع الاسرائيلي بأنها « اكبر تحد تواجهه الدولة منذ تأسيسها » .

حرب الجنوب اللبناني ١٩٧٠ م - ١٩٧٣ م

احتلت منطقة جنوب لبنان اهمية خاصة في نظر الصهيونية العالمية التي سعت بعد حصولها على وعد بلفور الى ضم جنوب لبنان الى القسم الخاضع للانتداب البريطاني من فلسطين وذلك يعود لعوامل دينية التي تدعي ان جنوب لبنان جزء من أرض الميعاد ولعوامل اقتصادية للسيطرة على مصادر المياه في لبنان وخاصة نهر الليطاني والأهم وجود المقاومة الفلسطينية في الجنوب اللبناني .

ومع تزايد الوجود الفلسطيني في الجنوب اللبناني وخصوصاً القطاع الأوسط والشرقي - منطقة العرقوب - والمسمى بأرض فتح نشطت الغارات الاسرائيلية منذ مطلع عام ١٩٧٠ م ، وحتى اوائل عام ١٩٧٢ م ، ضد الأهالي والسكان المدنيين في هذه المناطق بحجة التفتيش عن رجال المقاومة وتدمير قواعدهم ثم تطورت الى دخول قوات اكبر حجماً الى داخل الاراضي اللبنانية تخطف بعض السكان وتنسف البيوت بداعي استخدام الفدائيين اياها . وقد حاولت احدى الوحدات الاسرائيلية الدخول الى منطقة العرقوب في اول يناير ١٩٧٢ م ، فتصدت لها قوات الفدائيين واجبرتها على الانسحاب .

وكان واضحاً من كثافة القصف المعادي واتساع نطاقه وتكراره وتطويره الى حد الاجتياح البري لمساحات واسعة من الاراضي اللبنانية أن السياسة الاسرائيلية بتركيزها على الساحة اللبنانية انما تهدف إلى خلق شق بين المقاومة الفلسطينية الجماهير اللبنانية المناضلة وزرع بذور الخلاف والعداوة تمهيداً لتوجيه ضربة اخرى الى الثورة الفلسطينية بالاضافة إلى إستنزاف الطاقات الفلسطينية في معارك جانبية وتحويلها عن عدوها الأساسي الكيان الصهيوني وقد استطاع الطرفان (المقاومة الفلسطينية والشعب اللبناني) تفويت الفرصة على العدو الصهيوني وعملائه . وجمدت المقاومة في عام ١٩٧٢ م عملياتها من الاراضي اللبنانية .

ولكن ذلك لم يمنع العدو الصهيوني من شن غاراته الوحشية على الأهالي والمدنيين في لبنان كما حدث في ٢١

فبراير ١٩٧٣ عندما قامت اسرائيل بعدوان على مخيمي نهر البارد والبداوي في شمال لبنان بالقرب من مدينة طرابلس . وبدا واضحاً ان الوجود الفلسطيني بحد ذاته يشكل سبباً لمواصلة العدوان الاسرائيلي الموجه الى ضرب حركة الجماهير اللبنانية وتضامنها مع الثورة الفلسطينية . وكان هدف اسرائيل هو دفع النظام اللبناني الى تصفية حركة المقاومة الفلسطينية . لكن آمال اسرائيل لم تتحقق فكان هناك تفاهم بين الطرفين اللبناني والفلسطيني

وقامت اسرائيل كذلك بعدوان غادر على بيروت في ١٩٧٣/٤/١٠ م لاغتيال عدد من قادة المقاومة بالاضافة الى الاعتداء على مراكز للمقاومة في داخل مدينة بيروت وضواحيها وأهداف مدنية أخرى في صيدا وضواحي العاصمة . وأدى هذا الهجوم الى استشهاد القادة محمد يوسف النجار وزوجته ، وكمال عدوان ، وكمال ناصر ، بالاضافة الى عدد من المدنيين وأفراد المقاومة وقد أثار هذا الحادث الاجرامي موجة واسعة من الاستنكار والاستياء في مختلف ارجاء العالم العربي والخارجي ولكنه ترك انعكاسات مهمة على العلاقات اللبنانية الفلسطينية وكان رد المقاومة الفلسطينية ان الثورة الفلسطينية لن تتنازل عن المكاسب التي حققها الشعب الفلسطيني بالألوف من شهدائه . كما ان نشاط المقاومة داخل المخيمات لا يتعارض مع السيادة اللبنانية .

عملية الليطاني ١٩٧٨ م :

كان رد الفعل الاسرائيلي على عملية الشهيد كمال عدوان عدواناً كبيراً وخطيراً يدل على مدى ما احدثته تلك العملية من تأثير على القيادة الاسرائيلية والمجتمع الاسرائيلي . وقد استعدت القيادة الاسرائيلية لخوض حرب ضد الفدائيين في جنوب لبنان وسميت هذه العملية العسكرية « عملية الليطاني » نسبة الى نهر الليطاني في الجنوب اللبناني والذي تطمع اسرائيل في ضمه من منابعه كمصدر هام من مصادر المياه وقد كان هدف هذه العملية اجتثاث قواعد المخربين وضرب قواعدهم وتطهير جنوب لبنان منهم وقد ابتدأت العملية في ١٩٧٨/٣/١٥ م ، أي بعد اربعة ايام من عملية الشهيد كمال عدوان التي نفذت بقيادة دلال المغربي .

وقد استعملت اسرائيل في هذه العملية العسكرية عدداً ضخماً من قواتها العسكرية وحشدت اسرائيل في هذه المعركة ما يقرب من ٣٠ الف جندي مزودين بأسلحة برية وجوية وبحرية ، وابتدأوا معركتهم على جبهة طولها ٩٧ كيلومتراً للقضاء على قوات الفدائيين وتدمير قواعدهم وشطب منظمة التحرير الفلسطينية من المعادلة السياسية في الشرق الأوسط .

وكان العدو الصهيوني يظهر انه في نزهة عسكرية ففوجىء بقوات الثورة الفلسطينية من لبنانيين وفلسطينيين يتصدون له ببسالة وشجاعة ، وخاضت معه حرباً خفيفة شرسة بمختلف انواع الأسلحة التي يملكونها . واستمر القتال الشرس بين القوات المشتركة للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية المحدودة في عددها وعدتها وبين جيش العدو المهاجم بكل ما يملك من آلات الحرب وادوات الدمار اسبوعاً تقريباً .

ولم يتمكن الجيش الاسرائيلي طيلة أيام أسبوع القتال أن يحسم المعركة لمصلحته ، وظلت قوات الثورة الفلسطينية توقع به الخسائر المتتالية حتى وقف القتال تنفيذاً لقرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ الذي يقضي بوقف القتال في الجنوب اللبناني وإرسال قوات طوارىء دولية من الأمم المتحدة وانسحاب الجيش الاسرائيلي من المناطق التي احتلها واعادتها الى السيادة اللبنانية .

ان مقدار النجاح الذي حققته عملية الشهيد كمال عدوان بقيادة دلال المغربي قابله فشل « عملية الليطاني » التي قام بها العدو الاسرائيلي كرد فعل على العملية الأولى . فلقد بقيت قوات الثورة الفلسطينية في جنوب لبنان ، وازدادت قوة وحافظت على تشكيلاتها العسكرية وقواعدها القتالية وانسحبت القوات الاسرائيلية خائبة مدحورة خاسرة وحلت محلها قوات الأمم المتحدة التي لا زالت ترابط في الجنوب اللبناني حتى اليوم .

ولقد صادف وقوع هذه العملية العسكرية الاسرائيلية عملية الليطاني في ذكرى معركة الكرامة التي وقعت في ٢١ مارس ١٩٦٨ أي قبل عشر سنوات من وقوع عملية الليطاني ، وانتهت العمليتان العسكريتان الاسرائيليتان بالفشل الذريع وكان رد فعلها مؤثراً على صعيد الجماهير الفلسطينية واللبنانية ، اذ ازداد اقبالها على الانخراط في صفوف الثورة وقويت معنوياتها في التصدي لجيش الاحتلال الاسرائيلي الصهيوني .

منظمة التحرير الفلسطينية في المحافل العربية والاسلامية والدولية :

١ ـ مؤتمرات القمة العربية :

بدخول فصائل المقاومة الى منظمة التحرير أصبحت تمثل الشعب الفلسطيني تمثيلاً واقعياً وبذلك اصبحت تشارك في مؤتمرات القمة العربية بوفد مستقل وفي مؤتمر القمة العربي السابع الذي عقد في الرباط بالمغرب ، في ٢٨ اكتوبر ١٩٧٤ ، استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية ان تحصل على أهم اعتراف رسمي من جميع الدول العربية ، إذ حسم مؤتمر القمة موضوع تمثيل المنظمة لجميع الفلسطينيين في فلسطين وخارجها وقرر ما يلي :

١ ـ تأكيد حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه وتقرير مصيره .

٢ ـ تأكيد حق الشعب الفلسطيني في اقامة السلطة الوطنية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني على أي ارض فلسطينية يتم تحريرها .

٣ ـ دعم منظمة التحرير الفلسطينية في ممارسة مسؤولياتها على الصعيد القومي والدولي .

٤ ـ أن تلتزم جميع الدول العربية بالحفاظ على الوحدة الوطنية الفلسطينية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للعمل الفلسطيني .

وهكذا أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية « الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني » داخل الارض المحتلة وخارجها واصبحت تشق طريقها على الصعيد العسكري والدبلوماسي بنجاح كبير اذ اصبح لديها جيش رسمي يملك اسلحة متقدمة وهو جيش التحرير الفلسطيني كما اصبحت لديها قوات فدائية مثل قوات العاصفة تقوم بعمليات يومية داخل فلسطين المحتلة ، وعلى الصعيد السياسي بدأت منظمة التحرير تقيم علاقات دبلوماسية مع مختلف الدول الشقيقة والصديقة وتفتح مكاتب بمثابة سفارات في اكثر دول العالم خاصة في الدول العربية والاسلامية ومجموعة الدول الاشتراكية ودول امريكا اللاتينية واصبح لها اكثر من ١٣٢ مكتب وسفارة وبذلك يكون تمثيل منظمة التحرير لدى دول العالم اكثر من تمثيل كيان العدو الاسرائيلي .

٢ ـ مؤتمرات القمة الاسلامية :

وقف العالم الاسلامي مع القضية الفلسطينية موقفاً ايجابياً مؤيداً لحق الشعب الفلسطيني في تحرير ارضه فلسطين

وخاصة القدس الشريف اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وقد اختلفت مواقف الدول والشعوب الاسلامية في مدى تأييدها للقضية الفلسطينية بمقدار استقلال تلك الدول والشعوب وبعدها عن السيطرة الاجنبية .

ولم تتوان الدول والشعوب الاسلامية عن الاعراب عن تأييدها جهاد شعب فلسطين كلما امكنها ذلك وكان للموقف الذي وقفه مؤتمر القمة لاسلامي الذي انعقد في لاهور بباكستان في ٢٢ فبراير ١٩٧٤ م خير تعبير عن تأييد العالم الاسلامي للقضية الفلسطينية ولمنظمة التحرير الفلسطينية .

فقد جاء في البيان الختامي الذي صدر عن المؤتمر في تأييد القضية الفلسطينية ما يلي :

١ ـ ان قضية الشعب الفلسطيني هي قضية اولئك الذين يؤمنون بحق أي شعب في تقرير مصيره .

٢ ـ ان استرداد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني في وطنه شرط جوهري ومهم لحل مشكلة الشرق الاوسط واقامة سلام دائم على اساس من العدل .

٣ ـ وطالب المؤتمر جميع الدول بمساندة شعب فلسطين بكل الوسائل في كفاحه ضد الاستعمار الصهيوني العنصري والاستيطاني لاستعادة حقوقه الوطنية كاملة ، ويؤكد مجدداً أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع .

وطالب المؤتمر الدول الاعضاء التي لم يتم فتح مكاتب للمنظمة فيها بتيسير ذلك تنفيذاً لمقررات المؤتمرات الاسلامية السابقة كما طالب المؤتمر الدول الاعضاء التي لا تزال لها علاقات مع اسرائيل بأن تقطع هذه العلاقات فوراً في كافة المجالات تدعيماً للتضامن الاسلامي .

وفي مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد في جدة في ١٩٧٥/١١/٢ م ، أكد المؤتمر مجدداً تأييده للشعب الفلسطيني في سبيل تحرير وطنه واستعادة حقوقه الوطنية وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير والسيادة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني .

وعلى اثر اصدار الكنيست الاسرائيلي (البرلمان) قراره في ١٩٨٠/٧/٢٩ م ، بضم القدس الى الكيان الاسرائيلي ، انعقد مؤتمر القمة الاسلامي في مكة المكرمة في ٢٥ يناير ١٩٨١ م ، في دورة سميت « دورة القدس » حضرها ٣٧ من ملوك ورؤساء وممثلي الدول الاسلامية بالاضافة الى منظمة التحرير الفلسطينية واعلنوا في المؤتمر عزمهم على الجهاد في سبيل تحرير القدس وان الدول الاسلامية تصر على حق الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية في المقاومة بجميع الوسائل العسكرية والسياسية وغيرها من اجل تحرير الاراضي العربية المحتلة واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

كما قررت الدول الاسلامية في هذا المؤتمر دعم منظمة التحرير الفلسطينية عسكرياً ومادياً وتقديم المساعدات للشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة لتمكينه من استعادة حقوقه بما فيها حق العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة على أرضه بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية كما اتفق الملوك والرؤساء على اعلان الجهاد المقدس لانقاذ القدس الشريف ونصرة الشعب الفلسطيني وتحقيق الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة .

رابطة العالم الاسلامي :

ولم يقتصر نشاط منظمة التحرير الفلسطينية على اتصالاتها بالدول الاسلامية بل كثفت اتصالاتها ايضاً مع المنظمات الشعبية الاسلامية التي كان من أهمها رابطة العالم الاسلامي التي تمثل الشعوب الاسلامية على المستوى الشعبي ففي عام ١٩٨١ م ، شارك رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في اجتماع المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي الذي عقد في مكة وقد جرى في هذا الاجتماع تبادل وجهات النظر عن سير الثورة الفلسطينية وطرق دعمها وتكلم السيد ياسر عرفات فأشار الى مقررات مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في مكة والطائف واعلان الدعوة للجهاد المقدس لتحرير فلسطين وايد المجتمعون الثورة الفلسطينية .

منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة :

بالرغم من قرار هيئة الأمم المتحدة الذي يقضي بتقسيم فلسطين وإقامة دولتين يهودية وعربية عام ١٩٤٧ م ، وهيئة الأمم تتجاهل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

فلقد نفذت الدول الكبرى قرار التقسيم الخاص باقامة دولة يهودية على أرض الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ م ولكنها لم تنفذ الجزء الآخر من القرار الذي يقضي باقامة دولة عربية للشعب الفلسطيني على أرضه ووطنه . وتعتبر اسرائيل هي الدولة الوحيدة التي نالت مركز الدولة ونالت مع الارض عن طريق اجراء اتخذته الأمم المتحدة .

ومنذ عام ١٩٦٧ وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لا يتعامل مع القضية الفلسطينية إلا من خلال قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذي يتحدث عن مشكلة اللاجئين ولا يتضمن أي حق من حقوق الشعب الفلسطيني ولا يشير بأي كلمة إلى تمثيل الشعب الفلسطيني ممثلاً بمنظمة التحرير الفلسطينية ولا بغيرها .

ولكن حركة المقاومة للشعب الفلسطيني اجبرت هيئة الأمم ان تعترف بحقوق هذا الشعب المجاهد ابتداء من عام ١٩٧٠ م عندما اصدرت هيئة الأمم المتحدة قراراً يقضي بالاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني .

ولم يأت عام ١٩٧٤ م ، حتى ازداد عدد الدول الاسلامية والافريقية والصديقة مما ادى الى تأييد متزايد لحقوق الشعب الفلسطيني في هيئة الأمم المتحدة . واصبحت القضية الفلسطينية تدرج كبند مستقل على جدول اعمالها ، وأصبحت هيئة الأمم منذ ذلك الوقت تؤكد بصورة مستمرة على الحقوق الانسانية للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره وحقه في نيل حقوقه بكل الوسائل .

وقد استطاعت الدول العربية والاسلامية والصديقة أن تصدر قراراً من الجمعية العامة للأمم المتحدة بموافقة ١٠٥ دولة ورفض اربعة وامتناع عشرين عن التصويت بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة عن الشعب الفلسطيني للاشتراك في مداولات الجمعية العمومية حول القضية الفلسطينية .

وقد حضر وفد فلسطين كبير برئاسة السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها التاسعة والعشرين بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٩٤ هـ الموافق ٣ نوفمبر ١٩٧٤ م ، والقى خطاباً كان موضع تقدير وتأييد من الغالبية العظمى لدول العالم وشعوبها . وقد قال فيه كلمته المشهورة : « انني اتوجه اليكم بأن تمكنوا شعبنا من اقامة سلطته الوطنية المستقلة وتأسيس كيانه الوطني على

ارضه لقد جئتكم بغصن الزيتون مع بندقية الثائر فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي ، الحرب تندلع من فلسطين والسلم يبدأ من فلسطين » .

وقد اتخذت الجمعية العامة في هذه الدورة قراراً بخصوص حقوق الشعب الفلسطيني في ١٩٧٤/١١/٢٢ م . بأغلبية ٨٩ صوتاً ضد ٨ أصوات جاء فيه :

١ ـ تؤكد الجمعية العامة من جديد حقوق الشعب الفلسطيني في فلسطين بما فيها الحق في تقرير المصير والحق في الاستقلال والسيادة الوطنية .

٢ ـ تؤكد الجمعية العامة حق الفلسطينيين المشروع في العودة الى ديارهم واملاكهم التي اقتلعوا وطردوا منها وتدعو الى اعادتهم اليها .

٣ ـ تدعو جميع الدول والمنظمات الدولية بزيادة مساندتها للشعب الفلسطيني في كفاحه من اجل استعادة حقوقه طبقاً لميثاق الأمم المتحدة .

٤ ـ تطالب السكرتير العام للامم المتحدة باجراء اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية في كل المسائل المتعلقة بالمسألة الفلسطينية .

ولم تلبث الجمعية العامة للأمم المتحدة ان اتخذت في نفس الدورة قراراً ينص على منح صفة المراقب لمنظمة التحرير الفلسطينية وفي ٤ ديسمبر ١٩٧٥ م ، قرر مجلس الأمن دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة فوراً في مناقشات المجلس للعدوان الاسرائيلي على المخيمات الفلسطينية في لبنان كما طلب من المنظمة مرة اخرى حضور المناقشة الخاصة بقضية فلسطين في ١٢ يناير ١٩٨٦ م ، ثم اصبحت منظمة التحرير الفلسطينية تحضر باستمرار اجتماعات مجلس الأمن بصفة مراقب في اطار المادة التي تنطبق عادة على الدول .

وفي الدورة الثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة استمرت قضية فلسطين تحرز مزيداً من الانتصارات في المجال الدولي وقد تجلى ذلك بوضوح في القرار رقم ٣ الذي صدر بتاريخ ١٩٧٥/١١/١٠ م والذي تقرر فيه دعوة منظمة التحرير الفلسطينية ـ ممثل شعب فلسطين ـ للاشتراك في جميع الجهود والمناقشات والمؤتمرات الخاصة بالشرق الاوسط التي تعقد في اطار المنظمات الدولية وذلك على قدم المساواة مع الاطراف الأخرى ، وبذلك تكون الجمعية العامة للأمم المتحدة قد اكدت مرة اخرى ان منظمة التحرير الفلسطينية احد اشخاص القانون الدولي وعلى قدم المساواة مع الأطراف الأخرى .

مؤتمر دول عدم الانحياز :

أيدت مؤتمرات عدم الانحياز نضال الشعب الفلسطيني العادل في سبيل استرداد حقوقه الوطنية ودعيت المنظمة الى مؤتمرات عدم الانحياز في السبعينات (الجزائر ، ليبيا) واعطيت صفة مراقب كما شجبت هذه المؤتمرات الصهيونية ، وفي مؤتمر دول عدم الانحياز في بيرو قبلت المنظمة عضواً كاملاً في حركة عدم الانحياز ومنذ ذلك الوقت شاركت في جميع النشاطات التي تقوم بها مجموعة الدول غير المنحازة والتي اعربت عن تأييدها للشعب الفلسطيني بقيادة ممثله الشرعي الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية وتأكد هذا في مؤتمر نيودلهي في عام ١٩٨٣ م .

منظمة الوحدة الافريقية :

اما على صعيد منظمة الوحدة الافريقية فقد دعا المجلس الوراري للمؤتمر الذي عقد في اديس ابابا في ٩ فبراير ١٩٧٣ م الى ادانة اسرائيل لرفضها الانسحاب من الاراضي العربية ولسياستها التوسعية التي ادت الى طرد الشعب الفلسطيني من وطنه ودعا ايضاً الى تأييد الشعب الفلسطيني في قضيته العادلة ونضاله التحرري .

وكانت نقطة التحول بالنسبة لموقف الدول الافريقية ازاء منظمة التحرير الفلسطينية حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ م ، اذ اعربت تلك الدول عن اعترافها بتأييد الحقوق الفلسطينية المشروعة وتأييد النضال الفلسطيني . واضافت الى ذلك ولأول مرة الاعتراف بالصفة التمثيلية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد تم ذلك في مؤتمر مقديشو للقمة الافريقية الذي عقد في ١٤/٦/١٩٧٤ م ، والذي جاء في قراراته ما يلي :

١ ـ يطالب المؤتمر بالانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضي المحتلة الى خطوط عام ١٩٦٧ م .

٢ ـ تحرير مدينة القدس العربية .

٣ ـ ممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير مصيره ، وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية .

كما اعلن المؤتمر تأييده الكامل لنضال منظمة التحرير الفلسطينية ، باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد لشعب فلسطين ضد الصهيونية والعنصرية ويوصي الدول الأعضاء بتوفير المساعدات والتأييد لهذه المنظمة في نضالها العادل والونطني .

واستمرت منظمة الوحدة الافريقية تعرب عن تأييدها للشعب الفلسطيني ولحقوقه الوطنية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد ، كما قامت غالبية دول افريقيا بفتح مكاتب لمنظمة التحرير الفلسطينية . وواصل الشعب الفلسطيني كفاحه على كافة الأصعدة فكانت انتفاضته .

الانتفاضة الفلسطينية

في الثامن من ديسمبر ١٩٨٧ ، هب الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة بالضفة والقطاع بعد مرور عشرين عاماً على الاحتلال الصهيوني ، ليعبر عن رفضه للاحتلال ورفضه لممارساته القمعية من قتل وسجن وتشريد وإبعاد وهدم للبيوت ومصادرة للمتلكات .

انطلق الشعب الفلسطيني في انتفاضته العملاقة ليقول لا للاحتلال ونعم للحرية والاستقلال ، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة الدولة المستقلة على أرضه وعاصمتها القدس الشريف . وقد قامت الانتفاضة لتستمر حتى تحقق أهدافها ، ولعل من أبرز سمات الانتفاضة ومميزاتها :

١ ـ اكدت الانتفاضة قدرة شعبنا على العطاء والتضحية رغم حملات القتل والتعذيب وغيرها ايماناً من الشعب بالله وبحق الشعب الفلسطيني في الحياة الحرة الكريمة على أرض وطنه بعد تحريرها من العدو المحتل .

٢ ـ جسدت الانتفاضة الوحدة الوطنية الصلبة للشعب الفلسطيني تحت راية منظمة التحرير الفلسطينية، فانتظمت في صفوفها جميع التيارات والقوى والقطاعات والطبقات والفئات ، واستطاعت هذه الوحدة الصمود امام التحديات وامام محاولات الاحتلال الفاشلة ، وظلت القاعدة الصلبة لاستمرار الانتفاضة وتصاعدها .

٣ ـ سجلت الانتفاضة شمولية المشاركة الشعبية في فعالياتها . فبجانب امتدادها الى كل مدينة وقرية ومخيم في الضفة والقطاع ، فإن وقائع الانتفاضة سجلت مشاركة جميع القطاعات الشعبية في فعالياتها من عمال وفلاحين وتجار ومهنيين وأكاديميين وموظفين وطلبة وحرفيين ، كما أنه برز بشكل واضح ارتفاع مستوى الجماهير النضالي للتصدي للاحتلال .

٤ ـ سجلت الانتفاضة أيضاً المستوى المتقدم والابداع الثوري لدى الشعب الفلسطيني ، ان كثيراً من النداءات كانت تصدر من خلال اللجان في المدن والمخيمات والقرى . كما سجلت الانتفاضة الاستعداد الشعبي اللامحدود للجهاد وللانخراط في الانتفاضة في تنظيماتها المختلفة من لجان شعبية ولجان توعية ، كما أذهلت الانتفاضة العالم بالانضباط الدقيق والالتزام بتعليمات وبرامج قيادة الانتفاضة .

٥ ـ اكدت وقائع الانتفاضة الدور المركزي الحاسم للاطر الشعبية من لجان شعبية ونسائية وطلابية وغيرها .

٦ ـ أبرزت الانتفاضة على مدار الأشهر الماضية وعلى أرض الواقع اسس القيم الثورية الجديدة التي ترسخت في سلوكيات المجتمع والنابعة من تراثه . وشكلت هذه القيم عاملاً هاماً من عوامل استمرار الانتفاضة بدخولها في نسيج الحياة اليومية ، وقد برزت ظاهرة التكافل الاجتماعي بين ابناء الشعب خاصة في حالات الحصار ومنع التجول . وبرزت ظاهرة التعليم الشعبي لمواجهة حرب التجهيل الاحتلالية . وانطلق الأطباء والممرضون والمهندسون الزراعيون في قوافل اللجان الصحية والزراعية لتقديم علمهم لأبناء شعبهم . وتعزز دور المرأة في مسيرة النضال الوطني . وبرزت ظاهرة الاقتصاد البيتي والعودة للأرض والاستغناء عن الكماليات والتقشف . وتم التخلي عن ظاهرة غلاء المهور والبذخ في الأفراح ، وكانت هذه الظاهرة تشير بمجملها لثورة اجتماعية شاملة تواكب الثورة الوطنية ، وترسخ ولادة جديدة لشعبنا مستندة لتجربته الثورية المعاصرة وتتلاءم مع نضاله .

٧ ـ ابرزت الانتفاضة دور المسجد في التوعية الاسلامية واثرها في حفز وشحذ همم المواطنين في الارض المحتلة في جهادهم ضد العدو الصهيوني ، واصرارهم على متابعة الجهاد حتى يتحقق النصر وتتحقق أهداف الشعب الفلسطيني .

٨ ـ أعادت الانتفاضة تأكيد الدور النضالي البارز لمواطني الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ، فكانت مشاركتهم في فعاليات الانتفاضة ، تأكيد على هويتهم الفلسطينية وكونهم جزءاً من الشعب الفلسطيني . وقد فتحت الانتفاضة آفاقاً واسعة جديدة في مجرى الكفاح المستمر الذي يخوضه المواطنون الفلسطينيون في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ضد سياسات التهديد والسلب .

وعلى العموم ، فإن الانتفاضة الكبرى شكلت منعطفاً تاريخياً في مسار القضية الفلسطينية وفي المسيرة الجهادية للشعب الفلسطيني ، وجاءت الانتفاضة لتعيد رسم ملامح الصراع العربي الصهيوني لتكريس دور الشعب الفلسطيني الطليعي الحاسم وباعلانها ثورة كل الشعب ضد الاحتلال . كما جاءت الانتفاضة بما يعنيه نهوض وفتح آفاق وقطع مراحل نحو انجاز الاهداف الوطنية العليا للشعب الفلسطيني .

ومن أهداف الانتفاضة البعيدة المدى ، حق الشعب الفلسطيني في العودة الى وطنه ، وحقه في تقرير مصيره واقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس بقيادة ممثله الشرعي الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية .

إن اهداف الانتفاضة المرحلية فترمي الى جلاء قوات الاحتلال الصهيوني عن فلسطين تمهيداً لاقامة الدولة المستقلة ، واطلاق سراح كافة المعتقلين والاسرى ، ووقف سياسة الطرد والابعاد وهدم البيوت ومصادرة الممتلكات ، والغاء كافة المواثيق وانظمة الطوارىء الانتدابية والاحتلالية .

وقامت القيادة الفلسطينية دعماً للانتفاضة وأعمالها وانجازاتها بعقد دورة للمجلس الوطني الفلسطيني في الفترة من ١٢ ـ ١٥ نوفمبر سميت بدورة الانتفاضة . وقد أقر المجلس الوطني في نهاية اعماله إعلان الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف ، كما أعلن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره .

وقد حققت الانتفاضة عدة انجازات على عدة أصعدة هي الفلسطينية والعربية والعالمية والصهيونية .

وعلى **الصعيد الفلسطيني** : جاءت الانتفاضة لتتوج مرحلة جديدة من الجهاد الفلسطيني بكافة أشكاله وحققت الانجازات التالية :

١ ـ استعادة الشعب الفلسطيني ثقته بنفسه وبقدرته على التحرير .
٢ ـ تلاحم الشعب الفلسطيني بكافة فئاته الاجتماعية في شتى مناطق تواجده .
٣ ـ كسر حاجز رهبة جيش الاحتلال ، وسمو روح التضحية والجهاد ضد العدو المحتل .

ومن أهم منجزات الانتفاضة على **الصعيد الاسلامي** :

١ ـ اتساع حركات التضامن والدعم والتأييد للانتفاضة وشعبها .

٢ ـ خروج مؤتمر قمة الانتفاضة الذي عقد في الجزائر من (١٢ ـ ١٥ نوفمبر ـ ١٩٨٨) بقرارات « حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة الدولة المستقلة على أرضه ، وتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية له .

٣ ـ فتح آفاق جديدة أمام حركة التحرر الوطني العربية في التصدي لكل اساليب القمع والهيمنة الاستعمارية ، وتعيد الثقة بامكانية التغلب على الانتكاسات ، كما توفر امكانية انطلاق العالم العربي من جديد لوضع حد لعربدة العدو الصهيوني .

أما على **الصعيد العالمي** : فقد تحققت الانجازات التالية :

١ ـ كسب الشعب الفلسطيني احترام وعطف شعوب العالم ايماناً منها بأن هذا الشعب يجاهد في سبيل الله وفي سبيل استرداد حريته واستقلاله .

٢ ـ اعتراف العالم بعدالة قضية هذا الشعب وضرورة حل القضية وفق الحقوق الفلسطينية الثابتة .

٣ ـ انضمام أوساط عديدة في العالم الى صفوف اصدقاء الشعب الفلسطيني الذين ينادون بضرورة تحقيق الحل العادل للشعب الفلسطيني .

٤ ـ برزت منظمة التحرير الفلسطينية في مستوى لائق دولياً وازداد نفوذها كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني .

٥ ـ ازدادت قناعة الدول بضرورة عقد المؤتمر الدولي الفعال ، وعلى ضرورة اشتراك المنظمة في هذا المؤتمر على قدم

المساواة مع كافة الاطراف .

٦ ـ اولت هيئة الأمم اهمية قصوى للقضية الفلسطينية وتبنت مجموعة قرارات لصالح الشعب الفلسطيني .

٧ ـ كشف زيف وادعاءات الكيان الصهيوني ، ووضعه امام العالم في قفص الاتهام وتقويض أسس دعايته ، فقلبت الانتفاضة الصورة وأظهرت العدو على حقيقته العدوانية والعنصرية .

٨ ـ اعتراف غالبية دول العالم بالدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس .

وعلى **الصعيد الصهيوني** : فقد كبدت الانتفاضة العدو خسائر كبيرة قدرت بمئات الملايين من الدولارات سنوياً وذلك من مصدر الربح الصافي الذي كان يدر على الكيان سنوياً من الارض المحتلة ، هذا عدا العبء الاقتصادي الذي يكلف خزينة العدو ما يزيد عن ٥ ملايين دولار أمريكي يومياً .

والى جانب الخسارة الاقتصادية فهناك خسائر سياسية واجتماعية للعدو من ابرزها :

١ ـ **انقسام** المجتمع الاسرائيلي وبروز جماعات متطرفة صهيونية تنادي بالطرد والابعاد والقتل والاعتقال للفلسطينيين .

٢ ـ حدوث تغير نوعي على موقف بعض فئات المجتمع وشرائحه بشأن الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره .

٣ ـ ازدياد قوة التيار الديمقراطي الذي ينادي بحل عادل للقضية الفلسطينية .

٤ ـ انتشار ظاهرة رفض الخدمة العسكرية في الاراضي المحتلة ، وانتشار انماط سلوكية داخل المجتمع الصهيوني حيث ازدادت مظاهر العنف والانتحار وتناول المخدرات .

٥ ـ كسرت **الانتفاضة العنجهية الصهيونية** والغرور ، والرغبة في التوسع ، وأصبح هم **الاسرائيليين المحافظة على ما يحتلون من اراض فلسطينية** .

فهرس الكتاب

تاريخ فلسطين
الحديث والمعاصر

ما من شك في ان القضية الفلسطينية بعامة ، وقضية القدس بخاصة ، تعد القضية المركزية الأولى سواء بالنسبة للدول الاسلامية ، او لشعوبها . انها القضية التي من اجلها عقدت المؤتمرات العديدة ، سواء على مستوى القمة او سائر المستويات الأخرى ، وصولاً الى تحرير فلسطين ، وعودة اهلها الى ديارهم ووطنهم .

وكل البلدان الاسلامية كافة كرست اهتماماتها للقضية الفلسطينية على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاعلامية والدينية والثقافية . ومن اهم القرارات التي اتخذتها الأقطار الاسلامية كان ذلك القرار الذي اتخذه مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في الكويت ، استنادا الى الاقتراح الذي طرحه الوفد السعودي بالاتفاق مع وفد منظمة التحرير الفلسطينية ، أثناء المؤتمر الذي عقده في صنعاء وزراء خارجية الدول الاسلامية في ديسمبر ١٩٨٤ م . وقد دعا هذا القرار الى تدريس تاريخ فلسطين وجغرافيتها على مختلف المستويات التعليمية ، وذلك طبقا لما تضمنته المناهج الدراسية المقدمة من الوفدين .

وبناء عليه ، فإنه لمن دواعي سعادتي ان اقدم هذا الكتاب ليصار الى تدريسه لأبنائنا ، والذي قامت بتأليفه نخبة من المختصين في القضية الفلسطينية وهم سعادة الاستاذ رفيق شاكر النتشه ، سفير دولة فلسطين السابق في المملكة العربية السعودية ، والدكتور اسماعيل ياغي والدكتور عبد الفتاح ابو علية . علماً بأنه سبق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألسكو) ان اقرت تدريس هذا الكتاب .

هذا ، وانني اذ أقدر للأخوة جهودهم في وضع الكتاب ، لأتضرع الى الله العلي القدير ان تجد هذه البراعم اليافعة من أجيال الأمة الاسلامية في هذا الكتاب ما يفيدها في عقولها وافئدتها ، وما ينير بصائرها ويساعدها على تدبر عاقبة امرها ونصرة قضيتهم الأولى ، قضية فلسطين . كما واتضرع اليه تعالى ان يمنح شعب فلسطين المجاهد النصر المؤزر ويمن عليه بالقوة والمنعة لاستعادة وطنه السليب ، ويمكنه من اقامة دولته ، دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس الشريف . انه هو السميع العليم .

الدكتور حامد الغابد
الأمين العام
لمنظمة المؤتمر الاسلامي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
تلكس: LE/DIRKAY

الغلاف: زهير أبو شايب